

مطبوعات، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر

سلسلة التاريخ (5)

مؤرخو الشرفاء

تأليف

ليثي بروقنصال

تعريب

عبد القادر مخلّدي



الرباط 1397 / 1977

ملاحظة

لم يلتزم العرب دائماً بالنقل الحرفي للنص الفرنسي ، وإنما تصبى
أحياناً بالتلخيص أو الحذف ، وبخاصة في الهوامش .

مطبوعات، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر

سلسلة التاريخ (5)

مؤرخو الشرفاء

تأليف

ليثي بروقنصال

تعريب

عبد القادر الخلاّدي



الرباط 1397 / 1977

تقديم

ظهر كتاب **مؤرخو الشرفاء** في المغرب ولم تحض غير سنوات معدودات على فرض الحماية الفرنسية ، فكان حدثا ثقافيا قريدا من نوعه ، اذ اصطبغت كل الدراسات المتعلقة بالمغرب قبله بصبغة سياسية مكشوفة تستهدف مساعدة رجال الحماية على التعرف على طبيعة البلاد و أهلها جغرافيا . وجيولوجيا وتاريخيا وايتنوغرافيا .

أعجب المستشرقون بما وجدوا في كتاب ليفي بروفنصال ، مسن معلومات ونصوص استقاها من مصادر مغربية لا عهد لهم بها من قبل ، وبما قدم لهم من تراجم اعلام مغاربة انتجوا طوال اربعة قرون العديد من كتب التاريخ والتراجم والمناقب والرحلات وغيرها ، كما أعجب المغاربة بمنهج ليفي بروفنصال وطريقته النقدية الحديثة الغريبة لديهم آنذاك .

ورغم مرور أزيد من نصف قرن على تأليف هذا الكتاب ، وما حرره
فى معارضة بعض فصوله جماعة من النقاد ، فانه مازال يحتل مكانة مرموقة
من بين المصادر المعتمدة فى تاريخ المغرب الفكرى بالعصر الحديث . ومازلت
أذكر عندما كنت أناقش أطروحتى عن السعديين فى جامعة السربسئون
استحسن الاستاذ هنرى لاووست تقديمى كتاب مؤرخو الشرفاء فى طليعة
قائمة كتب الدراسات السابقة التى رجعت اليها واستفدت منها . ولم أقدمه
الا سيرا مع الخطة التى التزمتهنا هناك من اعتبار التسلسل الزمنى ، وذكر
الاقدم فالقديم فالحديث .

وقد أشرت فى مقدمة أطروحتى وفى الفصل الثالث من الباب الثالث
منها الى بعض جوانب النقص فيما كتبه ل . بروفنصال منذ أزيد من
نصف قرن ، والى ما جد بعده من كتب لم يعرفها قط أو عرف اسماءها
وحسبها فى حكم المفقود .



وهناك جانب آخر فى كتاب ل . بروفنصال لم أتعرض اليه فى
دراستى عن السعديين لظروف خاصة ، وأرى من الواجب أن أتبه عليه هنا
ونحن بصدد نشر كتابه باللغة العربية . بل لم أكن متحمسا فى البداية
لنقل هذا الكتاب الى اللغة العربية ، وربما ثبطت صديقى الاستاذ عبد القادر
الخلاوى عنه عندما أقبل على تعريبه .

ذلك ان الظرف الاستعمارى المحموم الذى نشأ فيه هذا الكتاب ، وصلة
مؤلفه بالمريشال اليوطى رأس الحماية الفرنسية ، وقيام حركة «ضباط
الشؤون الاهلية» آنذاك جعل ل . بروفنصال يتأثر قليلا أو كثيرا بما كان
يكتبه دهاقنة الحماية عن المغرب فى دراسات مغرضة مموهة بطلاء ثقافى
شفاف .

لم يسلم مؤرخو الشرفاء من طعن وتحامل على أعلام المغرب من مؤرخين وغيرهم ، ونال الحظ الاوفر فى الثلب والازراء العالمان محمد أكفسوس صاصب الجيش العرهم ، وأحمد الناصرى صاحب الاستقصاء ، اتهمهمال، بروفنصال - أكثر من غيرهما - بالسرقاا الادبية المتعمدة ، وسلخ فصول كاملة من كتب لم تكن متداولة فى مؤلفيهما . ويبدو أن القاسم المشترك بين هذين المؤرخين - فى نظر بروفنصال - انهما عالمان اديبان بالمعنى الصحيح لمفهوم عصرهما ، متأخران الى زمن قريب من عهد الحماية ، كتب كلاهما فى تاريخ المغرب مشيدا بأمجاده الطارفة والتالدة ، لاسيما الناصرى الذى بلور فى الاستقصا كيان الدولة المغربية واستمرار وجودها طوال العصر الاسلامى من لذن الادرااة الى العلويين .



وقد عنيت مدة بتتبع سقطات لـ بروفنصال وتسجيل ما أهمل من كتب ورسائل وغيرها لمؤلفين مقاربة داخلين فى الفترة الاولى المشمولة باطار دراسته ، أعنى عصر السعديين ، فاجتمع لى من ذلك كراريس رأيت أن أحررها فيما بعد لتشر فى سلسلة مقالات باحدى المجلات المغربية .

وفى اطار بحثى عن بقايا كتاب **مناهل الصفاء** كتبت فى ربيع سنة ١٣٨٥/١٩٦٦ الى ابن مؤلف **الاستقصاء** الاستاذ محمد الناصرى أستفسره عما قد يكون محفوظا بخزانتهم من **المناهل** نظرا الى ان والده نقل عنه مباشرة حسبما اقتضته صيغ النقل ، وأوردت أرقام بعض الصفحات الدالة على ذلك ، مشيرا فى نفس الوقت اشارة عابرة الى ما قاله لـ بروفنصال فى الموضوع .

لكن الاستاذ الناصري ظن أنى اشاطر لـ . بروفنصال اتهام المؤرخ السلوي بالسطو والانتحال ، فبعث الى بمخطوط في نيف وثلاثين صفحة يحتوى على خلاصة كتابه مطول ألفه فى الرد على صاحب مؤرخو الشرقاء متتبعا اتهاماته لوالده واحدة واحدة ، وناقضا اياها عروة عروة بالحجج المنطقية والأدلة العقلية والنقلية .



وبعد ، أو ليس من المفيد ، مع كل هذا ، ان يترجم وينشر مؤرخو الشرقاء ليطلع عليه جمهور المثقفين باللغة العربية ، بعد أن ظلوا دمررا يستمعون الى أصداؤه تتردد شرقا وغربا ؟ فقد يرون فيه نموذجا من طلائع البحث الحديث فى التراث العربى المغربى ، وقد يكون مثار مزيد من الدراسة والحوار فى ميدان تاريخ المغرب الذى مازال بحاجة الى الكثير من البحث والتنقيب .

مجلد حجتى
أستاذ بكلية الآداب بالرباط

ترجمة افارست ليفي بروفنصال

1894 / 1956

(عن مجلة أرابيكا 1956 فصلة 2)

رأيت من الواجب علي أن أصدر هذا الكتاب بترجمة مؤلفه أولا ،
لأنه قدم للمغرب خدمات ثقافية جليلة وذلك بإسهامه في إحياء قسط
لا يستهان به من تراثه الأدبي والتاريخي والحضاري ، وثانيا لأن ترجمته
التي أوردها نجيب العقيلي في كتابه « المستشرقون » (ط ، دار المعارف
بمصر 1964 . ج 1 ص 285) واستقاها من مجلة « أرابيكا » المشار إليها
أعلاه مشوه قسمها الخاص بآثاره ، يالوان من التعريف والتصحيح
في أسماء الكتب والأشخاص والأماكن ، الخ ..



ولد ليفي بروفنصال بالجزائر العاصمة ، سنة 1894 م ، إلا أنه
تلقى تعليمه الثانوي بقسنطينة ، ثم عاد إلى مسقط رأسه والتحق بكلية
الآداب حيث تسنى له التعرف على أستاذين جليلين ، أولهما جيروم
كوركوبينو الذي حُبب إليه الاهتمام بالتاريخ ودراسة الآثار والخطوط
المنقوشة ، وثانيهما روني باصبي الذي شجعه على التعمق في اللغة
العربية والاعتناء بالببليوغرافية العربية وخصوصا المخطوطات .

نال الاجازة (ليسانس) عام 1913 ، وفي سنة 1919 انتدبته
المرشال ليوطي للعمل في معهد الدراسات العليا المغربية ، وعين أستاذا
فيه (1920) ثم مديرا (1925 / 1935) .

وفي سنة 1922 قدم بالعاصمة الجزائرية أطروحة الدكتوراه . وكان الاستاذ روني باصي هو الذي اقترح عليه موضوعها ، والابحاث التي انكب عليها لانجاز هذا العمل هي التي اكسبته حنكة التقصي في النقد والتحليل والدربة على تقدير محتوى المخطوطات الغربية .

وفي سنة 1923 وجهته وزارة التعليم الفرنسية الى الاسكريال ليضع قائمة ما بها من مخطوطات أكثرها من بقايا خزائن السلطان مولاي زيدان السعدي التي كان استولى عليها الإسبان في عرض البحر ، فمكنه عمله هذا من الاتصال بعدد وافر من اكابر المستشرقين الاسبان ومعرفة ما نشره من دراسات ، وكذا من العثور على مظان قيمة تتعلق بتاريخ العدوتين الادبي والاجتماعي ، ومن مشاهدة ما تزخر به الاندلس من آثار حضارة اسلامية ومعالم عمرانية وما لا زال حيا في مختلف بيئاتها من تقاليد اجتماعية واقتصادية وفلاحية ذات طابع مغربي او شرقي .

ومنذ تلك الزيارة أخذ يتردد على الاندلس ويتجول في مختلف مناطقها ويواصل البحث والتنقيب .

وفي 1927 انتدبته كلية الآداب الجزائرية استاذًا لتاريخ العرب والحضارة الاسلامية ، فقسم وقته بين الرباط والجزائر ، ثم بينهما وبين التدريس في معهد الدراسات الاسلامية في السربون بباريس حيث كان يدرس تاريخ العرب وكتاباتهم .

في 1930 استعفى من ادارة معهد الرباط ليتفرغ للتدريس والتأليف، فاعفي وعين محيرا شرفيا له .

وفي 1938 دعته جامعة القاهرة استاذًا زائرا وعينته في اللجنة المكلفة بتحقيق الأخيرة لابن بسام

وبعد انتهاء الحرب الثانية ، سنة 1945 عين أستاذاً للعربية والحضارة الإسلامية بجامعة باريس ، ووكيلاً لمعهد الدراسات السامية في نفس الجامعة .

أشرف عدة سنوات على الطبعة الفرنسية لأدلة المعارف الإسلامية وأنشأ (1954) مجلة **أرابيكا** للدراسات العربية .

كان يعد المرجع الأول في الغرب لتاريخ الاندلس وقد كوفي على جهوده في الاستشراق بأوسمة رفيعة وعضوية جمعيات عدة منها المجمع الإسباني والجمعية الملكية الآسيوية البريطانية .

وهنا أرى من باب الاعتراف بالفضل لذوي الفضل أن أسجل له موقفا نبيلاً وقفه وقت الازمة المغربية : فإنه رغم انعزاله إذ ذاك عن الشؤون السياسية ، لم يتردد في مساندة الأساتذة الفرنسيين الذين تصدوا للدفاع عن العرش المغربي ، فنشر في جريدة فرنسية ذائعة الصيت فتوى أوضح فيها أنه لم يكن في فترة من الفترات التاريخية المغربية لقادة القبائل ولا لباشوات المدن ولا لرؤساء الزوايا حق التدخل في اختيار من يجلس على العرش مفندا بفتواه تلك ما لفق من ادعاءات في تلك المناسبة، ومعارضاً بها تربيته في الدراسة الثانوية الجنرال جوان ، وساعده اليمين في دراسة المخطوطات ، عبد الحي الكتاني ، وزميله القديم بمعهد الرباط هنري طيراس .

كانت حياة ليفي بروفنصال كلها حركة دائبة منتجة ورحلات متواصلة للتنقيب والتحقيق أو للنشر والتأليف أو للتدريس والتوجيه أو للمشاركة في الندوات العلمية والمؤتمرات الاستشرافية .

آثاره

أكتفي بذكر المهم منها وإن كانت كلها مفيدة وهادفة الى توسيع الآفاق الثقافية .

(أ) الكتب التي أشرف على تحقيقها ونشرها أو شارك في تصحيحها.

(1) الجامع الصحيح لابي عبد الله البخاري (نسخة بخط يد أبي عمران موسى بن سعادة الاندلسي - منقولة بالتصوير - الجزء الاول - مطبعة كتّار 1927) .

(2) كتاب صلة الصلة (القسم الاخير) لابي جعفر أحمد بن الزبير (الرباط 1938) .

(3) كتاب اعمال الاعلام فيمن بويح قبل الاحتلال من ملوك الاسلام لابن الخطيب (الرباط 1934 واعيد طبعه ببيروت 1950) .

(4) مجموعة رسائل موحدية من انشاء كتاب الدولة المؤمنية (الرباط 1941) .

(5) سبع وثلاثون رسالة موحدية رسمية (الرباط 1941)

(6) نبذ تاريخية في أخبار البربر في القرون الوسطى ، منتخبة من كتاب مفاخر البربر لمؤرخ مجهول (الرباط 1934) .

(7) نص جديد في التاريخ المريني : المسند لابن مرزوق (باريس 1925)

(8) البيان العرب لابن عذاري المراكشي ، الجزء الثالث (باريس 1930)

(9) آداب الحسبة لابي عبد الله محمد السقطي المالقي بمعاونة كولان (باريس 1931)

- (10) **الحسبة لابن عبدون** (باريس 1954)
- (11) **أجزاء الذخيرة الثلاثة لابن بسام** بمعاونة لجنة من الجامعة المصرية .
- (12) **مذكرات عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة** (مصر 1956)
- (13) **جزيرة الاندلس في العصور الوسطى أو « كتاب الروض المعطار** لعبد النعم الحميري (لندن 1939)
- (14) **كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا للنباهي** (دار الكتاب المصري القاهرة 1948) .
- (15) **جمهرة أنساب العرب** لابن حزم الاندلسي (دار المعارف - مصر 1958)
- (16) **كتاب نسب قريش لعبد الله بن مصعب بن الزبير** (دار المعارف - مصر 1953)
- أعاد طبع تاريخ المسلمين في اسبانيا لدوزي - طبعة منقحة ومرقبة في 3 أجزاء (لندن 1932) .**



ب المؤلف

- (1) **تاريخ اسبانيا المسلمة باللغة الفرنسية 3 أجزاء** (وقد ترجم الى اللغة الإسبانية) .
- (2) **اسبانيا المسلمة في القرن العاشر الميلادي** (انظم والحياة الاجتماعية ، 1932) .
- (3) **وثيقة عن الحياة الحضرية والحرف باشبيلية في القرن الثاني عشر الميلادي** : كتاب الحسبة لابن عبدون ، باريس 1934
- ترجمة الكتابة الى الفرنسية مع تعاليق ضافية** (باريس 1947)
- (4) **نظرة عامة عن الحضارة العربية باسبانيا** (القاهرة 1938)

ج : فهارس المخطوطات والمطبوعات الفاسية :

- (1) فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالخزانة العامة بالرباط -
القسم الاول - باريس 1921)
- (2) التقويم التاريخي لمطبوعات فاس بمعاونة الاستاذ محمد بن شبيب
- الجزائر 1922)
- (3) المخطوطات العربية في مكتبة الاسكريال - موصوفة حسب
جذاذات هرتويج دير نبورج مع تنقيحها وترتيبها (الجزء الثالث) (الفقه
- الجغرافية - التاريخ -) باريس 1927)



د : الآثار

- (1) شالة : مقبرة مرينية بمعاونة هنري باسي (باريس 1922)
 - (2) كتابات عربية في اسبانيا (باريس ليدن 1931)
- وبالإضافة الى كل هذا فان ليفي بروفنصال حرر العشرات من
المقالات المتعلقة بالتاريخ السياسي أو الادبي أو الاجتماعي ، أو الآثار
والمؤلفات والنصوص والكتابات المنقوشة الخاصة بالمغرب أو بالاندلس .
كما أننا نجد له دراسات ذات شأن في عدد كثير من المجالات والنشرات
المهتمة بالابحاث الاستشراقية ، وفي مقدمتها دائرة المعارف الإسلامية
التي تنشر في أربع لغات : الفرنسية والانجليزية والالمانية والاسبانية ،
وأصبحت منذ سنين تظهر ، في مصر ، باللغة العربية ، ولكن ببطء يصعب
تبريره .

توفي ليفي بروفنصال بباريس في شهر مارس 1956 .

مؤرخو الشرفاء

★ ★

مدخل

مدخل

يبدو أن المغرب الأقصى لفت ، خلال العصور الحديثة ، أنظار أوروبا الغربية ، أكثر من أي قطر من الاقطار الاسلامية الاخرى .

أجل ، فإنه عرف منذ زمن بعيد كدولة بحرية تستوجب المراقبة والاحترام ، أثبتت العلاقات الدبلوماسية والتجارية التي أبرمها معه العالم القديم قدر ما كانوا يولونه من الاهتمام .

هذا ولم تلبث الطبقة المثقفة الاوروبية من جهتها أن أخذت ، منذ القرن السابع عشر الميلادي ، تتوق الى معرفة هذه الارض القريبة من قارتهم ، والتي كانت ، رغم موقعها الجغرافي الخاص ، تعتبر قطعة من الشرق ، ذلك الشرق الطامع بالاسرار ، المستثير لرغبة التطلع ، الحامي الى الاستكشاف وفك الغوامض .

لقد كان المغرب الأقصى اذذاك ، ومثله في ذلك مثل القطر التركي ، موضع اهتمام عدد لا يستهان به ممن قدر لهم الإقامة ببعض مدنه وقراه ، أو التجوال خلال بعض المناطق الافريقية ، ومنهم التجار والقساوسة والرهبان وحتى قدماء الاسرى ، فحداهم ولع بني قومهم بالجديد من المواضيع الى تأليف رحلات وصفوا فيها ما شاهدوه من عادات وتقاليد استغربوها ، وما سمعوه من أخبار ، وما عن لهم من ملاحظات .

فان قسما كبيرا من المؤلفات المشار اليها في ببلوغرافية المغرب التي وضعها بليفار وبروان (Playfair et Brown) صُنفت قبل سنة 1800م . ووفرقتها دليل قاطع على ما كانت توليه أوروبا من العناية بشؤون المغرب ، وما كان لها من رغبة في الاثام باحواله .

لا شك ان أغلبية مؤلفي تلك الكتب اتخذوا لها عناوين توهم ، غلطا ، أنها تتضمن عروضاً لاطوار تاريخ المغرب ، ولاشك كذلك ان طائفة منهم استنقوا ، مدة اقامتهم بالمغرب ، معلومات تاريخية عن هذه البلاد اما بطريقة السماع المباشر ، واما بنقل ما ورد في كتب من تقدمهم من الغربيين ، الا أنه لا يوجد من بينهم ، فيما نعلم ، أحد استفاد من مصادر مغربية مؤلفة باللغة العربية .

ومهما كان من أمر فان محتوى تلك المؤلفات يدل على ما بذله أصحابها من جهد وصبر بحيث لا زال البعض منها ، الى يومنا هذا ، يعد من المراجع المثمرة المجدية .

نعم لا ينبغي أن ننسى أن الاعمال التي قام بها ، في هذا المجال ، أمثال ديبكو دو طوريس (1535) *(Diego de Torres)* ومواط (1683) *(Mouette)* ، وبيجو دو سانت اولان (1694) *(Pidou de Saint Olon)* والقسيس بيسنو (1714) *(Le P. Busnot)* وبراييتويت (1729) *(Braitwait)* وشنيي *(Chenier)* (1787) ، كانت الى عهد قريب اساساً لدراسات متعلقة بتاريخ المغرب خلال الفترة الحديثة تم تحريرها في كل من فرنسا وانجلترا واسبانيا .

فان آثار أولئك الرجال ، مع كونها لا تخلو من تحيز ومن حشو ، لا يمكن ان تعتبر عديمة الفائدة ، باطلة القيمة ، خصوصاً فيما يهم علاقات المغرب بما يجاوره من البلاد الاوربية .

ان المصادر العربية كانت يومئذ موجودة ، وقد عبر البعض منها البحر ، فشاع ذكرها بأوروبا ، وعرفها المستشرقون ، فكان أول ما اهتموا به نشر الآثار الجديرة بالتقدير ، وخصوصاً المتعلقة بتاريخ المغرب في العهد الوسيط ، مثل كتاب « العبر » لابن خلدون . وكان «روض القرطاس» الذي ألفه ابن أبي زرع للتعريف بالدول الاولى التي حكمت المغرب وبتاريخ

مدينة فاس ، من الكتب التي طبقت شهرتها الآفاق الاوربية ، اذ ترجم ، في ظرف مائة سنة ، الى أربع لغات : الالمانية والبرتغالية واللاتينية والفرنسية ، وسينشر النص العربي في القريب العاجل في طبعة محققة منقحة تقي بما لذلك المصنف من قيمة وشأن (1) فالمسيو هوداس (Houdas) هو الذي كان له فضل الاسبقية في التعريف بكتب التاريخ الحديث المغربية لدى المؤرخين الاوربيين (2) . فانه قام ، سنة 1886 بنشر فصول من كتاب الزياني تتعلق بتاريخ الدولة العلوية وألحقها بترجمتها الى اللغة الفرنسية ، ونشر خلال السنتين 1888 ، 1889 ، تاريخ الدولة السعدية للأفراني مع الترجمة كذلك ، ونشر ، فيما بعد ، تاريخ السودان ، و تذكرة النسيان وهما جد مفيدان لمعرفة قيمة الاتصالات التي كانت بين المغرب والقارة السمراء.

وفي نفس الفترة كانت طائفة من رجالات المدن الجزائرية ولاسيما من أهالي تلمسان ، على اتصال مستمر بالاوساط الثقافية المغربية ، وعلى علم بما كان يروج فيها من كتب ، الشيء الذي يسر لبعض المستشرقين الحصول على نسخ من المصنفات العربية المطبوعة بفاس ، ومنهم الاستاذ كور (Cour) الذي كان في طليعة من استفادوا مما كانت تخرجه المطبعة الحجرية الفاسية من الكتب ، والخاصة بتراجم أهل العلم والصلاح ، فتمكن من تأليف كتابه الذي عنوانه : تاريخ استقرار الدولتين السعدية والعلوية بالمغرب ، وذكر ما كان بينهما وبين

(1) ورد في مقدمة كتاب روض القرطاس المطبوع بالرباط، سنة 1936 م ، ان هذا الكتاب ترجم الى الفرنسية سنة 1693 والى الالمانية في اواخر القرن اثلاثم ، والى البرتغالية سنة 1827 . وترجم ترجمة جديدة الى الفرنسية سنة 1860 (المغرب) .

(2) ورد في نفس المقدمة ان المستشرق السويحي (طورنبورج) نشر النص العربي سنة

1843 مع ترجمه لاتينية (المغرب) .

للدولة التركية بالايالة انجزائية من خلافتات وهو من بواكر الدراسات المتعلقة بالدولتين الشريفتين المذكورتين التي اعتمد فيها على مصادر أوربية ومصادر مغربية عربية .

وفي سنة 1895 (1312هـ) طبع بمصر كتاب الاستقصاء فتسنى اذذاك للمؤرخين الاجانب ان يستفيدوا منه كثير الاستفادة ، ولا سيما بعد ان ترجم الاستاذ فيمي (Fumey) الى الفرنسية القسم الخاص بالدولة العلوية ، وأشرف على نشرة بالمجلة « المستندات المغربية » (Les Archives Marocaines) يتضح مما سبق ان تاريخ المغرب الحديث بقي ، الى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، مبنيا على ما ورد في وثائق أوربية ، وان محتواه بدأ اذذاك ينمو ويثري بمعلومات دقيقة وردت في غضون كتب مغربية نقلت الى لغات غربية أو استقاها مؤرخون مستعربون من مؤلفات تم اخراجها في مطابع فاس الحجرية العتيقة ، واستطاعوا الحصول عليها بوسائل من شأنها « أن تنيم الرقباء وتزيح الحواجز » (!!)

هذا ورغم قلة تلك المصادر فان محتواها يؤيد ، في الجملة ، مضمون كتب التاريخ المغربي المؤلفة باوربا ، ويضفي على بعض جوانب الماضي المغربي أضواء جديدة بحيث يسوغ لنا ان نقول ان التاريخ المغربي المبني على مستندات مغربية وعلى مصادر أوربية من الممكن أن يعد « متكامل الاطراف جدير بالاعتبار » .

ها المغرب قد أصبح اليوم مفتوح الابواب ، وهو ميدان بكر للابحاث، وموطن خصب للاستكشافات ، يستقبل بصدر رحب رواد الاستطلاعات الاتنوغرافية ، والجيولوجية واللغوية ، ولكن قلما تفتح فيه الاذرع للترحيب بالمتعطشين الى استكناه التراث الادبي . فان هذه الطائفة من الباحثين قد تفتح في وجوههم أبواب المكتبات الخاصة ذات الشهرة الواسعة ، وقد يسمح لبعضهم بالجلوس في زاوية من زواياها ليتصفح

ما يقدم له من مخطوطات ومن مطبوعات تختلف اختلافا كبيرا في الحجم والشكل والمضمون ، وقد يكون من بينها مؤلفات كان يشك في وجودها أو نصب الامل في العثور عليها ، ولكن اذا ما أراد أحد أولئك الزوار أن يستعير كتابا قصد استنساخه أو استخراج بعض فصوله ، فانه ، في غالب الاحيان ، يعود برفض لين الملمس مشفوع بجملة من قافه الاعتذار، أجل فان أرض المغرب بالنسبة للمواقع بالكتب « أرض غنية بالورود ولكنها مفروشة بالحصى » .

وكيفما كان الامر فلا نرى داعيا للتخلي عن بذل الجهود ، وعن التذرع بالصبر لجمع الوثائق ، سيما واقفا على يقين أنها موجودة ، وجد مفيدة ، وان استجلاء ما تشتمل عليه من حقائق عمل ضروري لسد ما يتسم به التاريخ المغربي الحديث من ثغرات .

لقد تجلّى بفرنسا ، منذ القرن العشرين الميلادي ، أن كتابة ذلك التاريخ يتوقف على دراسة وثائق جديدة سواء منها الموجودة في المطان المغربية أو المحفوظة ضمن مجموعات المستندات الغربية في مختلف البلدان الاوربية .

ولغذكر على سبيل المثال ذلك المشروع العجيب الذي بدأ يسهر على انجازه م. هنري دوكاستري (Henry de Castriers) منذ أكثر من خمس عشرة سنة ، والهادف الى نشر وتحقيق جميع الوثائق الخاصة بتاريخ المغرب والمودعة في دور المحفوظات الاوربية (3) .

فانه كان عزم منذ أمد ، على تأليف كتاب في تاريخ المغرب ولكن لم يلبث ان تيقن ان عمله ذلك سيبقى ناقصا ما لم تجمع تلك الوثائق وتغربل وتنسق .

(3) نشر من هذه المجموعة الى حد الآن حوالي ثلاثين مجلدا (المغرب) .

كلنا مقتنعون بصواب حكم ناشر تلك المصادر الاوربية والوارد في مقدمة السلسلة الاولى من مجموعته حيث قال : « لا يوجد من حيث ضحالة الضبط في الاحداث والاحكام ، تاريخ يشبه التاريخ المغربي » ، وكلنا متيقنون أن تلك المصادر ستساعد على سد ذلك النقص ، ولكن هل ستكفي لذلك ؟ لاشك أنها لن تزودنا بمعلومات دأريفة الا فيما يخص جزء ضئيل من ذلك الموضوع . وأما بالنسبة للتاريخ الخاص بالاحداث التاريخية الداخلية ، فإنها قد تتيح المقارنة والتحقيق ، ولكنها لن تمدنا الا نادرا بمعلومات أصيلة غير معروفة . وعليه فتاريخ المغرب الحديث المستقاة عناصره من تلك الوثائق لن يكون ذا شأن الا اذا استغلت أيضا لبنائه جميع المصادر العربية . ولا شك في وجود تلك المصادر (4).

وتلك المؤلفات العربية هي التي نحن عازمون على دراستها هنا ، معتنين على وجه الخصوص بما ألف منها منذ القرن السادس عشر الميلادي الى أيامنا هذه ، وسوف لا نقتصر على الاهتمام بالحوليات التاريخية ، بل سنعتني كذلك بكتب التراجم لان أصحابها شاركوا الاخباريين في التعريف بتاريخين الدولتين السعدية والعلوية ، بالملكة المغربية .

ولذا فإننا سنحاول ان نلم باسماء أولئك المؤلفين وأن نضع قوائم لما جادت به قرائحهم من مؤلفات ، فندرس محتواها ، معتمدين في ذلك على ما سنصل اليه من معلومات لدى بعض رجال العلم والادب ، وما سنجده من بيانات في الابحاث الببلوغرافية .

ولكن قبل الشروع في تلك الدراسة نرى من المفيد ان نقف على مدى مجال التاريخ ضمن الحركة الادبية القومية وان نحاول توضيح ما لتلك الحركة من خصائص أصيلة ، وبالاختصار ، ان نقدم صورة موجزة للاداب العربية المغربية .

(4) لقد أبدى الاستاذ هودراس نفس الملاحظة في التنبيه الذي استهل به ترجمته للروض الهتون ، حيث قال : « كيفما كان الامر فان المسلمين ، عندما يتكلمون عن وطنهم ، يكونون شرب الى الصدق من المؤلفين الاوربيين » .

ينبغي ، قبل كل شيء أن نتيقن من وجود تلك الآداب العربية المغربية وأن نحدد ماهيتها .

هل يحق لنا أن نصف « بالمغربية » قسما ، مهما كانت أهميته ، من الآداب العربية الإسلامية التي كان منشؤها وتم تطورها في العالم الإسلامي المترامي الأطراف ؟

ولا غرو أن السلك الأصيل الذي ينتظم أجزاء تلك الآداب هو اللسان العربي ، ذلك اللسان الذي نزل به الوحي : « قرآنا عربيا غير ذي عوج » ، ولكن هل يجوز لنا أن نعتبر « مغربية » تلك الآداب التي كان مهدها المغرب الأقصى ذا الموقع الجغرافي المنعزل ، والذي تأصلت فيه ، منذ زمن بعيد ، مظاهر خاصة ؟

ومن البديهي أن يكون الجواب عن هذا السؤال بالسلب . لقد سبقنا عدد لا يستهان به من البحاثة إلى توضيح ما كان للعلوم الإسلامية ، في جميع العصور ، من حظ عظيم وقسط وافر في مجالات الآداب العربية ، وبالفعل فكلما القينا نظرة على مجموعات المؤلفات العربية المحفوظة في الخزانات الشرقية والغربية ، فأننا نجد ذخائر ثرية من الكتب التي صنفت لتمجيد الإسلام ودراسة اللغة العربية ، لغة القرآن : فمن تفاسير لمكتاب المبين إلى شروح لسنة النبي الأمين ، إلى تفاصيل خاصة بسيرته وسيرة صحابته ، إلى مدونات فقهية ، إلى معاجم لغوية بما يتبعها من شروح نحوية وصرفية . والشيء الذي لا مرأى فيه هو أن الأدباء العرب أخذوا ، منذ القرون الإسلامية الأولى يخصصون الكثير من مجهوداتهم لاهتمام بالمسائل النحوية والفقهية وكانهم قصرُوا نشاطاتهم على توضيح الأصول التشريعية وفك العضلات اللغوية .

نعم فأننا لا نعرف قطرا من أقطار العالم الإسلامي لم يسهم علماءؤه، خلال فترة من الفترات التاريخية المتتالية ، في توسيع نطاق الدراسات

الاسلامية واغناء مضامينه الثقافية . وان أدنى إطلاع على أسماء البلدان التي يتحلى بالانتساب اليها اعلام الآداب العربية لاكفى شاهد على ذلك ، فاننا نجد من بينهم المنتسبين الى بلدان تشعها مفاوز افريقيـا المحرقة ، والى أخرى تضمها سهول ايران الجايدية ، كما نجد من بينهم رجالات تهم مفاسدهم عن أصول بربرية مغربية .

انه لمن مزايا الاسلام الجديرة بالتقدير ان كانت فتوحاته المتوالية في اراض مترامية الاطراف ، مواكبة بفتح قرائح سكانها الاصليين للاضطلاع بتلك الابحاث ، الجافة بعض الشيء ، المتسمة ، على الدوام ، بالفزامة والموضوعية ، والتي قد مر على الشروع فيها ما يزيد على ثلاثة عشر قرنا ، ولا زالت تستأثر بالاهتمام والاعتناء .

وعليه فما كاد الاسلام يستتب بالمغرب حتى هب من أهله رجال اعتكفوا على دراسة العلوم الاسلامية ابتغاء مرضاة الله ، ورغبة في حسن الثواب ، بحيث لم تنقض عقود من العهد الوسيط حتى ذاع صيت البعض منهم ، وسار بذكرهم الركبان ، رغم ان الاندلس كانت اذذاك هي الحاملة لمشعل الثقافة والعرفان .

ان الامبراطورية المغربية لم تكن في ذلك العهد بادية المعالم ، ظاهرة الحدود ، اذ ان اسبانيا وافريقيا الشمالية حتى صقلية كانت تكون وحدة سياسية ، الشيء الذي يجعلنا نستنتج انه اذا كانت هناك حركة أدبية افريقية أو اندلسية ، لم يكن ما يمكن ان تعتبر حركة أدبية مغربية مستقلة .

لقد اخذت ، في تلك الفترات ، مجالات الآداب العربية تتسع حتى شملت ، بفضل بسط النفوذ الاسلامي على أقطار العالم الاوربي ، وبفضل التفتح الحضاري والفني ، معارف خارجة شينا ما عن المواد الاسلامية الصرفة ، كالطب والفلك والعلوم الرياضية ، وبدأ يفتشر الاهتمام

بالفلسفة مع التمسك بالاصول العقائدية ، كما أخذ نجم الشعر يتلألا أكثر فأكثر حتى كاد يغطي ما كان لشعراء الجاهلية من شهرة واعتبار .

كان العالم الاسلامي الغربي اذذاك يزخر بالنشاط ، وكانت الاندية العلمية ، من غرناطة الى فاس ، ومن فاس الى تونس مزدهرة ، تتنافس فيها القرائح : اذذاك بلغت الحضارة المغربية أوجها وتلألت نجوم الفكر الاسلامي .

ولكن لم يكد القرن الخامس الميلادي يشرف على الانقضاء حتى خمد النشاط بل ران الركود خصوصا في الاندلس ، اذ اضطر العديد من المسلمين الى مغادرة عواصمها وثغورها ، مهاجرين الى العدو الافريقية ، فكان ذلك من الاسباب التي أدت الى تكوين المدرسة الادبية المغربية واكتمال خصائصها ، وتوطدت دعائم تلك المدرسة بعد أن تراخت الروابط التي كانت تصل هذه البلاد بالمراكز الفكرية الشرقية .

ترددت أصداء تلك المدرسة ونما صيتها لا في فاس وجامعتها فحسب ، ولكن حتى في الزوايا التي كانت منبثة في مختلف انحاء القطر . ونقاجها ، خلال العصور الحديثة هو الذي عزمنا على تسميته مع شيء من التجاوز ، بالادب العربي المغربي .

اننا اليوم على علم بالاسباب التي نتج عنها ، بالمغرب . تقويض عروش الملوك البربري الاصل ، وجعل أزمة الحكم به في أيدي الدولة الشريفة ، التي عرفت فيما بعد ، بالدولة السعدية لتمييزها عن الدولة العلوية . ومن تلك الاسباب الحروب المتوالية التي شنها ملوك فاس على أمراء تلمسان وغرناطة ، وترحيل أمراء الاندلس عن مواطنهم ، وبوجه خاص ، حركات المقاومة ضد غارات المسيحيين على الحدود المغربية ، وكذا الدعوات الى الجهاد برا وبحرا ، التي كان يحض عليها المرابطون ومشايخ مختلف الطوائف الطرقية ، وآخر الامر اللجوء الى الاشراف القارين بالمناطق

السوسية للقيام بصد هجمات البرتغال والاسبان والاطاحة بأولئك الملوك البربريين الذين تبين عجزهم عن محاربة انتصاري المحتلين للثغور المغربية والمقاومين لاساطيل البحرية .

في تلك الفترة التاريخية كان المغرب يعتبر آخر ملجأ للإسلام بالاقطار الغربية ، وفي تلك الفترة كذلك بدأت تقل علاقاته بباقي بلدان افريقيا الشمالية لان الاتراك كانوا أخذوا ينشرون عليها تفوذهم (٢٥) ، ولهذا يمكننا ان نقول ان المغرب الاقصى أقام شخصيته وبنى وحدته السياسية والترابية في ظروف شملها خضم من الفوضى ، لان منذ ذلك الزمن ، لم يحدث على حدوده تغيير يذكر .

ان الحركة الدينية ، التي أشرنا اليها ، نشأت وترعرعت في الزوايا والربط التي كانت تؤسس على بعد من الحواضر ولكن بقرب ضريح من أضرحه بعض الصالحين أو شيوخ الطرق الصوفية ، ولم تلبث تلك الزوايا والربط ان أصبحت معاهد للفئات من المريدين المتشوقين للحياة الروحية ، أو الطلبة المتعطشين للمعرفة ، ولم يمض عليها زمن طويل حتى باتت تنافس ، كمراكز تعليمية ، مدارس فاس وجامعة القرويين .

ان هذه الجامعة التي ذاع صيتها وشع نورها طيلة ازدهار الدولة المرينية ، والتي كانت المركز العظيم الوحيد لنشر الثقافة ، أصبحت ، في مستهل العصر الحديث ، خافضة الصوت (6) ، وهي وان كانت استرجعت،

(5) ذكر الاستاذ كور تفاصيل هذه القضية وكذا الاحداث التي كانت بين الاشراف والدولة في كتابه : استقرار اللود الشريفية بالمغرب (المؤلف).

(6) كانت أوربا ، قبل استقرارنا بفاس ، تبالغ في تقدير قيمة هذه الجامعة اذ كان يعتقد انها مركز لدروس تشحذ العقول وتنير السبل . أما خزانتها فان الفهرست الذي نشره (1918) . الاستاذ الفرانچال ٢٤٨١ B٥١١ قد خيب ظن الكثير من المستشرقين . فان المؤلفات الموجوة بالمكتبات الخاصة او العيسوية تحتوي على ذخائر أعظم قيمة وادعى للتقدير ، بيد ان خزانة القرويين لم تفتأ منذ زمن سحيق ، معرضة للنهب ، وأعز ما بقي بها من الكتب ذات الشأن التي أخطأتها يد العابثين ، هي نسخة من كتاب العبر لابن خلدون نص على تحبيسه المؤلف بحسه (رقم 1266 من فهرست بال) (المؤلف).

فيما بعد ، قسما من نفوذها وازدهارها ، فانها لم تستدرك أبدا تلك المرتبة العالية التي كانت جعلت منها منذ أمد بعيد وعن جدارة واستحقاق « متبع العلم وجوهرة المغرب (7) » فان العاوم التي كانت تلقن اذذاك بجامعة فاس او بالزوايا في مختلف المناطق المغربية ، أخذت تسم أدباء البلاد وعلماءه بسما واحدة ، وهي سيما لم يطرأ عليها تغيير ، فيمما توالى بعد من العصور ، وذلك لان البرامج والكتب المدروسة بقيت هي هي . وها قد مرت أربعة قرون ولم يقع اي تعديل او تطور سواء في الحياة الفكرية أو في الاحوال المعاشية .

فان أجلى الخصائص التي يفتبع بها المغرب الحديث هي النفور من التغيير .

ففي أوربا نعرف ان كل من يرغب في تشخيص صورة حقيقية عن مجتمع جيل من الاجيال التي انقرضت ولو منذ عهد جد قريب ، لا بد له من أن يستقريء ويحلل جميع الوثائق والآثار والظروف المتعلقة بذلك الجيل ، وأما في المغرب فان المستطلع لا يلبث ان يتأكد أنه يكفي أن يفتح عينيه وأذنيه على ما يروج حوله ليعرف الحالة الاجتماعية التي كان عليها هذا البلد في العصور السالفة ، كما يتأكد ان جولة ساعة في آفة فاس وأسواقها كثيرا ما تكون أوفر فائدة مما قد يكتسبه من معلومات في هذا الصدد ، حينما يقضي يوما كاملا متصفحاً المراجع في مكتبة من المكتبات وما سبب ذلك ، فيما أرجح ، الا لان المغرب بلاد جد محافظ وبطيء التطور في جميع مجالات حياته ، ويكفينا للاقتناع بهذه الحقيقة ان نسدر ان الصورة التي رسمها ليون الافريقي (الوزان الفاسي) في كتابه (وصف افريقيا) « لا زالت أصولها شاخصة الى الآن لم يغير الدهر منها شيئاً كثيراً ، وان الناظر اليها اليوم سرعان ما يشعر وكأنه يرجع أدراجا الى عهود فاس القديمة ويشاطر أهلها الحياة برهة من الزمان »

(7) القرويين ودستورهم ، لعبد الحي الكتاني - (بال : الفهرس : ص 4) .

فإن الانتوغرافي الذي يقصد فاسا اليوم يجد نفسه أمام معرض لا نهاية له من التقاليد العتيقة ، وإن المؤرخ لا يخاف أن يخطأ في توقيت أحداث الماضي لأن ذلك مبسوط أمامه يشاهده مشاهدة عيان ، لا يتطلب منه تخمين ولا تأويل .

وإذا كان هناك وجه لم تتغير ملامحه العامة منذ اربعمئة سنة ، فذلك وجه العالم المغربي : فأننا نراه اليوم متأبطا لبذته ، يسير سيرا وثيدا في الازقة الضيقة القريبة من جامعة القرويين ، على نفس السمت الذي كان عليه نظرائه في القديم ، فإنه لم يتعلم ولا نراه يعلم غير ما كان يتعلم ويعلم أسلافه ، ويكفي أن نستفسره عن حاله وعن معلوماته لتكون لنا صورة دقيقة عن المعارف التي كانت تغير عقولهم وتدعو الى تقديرهم .

يمكننا أن نقول ان لقب العالم كان « وراثيا » لأننا كثيرا ما نلاحظ أن مؤلفي الكتب التي ظهرت بالمغرب على مدى فرنين أو ثلاثة ، ينتمون ، في غالب الاحيان ، الى شجرة أسروية واحدة ، الشيء الذي يجعلنا نقدر ان بيوتات احتكرت العلم فتوارثه افرادها خلفا عن سلف على مر عصور وأجيال ، وسيأتى لنا ان نترجم في الفصول التالية لبعض أعيان تلك البيوتات التي لا زلنا الى يومنا هذا نرى علماء من سلالتها يعتززون بالانتساب اليها ويحظون بهالة من الجاه والاحترام .

لن نطيل الكلام عن الطريقة التعليمية التي وجدنا المغرب يتبعها عند حلولنا به ، سيما وان تلك الطريقة لا تكاد تختلف عما هي عليه بالجزائر وتونس حيث تسنى لنا أن نتعرف عليها عن كثب : فالكتاب (او السيد) هي المرحلة التعليمية الاولى في الاقطار الثلاثة ، والقرآن هو أول ما يعني الاطفال بحفظه للتعود على القراءة وترويض الذاكرة ، تلك الذاكرة الطيبة العجيبة التي لا نملك معها الا أن نصدق ما يحكى في جملة أخبار القرون الاسلامية الاولى عن الرواة وعما كانت تفيض به حافظتهم من منظوم ومثنور .

هذا وقد لا يكون من نافلة القول أن تشير إلى مختلف المستويات التعليمية المعروفة الآن بالمغرب وأن نذكر ، ولو باختصار ، « المصنفات » المعتمدة ، تلك المصنفات التي قلما تتجاوز منها مكتبة من المكتبات المغربية وهي مكتبات يتييسر فيها للباحث أن يضع يده على ما لا زال منها في حيز المخطوطات ووجوده يبر بالدراسة والتحليل .

أن الطفل المغربي الذي يتوق ، نظرا لما تتمتع أسرته من جله ومال أو تأبيلية أرغبة حافزة أن ينابيع دراسته بعد تخرجه من المدرسة القرآنية (أي السيد) قلما يكون زاد على « حفظ » القرآن وترديد بعض القواعد النحوية البسيطة ، ولذا فأننا نراه يقبل أول الامر على استظهار متن **الاجرومية** وأرجوزة **الأرشد المعين** ، وهما من الامهات ولا بد من استيعابهما للامام بالبادي الأولى في النحو والعقيدة الإسلامية .

فاللغة والدين هما المعينان اللذان يجب على كل طامح في الحصول على لقب « عالم » أن يرتشف منهما ، بل أن يتصلع فيهما ، وذلك هدف لا يتحقق الا بالجلوس ، صباح مساء ، في حلق الشيوخ المتبحرين في العلم ، سواء في المساجد أو في الزوايا والا بالمواظبة على السهر ، الليالي تلو الليالي ، لاستذكار ما يسمعه في النهار من دروس ، واستحضار العبارات التي يرددها شيوخه .

أن الاستاذ دلفان (8) *(Delphin)* قد بين مفذ مدة ، في دراسة متعلقة بجامعة القرويين ، قائمة الكتب المعتمدة لكل مادة من المواد الملقنة ، الا انه توسع فيها بعض الشيء بحيث لا يمكن اعتبارها قائمة نموذجية . ولذا قمنا ببحث خاص في هذا المجال فتبين لنا ان الكتب المدروسة الآن في معاهد مختلف المدن المغربية محصورة العدد واشهرها :

(8) انظر مجلة الجغرافية والحفريات (وهران مجلد 8 ص 93 - 205) (المؤلف) - ذكرت

، راجع أخرى ص 13 من النص الفرنسي (المغرب) .

النحو والصرف : الإجرومية وشرحها للازهري ، الألفية ولامية الأفعال لابن مالك بشرحي المكودي والحرقي (وبحرق) ونظم الجمل للمجراد بشرح الرسموكي

البلاغة : التلّوّل للتفتزاني على مختصر القزويني لكتاب السقطي وحاشية الجرجاني السيد .

الدين والاصول : جمع الجومع للسبكي بشرح جلال الدين المحلي وحاشية كمال الدين بن أبي شريف .

ويعتبر من الضروري ، في هذا الصدد ، استظهار ألفية العراقي في علم الحديث قبل الاعتكاف ، سنين متوالية ، على دراسة كتب السنن كموطأ مالك ، و صحيح البخاري و شرح النووي على مسلم ، و الشهائل للترمذي والشفيا للقاضي عياض .

واذا كان الطالب يرغب في خطة القضاء فلا بد له من أن يحفظ ، عن ظهر القلب ، تحفة الحكام ، لابن عاصم ، ولامية الرقاق ، وان يقرأ على الاشياخ المشاركين رسالة ابن أبي زيد القيرواني بشرح ابي حسن علي الشاذلي ، ومختصر خليل بشرح الخرخشي والزرقاني وكذا شرح ميارة على المرشد ، وعقيدة السنوسي الكبرى ، والوسطي والصغرى بشروح وحواشي الدسوقي وان يختم كل ذلك بدراسة المقنع للمرغيني ، ومبادئ الحساب في مختصر القلصادي ومنية الحساب لابن الغازي .

ومتى قطع الاديّب المغربي هذه المرحلة الواسعة المدى بسلام ، فانه يكون مؤهلا « للمشاركة » ويكفيه أن يتصدر بدوره لتعليم طائفة من أبناء الجيل الصاعد ، لكي يتحلى بلقب « العالم » فيحظى باحترام الناس وتتيسر له وسائل العيش الرغيد .

هذا وكثيرا ما يبدي الطالب حرصه ، في فترة من فترات طلبه للعلم أو نهاية المطاف ، على نيل اجازة من شيوخه وهي بمثابة اذن برواية ما

تلقاه منهم ، وترخيص بالصلاحية « للمهنة التعليمية » ، الا أنها لا تحمل
بصادقة حكومية اذ المخزن المغربي لا يسلم للدارسين شهادات علمية ،
وكذلك كان الامر ، الى عهد قريب في ، البلدان الاسلامية الا أن الدوائر
الحكومية غالبا ما تشمل أهل العلم بحسن الرعاية ، وقد تخصص لهم
الأوقاف منحا شهرية زهيدة ولكنها مشرفة ، من غير أن تفرض عليهم القيام
بندروس معينة او تطبيق برامج تعليمية محددة .

ان الاجازات التي حفظتها لنا الايام مصادر بباوغرافية جد مهمة ،
والدليل على ذلك ، الدراسة التي قام بها الاستاذ ابن شنب ، سنة 1907 ،
بمناسبة اجتماع مؤتمر المستشرقين الرابع عشر ، والتي نشرت تحت
عنوان : « دراسة متعلقة بالشيوخ المذكورين في اجازة الشيخ عبد القادر
الفساسي

ومن جهة اخرى فاننا نجد عددا وافرا من العلماء المغاربة اهتموا بوضع
فهارس شيوخهم ، وهي وثائق مفيدة تمكن من تحديد المراحل الخاصة
بتدريس العلوم الاسلامية ، الا أنها تهم في غالب الأحيان ، علماء كرسوا
معظم حياتهم لطلب العلم ونشره بيد أن رجال الطبقة المتوسطة من العلماء
ينقطعون عادة عن الطلب في أواخر العقد الثالث من حياتهم ليسعوا في
الحصول على وظيفة رسمية او ليشغلوا بالتجارة او الفلاحة . ان أبا
القاسم الرياني الذي تولى خطة الوزارة عدة مرات (في القرن الثالث عشر
الميلادي) ، واهتم خلال الفترات التي أبعد فيها عن البلاط ، بالدراسات
التاريخية ، أخبرنا في كتابه **الترجمة الكبرى** انه انتهى تعليمه بفساس في
سن مبكر من عمره ، حيث قال :

« ، ولما بلغت مبلغ الرجال ، وحفظت كلام الله عز وجل على وجه
الكمال ، وطمحت نفسي لقراءة العلم الشريف ونسخ ما احتاج اليه من كل
شرح لطيف أول ما قرأت علم شيخنا الفقيه سيدي أحمد بن الطاهر

الشرقي انجرومية و السنوسية وابن عاشر . وقرأت الرسالة على شيخنا سيدي الطيب القادري بمسجد الاندلس ، ثم حضرت تشقيق الالفية بمدرسة الصهرريج عند سيدي عبد القادر بوخريص مع ولديه ، ثم الرسالة بمجلس واحد ، ثم صرت أحضر درسه مع انظبة بالمدرسة في التفسير ، و خليل ، والالفية ، ثم لازمت درس أبي حفص سيدي عمر الفاسي لخليل في القرويين ثم مختصر السنوسي ، ثم كنت أحضر مجلس شيخنا سيدي محمد بن ابراهيم لخليل بمدرسة العطارين ، ثم لازمت درس الفقيه سيدي محمد بناني الى أن أكملت نسخ حاشيته على الزرقاني ، الى أن كان عام تسع وستين ومائة والف (1755 - 1756) هـ. وسني ذلك ثلاث وعشرين سنة . (9) .

من البديهي أن المؤلفات المتداولة تعكس بوضوح خصائص هذه الثقافة ذات الطابع الاسلامي ، ولذا فلما نعثر ، ونحن أمام نتاج القرون السابقة ، على مجهود أدبي ذي اتجاه شخصي مبتكر ، وبات هم أغلب المصنفين يهدف الى تيسير فهم تلك الكتب المتضمنة لحقائق العلوم الاسلامية ، فتوفر عدد الشروح والحواشي والمختصرات التي ليس المقصود منها الا الاقاء أضواء كاشفة على محتوى كتب شيوخ اجلاء وفقهاء أفذاذ قلما يجود الزمان بمثلهم .

يبدو أن الحركة الدينية التي حمست ، بالمغرب ، النفوس ضد الغارات المسيحية ، وكذا الزوايا الطرقية والصوفية ، لم تكن لترضى على الادباء المهتمين بالمواضيع الدنيوية ، كالمجد والفخر اللهم الا اذا كان ذلك لاعلاء شأن الاسلام أو للتفويه بالصالحين والاولياء .

(9) نقلت هذا النص من كتاب الترجمة الكبرى (ص 56 - مطبعة فضالة

نعم ، فان بعض الملوك قد افسحوا مجالسهم للادباء واغدقوا عليهم الصلات فازدهرت في عهدهم الفنون الادبية الا أن هذه الحيوية قلما كان يمتد أثرها الى ما بعد وفاة أولئك المشجعين ، وقلما يتجاوز عاصمة من عواصم الملك .

ان المناقشات حول الابحاث النظرية لم يكن مسموحا بها ، واما التعاليم الصوفية فكثيرا ما كانت تتفتح لها بشوق ولهف قلوب المتعطشين للعيش في بحبوحة الحياة الروحية .

وخلاصة القول فان الثقافة الاسلامية ظلت مهيمنة على جميع الاقطار التابعة للديانة المحمدية الا أنها لم تنف في طريق الرقي ولم تنتج نتائج العلوم الاوربية .

ومهما يكن فان تلك الثقافة كانت بالمغرب راسخة في العقول والنفوس ، وكان الاعتناء بفهم وتفهم العقيدة الحنفية والشرعية الاسلامية ، الى أواخر القرن التاسع الميلادي ، يستحوذ على كل نشاط فكري ، ولم يكن يتأتى الاشتغال بالعلوم الدنيوية للمؤرخين الذين يكرسون جهودهم لدراسة ماضي وطنهم ، ولذا يمكننا أن نقول ان التاريخ السياسي والديني والادبي هو المادة الادبية الوحيدة التي تصطبغ بصبغة مغربية محضة ، وقد يحق لمغاربة هذا الجيل والاجيال المقبلة ، ان يعتبروا ذلك الادب التاريخي من أمس الوان التراث بكيانهم وأصالتهم ، وان يعتزوا به . واما الاوربيون فيكفيهم ان يحددوا عناصره ومقوماته ، والا يشغلوا أنفسهم بالبحث عما ليس فيه .

القسم الأول

★ ★

مفهوم التاريخ

الفصل الأول



المغاربة والتاريخ

(1)

صرح الكتاني في مقدمة كتابه سلوة الأنفاس (1) بأن المغاربة قليلو الاعتناء بالتاريخ ، وأكد تصريحه هذا ، الذي قد يستغرب أن يفوه بمثله عالم من أكابر علماء فاس ، بل الذي قد يستوجب لصاحبه الانكار والعتاب من لدن معاصريه ، للزمه آياهم بالنقص والاهمال ، أكد به حكم مماثل أورده اليوسي في محاضراته (2) ، وذكر محمد العربي الفاسي في مرآة المحاسن حيث قال :

« ، ، ، كم من عالم عرف برجاله وأوسع الخطو في مجاله ، ، ، ولم يكتفوا بما أدوا من الواجب ، وأبدوا من ذلك دون حاجب ، حتى أزروا ، ، بمن قصر عن أدائه أو قصر في إبدائه ، ووسموا المغاربة بالاهمال ، ودفنهم فضلاءهم في قبوري تراب واحمال ، فكم فيهم من فاضل نبه طوى فكره عدم التنبيه ، فصار اسمه مهجورا كأن لم يكن شيئا مذكورا » (3) .

(1) ج 1 ص 3 (قلة اعتناء أهل المغرب بالتاريخ) .

(2) ص 59 من المرجع المذكور .

(3) ص 4 طبعة فاس .

ان عددا لا يستهان به من الكتاب المغاربة أفصحوا ، في فترات تاريخية مختلفة ، عن هذه الظاهرة ، واذا ما كانوا أقدموا على استنكارها بكامل الوضوح ، فما ذلك الا لاقتناعهم بإعراض العلماء المغاربة عن الاهتمام بماضي بلادهم اعراضا لا مثيل له .

والحقيقة انه يكفي ان نسأل جماعة من رجال الفكر المشهورين بالاضطلاع في العلم والمعرفة ، لتقف على جهلهم المطبق للكثير من احوال أسلافهم . فانك قد تجد نفسك أمام عالم ممن تزدهي بهم المحافل الادبية ، واعترف لهم معاصروهم بالتبحر في الثقافة لانه ، مثلا : « القى محاضرة حول نقطة باء « بسم الله » (4) فلا تلبث ان تدرك انه لا يعرف من تاريخ بلاده الا ان « العلويين خلفوا السعديين » لان ذاكرته التي تركزت فيها معلومات جمة ، لا تساعد على ضبط الترتيب الزمني للدول التي توالت على المغرب ، فانه قد لا يكون يجهل ان ادريس الثاني هو الذي بنى مدينة فاس ، وان المولى اسماعيل هو الذي شيد قصور مدينة مكناس ، الا أنه قد يكون من باب الاعجاز الا يعتبر ذيفك الاميرين متعاصرين !!

اذا كان العالم المغربي لا يعير اهتماما كبيرا لمعرفة الاحوال التاريخية وتسلسلها الزمني ، فما ذلك الا لانه يعتبر التاريخ من المسائل الدنيوية وان الاشتغال به من باب اللهو والعبث .!

ومما يزيد التشبث بهذا الرأي هو انه لم ير ، مدة طلبه للعلم ، شيخا من شيوخه حثه على دراسة ماضي المغرب ، سواء السياسي منه أو الادبي ، وان البرامج التعليمية المغربية لم تكن تعتنى بالمطالعة التاريخية . فكيف ، والحالة هذه ، الا يولي ظهرة لمادة لم تخصص لها ولو ساعة واحدة من تلك الساعات العديدة المخصصة للنحو أو للفقهاء مثلا ؟

(4) نزمة الحادي ط هوداسي ص 132 من النص العربي و 219 من الترجمة .

وبناء على هذا فإن المؤرخين القلائل الذين عاصروا أولئك العلماء الجامدين كانوا بدون شك ، يعدون من التأثيرين أو على الأقل ، من الأدباء المشكوك في صلاحهم وخيارتهم ، وذلك لاعراضهم عن المجالات التعليمية المقررة ، واقبالهم ، ولو لمدة قصيرة ، على المواضيع التاريخية ، وعليه فاذا ما استثنينا الزياني ، فاننا لا نكاد نجد مؤرخا لم يخصص قسما من حياته للدراسات الاسلامية ولم يقوم بتحرير شرح او حاشية او غير ذلك ليسترضي أولئك الذين سيقبلون على مطالعة تأليفه التاريخية ويبين لهم انه لم يحد عن الطريق المستقيم .

وبالاضافة الى ذلك فإن المؤرخين المغاربة لا يغفلون في غالب الاحيان عن تصدير مصنفاتهم بحجج تثبت حسن نيتهم وتؤكد قوائد التاريخ ، معتمدين في هذا الشأن على مصادر اشتهر اصحابها بمتانة ديانتهم ورسوخ عقيدتهم . وهكذا نرى احمد بابا التنبكتي في نيل الابتهاج (5) ومن بعده اكنسوس في الجيش العرمرم (6). يكرران في المقدمتين قولا يؤكد فائدة التاريخ ومنسوبا للعالم الشهير ، جلال الدين السيوطي ، وهو : « الجاهل بالتاريخ راكب عمياء ، وخابط عشواء ، ينسب الى ما تقدم أخبار ما تأخر ، ويعكس ذلك ولا يتدبر » (7) .

يتجلى اهتمام المؤرخين بلفت الانظار الى قيمة مصنفاتهم ، بل باستمالة الناس الى مطالعتها ، في اهتمامهم بتخصيص جزء من مقدماتها للغرض من الجاهلين للتاريخ وكذلك لتبيين قوائد ذلك العلم الجدير بان يتخذ محلا لائقا به ، ضمن العلوم الاسلامية .

(5) ص 4 (المؤلف) .

(6) ج 1 ص 2 (المؤلف) .

(7) حققت النص من هامش كتاب العيباج ص 22 ط 1329 هـ (المغرب).

(2)

أكد اليفرنى في مقدمة كتابه **نزهة الحادى** ان التاريخ يعد من « العلوم الشرعية » وان ذوي الافكار النيرة من الكتاب « يقدمونه » (8) ، ومثله في الفائدة ، بالنسبة للزيانى والناصرى ، مثل علم الانساب لسمى العرب : « وكفاه شرفا ان الله تعالى شحن كتابه العزيز من أخبار الامم الماضية والقرون الخالية بما أفحم به اكابر أهل الكتاب ، ، ثم لم يكتشف تعالى بذلك حتى امتن به على نبيه الكريم وجعله من جملة ما اسداه اليه من الخير العميم (9) .

لا توجد مقدمة (10) لم يفكر فيها صاحبها آية قرآنية ، او حديثا شريفا ، للاستدلال على ما في التاريخ من فوائد جليلة ، وكثيرا ما تكون طريقة ذلك الاستدلال صبيانية أو على الأقل ، لا تقتسم بالابتكار اذ كلها ترمي الى معنى واحد وهي ان القرآن وكتب السنة هي المصادر الاولى للتاريخ الاسلامى ومن أجل ذلك لا يجمل بنوئى الفضل والدين أن يذموه او يستنقصوا قيمته (11) .

وبجانب هذه الحجج الدينية فان هناك وقائع مشهورة تثبت فائدة التاريخ ولا يغفل الاخباريون وكتاب التراجم المغاربة عن ذكرها في صدور مؤلفاتهم ، من غير ان يدخلوا عليها أي تغيير في الاسلوب او في المضمون ، وغالبا ما تكون من جملتها واقعة رئيس الرؤساء لاتي استشهد بها كتاب

(8) طبعة هوانس : النص العربى ص 2 الترجمة ص 3 .

(9) تصرفت شيئا في ترجمة هذه السطور فانت بنص الجملة الواردة في الاستقصاء

(ج 1 ص 5 طبعة الدار البيضاء) التي اكتفى المؤلف بالإشارة الى محواها و اضاف اليها في

التعليقين 1 و 2 من ص 25 بعض المصادر التي تشتمل على مثل هذه الحجج المستعمل بها على فائدة التاريخ .

(10) أي من المقدمات التي صدرت بها كتب التاريخ .

(11) من المعلوم ان كتب التاريخ الاولى هي كتب المغازي (المؤلف

غير مغاربة منهم ياقوت (م 626 هـ 1229 م) في معجم البلدان وابن
خلكان (م 681 هـ 1282 م) في وفيات الاعيان والصدفي (م 764 هـ
1363 م) والسيوطي (م 911 هـ 1505 م) ، (12) واستشهد بها من بعدهم
كتاب مغاربة ، منهم أحمد بابا في نيل الابتهاج (13) ومحمد الدرعي في
الدرر المرصعة (14) والقادري في نشر المثاني (15) والزياني في الترجمان
المعرب (16) واكنسوس في الجيش المرمم (17) والناصرى في الاستقصا
(18) وابن الوقت في السعادة الابدية (19) .

واليكم نص الواقعة كما ذكرها خليل بن ايبك الصفي في صدر
معجمه الوافي بالوفيات (20) .

د ، ، من فوائد التاريخ واقعة رئيس الرؤساء (21) المشهورة مع اليهود
ببغداد ، وحاصلها انهم اظهروا رسما قديما يتضمن أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم أمر باسقاط الجزية عن يهود خيبر ، وفيه شهادة جماعة من
الصحابة منهم علي بن أبي طالب - رضي الله - ، فرفع الرسم الى رئيس
الرؤساء وعظمت حيرة الناس في شأنه ، ثم عرض على الحافظ أبي بكر
الخطيب للبغدادي ، فتأمله وقال ، هذا مزور . فقيل له ، بم عرفته ؟ فقال :

(12) حسب ما ذكره المؤرخون المغاربة أنفسهم .

(13) ص فاس ص 4 .

(14) مخطوط في خزانة عبد الحي الكتاني .

(15) ط فاس ج 1 ص 5 .

(16) مخطوط سلا .

(17) ط فاس ج 1 ص 3 .

(18) ط القاهرة ج 1 ص 3 .

(19) ط فاس ج 1 ص 7 .

(20) نقلت هذه الواقعة من كتاب الاستقصا (ط الدار البيضاء ج 1 ص 4 ص 4 (المغرب).

(21) وزير القائم بامر الله العباسي علي بن الحسن المعروف بابن المسلمة (عن الاستقصا

ط البيضاء) (المغرب).

« فيه شهادة معاوية ، وهو أسلم عام الفتح سنة ثمان من الهجرة ، وخيبر فتحت سنة سبع ، وفيه شهادة سعاد بن معاد وهومات يوم بني قريظة ، وذلك قبل فتح خيبر ، فسر الناس بذلك وزالت حيرتهم اهـ . »

ان هذه الواقعة لا تثبت في حقيقة الامر الا غلطة بسيطة في توقيت احداث تاريخية ولم يكن فيها ما يدعو الى اشهارها بهذه الصورة (22).

هذا ولا بد ان نشير ، في هذا الصدد الى الجهود التي لم يفتأ يبذلها المؤرخون المغاربة ليضيفوا الى الحجج العامة السابقة ، المثبتة لفائدة التاريخ ، حججا أخرى مستخلصة من احوال البيئة القومية (23) وانقلا نجد من بينهم من يبرز اهتمامه بالتاريخ بما يمكنه لبلاده من حب وقد أفصح (24) ابن عسكر عن هذه العاطفة في كتابه **دوحة الناشر** حيث قال : « ، ، ، ، وانما جعلته مختما بمشائخ المغرب لكونه وطني ومغربي شجائي ومعطفي » ولم يلبث أن أشفع ذلك بذكر حديث نبوي يرفع من شأن المغرب وورد نصه في صحيح مسلم ، وهو قوله (صلى الله عليه وسلم) : « لا تزال طائفة من أمتي بالمغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » (25) ونحن نعرف ان الخاتمة التي كانت عليها حياة ابن عسكر لا تنبيء بشدة حبه لبلاده لانه مات ، (سنة 1578) ، في واقعة وادي المخازن وهو يقاتل أبناء قومه في صفوف الجيوش البرتغالية (26) .

(22) اني استغرقت هذا الهوي من لدن الاستاذ بروفنصال !! (المغرب) .

(23) انظر ما ذكره صاحب الاستقصا في هذا الموضوع (المقدمة) .

(24) ص 23 ص 2 .

(25) نفس المصدر ص 3 . وقد ذكر أيضا هذا الحديث اليفراني واكتسوس والتشاطبي صاحب كتاب الجسمان في عجائب الزمان (المؤلف) .

(26) كان مواليا للامير السعدي محمد بن عبد الله الذي استغاث بملك البرتغال ضد اخيه عبد الملك (المغرب) .

صدر بالمطبعة الحجرية الفاسية اخيرا كتاب عنوانه : السعادة
الابدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية كثر صاحبه محمد بن
الوقت ، في مقدمته ، كثيرا مما ورد في المصنفات التاريخية من كلام عن
فوائد هذا العلم ، وأضاف اليها حججا قد يكون رآها ذات صبغة فلسفية
اذ تعتمد فيها التمييز بين فوائد التاريخ الدنيوية وفوائده الاخروية حيث قال
« من فوائد التاريخ الدنيوية ، ان الملوك ومن اليهم الامر والنهي اذا وقفوا
على سيرة أهل الجور والعدوان ورأوا مدونة في الكتب يتناقضها الناس ، ،
ونظروا الى ما اعقبت من سوء الذكر وقبيح الاحدثة وخراب البلاد وهلاك
العباد وذهاب الاموال وفساد الاحوال استقبحوها واعرضوا عنها واطرحوها
، ، ، واذا رأوا سيرة الولاة العادلين وحسنها وما يتبعهم من الذكر الجميل
بعد ذهابهم ، وان بلادهم وممالكهم عمرت ، وأموالها درت ، استحسنا
ذلك ورغبوا فيه وتابروا عليه ، وتركوا ما ينافيه ، هذا سواء ما حصل لهم
من الاراء الصائبة التي دفعوا بها مضادة الاعداء وخلصوا بها من المهالك ،
واستصانوا نقائص المدن وعظيم الممالك ومنها ما يحصل للانسان من
التجارب والمعرفة بالحوادث ، وما تصير اليه عواقبها ، ، ، وأما الفوائد
الاخروية فمنها ان لا عاقل اللبيب اذا تفكر فيها ورأى تقلب الدنيا بأهلها
وتتابع نكباتها على اعيان قاطنيها وانها سلبت نفوسهم ودخائهم وأعدمت
اصاغرهم وأكابرهم ، ، زهد فيها ورغب في دار تنزهت عن هذه الخصائص
وسلم أهلها من هذه النقائص ، ، (27) .



(3)

لاشك أن الابحاث التاريخية لم تكن تحظى ، في المغرب ، برضى أهل
العلم ، ولكن قد يكون من الشطط ان نزع من انه لا توجد بهذه البلاد كتب
تاريخية مطابقة لسنن الادب أي « كلاسيكية » ، جديرة بالدراسة ، من

(27) هـ فاس - وقد خفي عن المؤلف ان هذا الكلام منقول عن ابن الاثير . (المغرب).

غير ان نعني بذلك انها كانت معتمدة في المدارس ، اذ البرامج التعليمية المتبعة لم تكن لتخصص حصصا لشرح كتب التاريخ ، كما كان عليه الامر في كل ما يتعلق بالمواضيع الاسلامية الصرفة .

عبر الاستاذ دلفان (Delphin) عن نفس الملاحظة حيث قال : « اذا كان التاريخ لا يدرس شفويا ، ومثله في ذلك مثل الجغرافية ، فان بعض الطلبة كانوا يدرسون في كتب الفت بالمغرب او خارجه » (28) واما القائمة التي زوده بها مخبره ، فان الكتب التي كانت تشتمل عليها تنم عن تبصر في وقع اختياراتهم لها، اذ نجد من بينها ، من جهة ، مصنفات ابن الاثير والسيوطي ، ومن جهة أخرى ، كتب الزياني وحمدون بن الحاج .

والاهم من ذلك في نظرنا هو اننا نرى المؤرخ اكنسوس يذكر من تلقاء نفسه ، مجموعة من المصنفات التاريخية اعتبرها جديرة بالتقدير ، وان كان ، حسب ما نرجح ، لم يطالعها كلها ، وقال في مقدمة الجيش العرمرم : (29) « فمن المؤلفين في التاريخ المشاهير ، الامام البخاري وابن الكلبي ، والذهبي والمسعودي ، وغيرهم مما لا يحصى ، هذا في العموم وأما فيما يخص قوما او أجيالا بأعيانهم أو دولة معينة دون غيرها فكثير أيضا كابن الرقيق في دول افريقية ، وابن حيان المؤرخ في الدولة الاموية بالاندلس ، وصاحب دور الاثمان في دولة آل عثمان ، (29) وكتاب القرطاس في دوله الادارسة ، (30) وابن خلدون في بغية الرواد في دولة بني عبد الواد ، والتقنسي في نظم الدرر والعقيان في بني زيان ، وأحمد بن عبد السلام الجراوي في صفوة الادب في دولة الموحين ، و روضة النسرين في دولة بني مرين ، والفشتالي في مناهل الصفا في دولة السعديين . (31)

(28) في كتابه فاس وجامعتها (ص 36 فقرة 16) ومخبره هو ادريس بن ثابت المؤلف .

(29) دور الاثمان في أصل منبع آل عثمان لابن السرور محمد الصديقي المصري حسب ما ورد في كشف الظنون ص 745 (المغرب) .

(30) قال ليفي بروفنصال في آخر هذه الفقرة ان كنسوس غلط فجعل القرطاس اسما للمؤلف ، وليس في النص العربي المنقول عن المخطوط ما يؤيد لمزه هذا . (المغرب) .

(31) أشار ليفي بروفنصال الى المصادر الاوربية التي فكرت فيها هذه الاعلام وأهمها بروكلمان وهيار .

إن الكاتب اكنسوس هو ، حسبما ما يظهر ، الوحيد الذي ذكر لنا ، في قائمة خاصة ، المؤلفات التاريخية التي يمكن الرجوع اليها ، أما باقي المؤرخين فانهم غالبا ما يكتفون بان يسوقوا عرضا أقوال بعض أعلام العلم التاريخي المشهورين ، وذلك اما لتوكيد نظرية او رأي في شأن واقعة ذكروها في مصنفاتهم او لاقامة مقارنة سواء ان كانت تلك المقارنة مواتية أم لا .

ان كانت تلك الاقتباسات تساعد على معرفة المراجع التي اعتمد عليها المؤرخ ونقل منها ، بطريقة مباشرة او غير مباشرة ، فانها تبين لنا كذلك ان مفهوم التاريخ بقي هو هو في أذهان المؤرخين خلال أجيال متوالية .

ومن الجدير بالملاحظة ، أن ذلك المفهوم المشترك لا تدرك ماهيته بكامل الوضوح لمن يستقريء الكتب المؤلفة بالمغرب .

ان كل المؤلفين المغاربة يتبادرون في التنويه بقيمة فن التاريخ وفي توضيح ماله من فوائد جمة ، ولكنهم قلما يعنون عناية مرضية بشرح مفاهيم التاريخ وتحديد ماهية ، من غير ان يلقوا أفكارهم في جملة كثيفة من المحسنات البديعة والتعابير الرنانة ، التي لا تيسر استيعابها وادراك معناها الحقيقي .

لقد حاول صاحب « الجيش العرمم » (32) ان يحدد في مقدمته بعض تاك المفاهيم ولكنه لم يزد على ان لف ذلك في عبارات مسجوعة قليلة الفائدة حيث قال : « ، ، فان النفوس والارواح لها بالاخبار السالفة انبساط واسترواح ، تدير في الجامع كؤوسها وتجلى على منصات المحاضرات عروسها ، ، والمتكفل بها هو التاريخ ، ، ناهيك فنا يفيد موعظة وعلمنا ويمنح العقلاء لسانا وفهما تسمو اليه الهمم العالية ، وتحيا به الرمم البالية » !!

(32) الجيش ج أ ص 2 (نقلت النص عن المخطوط الذي بقسم الوثائق بالرباط رقم

ومن جهة أخرى فان مؤرخين آخرين ، ومنهم ابن الموقت (33) اكتفوا بنقل الفصل الذي خصصه ابن خلدون في مقدمته للتعريف بفضل التاريخ والذي صرح فيه بقوله : اعلم ان فن التاريخ عزيز المذهب ، جم القوائد ، شريف الغاية ، ، » .

يبدو أن وضوح ذلك الفصل قد أثار إعجاب الاخباريين المغاربة ولكن يبدو كذلك أن أولئك الاخباريين لم يكونوا يعتبرون ذلك المؤرخ الفيلسوف الواسع الافق قدوة لهم يسلكون مسلكه في البحث ، وينزعون نزوعه الى التحقيق ، وان كانوا ، مع ذلك ، يعدونه من اعلام العرب الذين يستطاب الاعتزاز بذكر مفاخرهم ، والتفويه بمحاسنهم . كان من اللازم ان يبقى التاريخ معدودا من العلوم ذات الصبغة الشرعية التي لا يستنكر مضمونها لان المغاربة المعروفين بشدة المحافظة ، لم يكونوا ليحاولوا بناءه على أسس جديدة تنم عن خاصية ذاتية أو ميزة أصيلة ، ولا ليقدّموا على تطوير مفهومه ، ذلك المفهوم الذي اتفق على احترامه كافة الكتاب العرب بالشرق وبالغرب .

ان لفظة التاريخ « تعني ، في اللغة العربية أول ما تعني » تعريف الوقت « وعليه ينبغي الا نعتبر كتب التاريخ أكثر من مجاميع احداث توافقت أوقات وقوعها .

ولا يخفى على احد ان هذا التعريف غير دقيق لانه يتسع للتاريخ الادبي والتاريخ السياسي وعلم الانساب وتراجم الاعلام من ذوي السلطان أو ذوي الصلاح ، ويتسع حتى لعلم الجغرافية لان المسلمين اذا ما وصفوا قطرا من الاقطار يرون من الضروري ان يتكلموا عن الاعيان الذين يعيشون فيه والبيوتات التي اشتهرت في ربوعه .

لقد حدد حاجي خليفة مجالات هذا المفهوم بصورة تمتاز بالدقة
الايجاز وذلك في معجمه **كشف الظنون** حيث قال : وعلم التاريخ هو
معرفة أحوال انطوائف وبلدانهم ورسومهم وعباداتهم وصنائع أشخاصهم
وأنسابهم ووفياتهم الى غير ذلك ، وموضوعه أحوال الاشخاص الماضية
من الانبياء والعلماء والحكماء والملوك والشعراء وغيرهم « (34) والظاهر
ان هذا الترتيب وضع على هذا الشكل عن قصد ووعي ، للتنبيه على ان
كتاب التاريخ يهتمون قبل كل شيء بتراجم الاعيان من مختلف الطبقات ،
وغالبا ما يكون التاريخ السياسي آخر ما يعتنون به .

وعليه فلا ينبغي ، ونحن نتكلم على بلاد عرف أهلها بالاغراب في
المحافظة على التقاليد والنواميس السلوكية ، ان نعجب من ميل مؤرخيه
الى الاشتغال بسير المتقدمين من الاشراف والنبلاء سواء منهم الملوك والحكام
الذين تعاقبوا على مسرح السياسة وكانت بأيديهم أزمة الامور الدنيوية ،
او العلماء والصالحين المعروفين باخلاقهم الى الحياة الروحية ، فكانوا في
نفس الوقت اخباريين وكتاب تراجم ، سالكين المسالك التي سبقهم عليها
المؤرخون في باقي اقطار العالم الاسلامي .

ومن المعلوم ان الملاحظات والاستنتاجات التي سنصل اليها في بحثنا
حول الحركة التاريخية بالمغرب ومجالاتها منذ اربعة قرون ، ستكون في
جملتها ، مطابقة للتي قد تستخلص من دراسة باقي التاريخ الاسلامي .

(34) طبعة فولجل ج 11 ص 95 - 96 (المؤلف) واعتمدت أنا على الطبعة التركية فنقلت

النص من باب «النساء» «تاريخ» وقد لاحظت خلافا طفيفا في ترتيب الاشخاص (المغرب).

الفصل الثاني



الفنون التاريخية

- أ -

تاريخ الدول والسلالات المالكة :

ان من الحقوق التي كان يخولها الملوك المسلمون لانفسهم هو ان تدون أعمالهم ومآثرهم في التواريخ الرسمية ، لانهم كانوا يرتاحون لقراءة ما يمجدهم ويخلد ذكركم ، ولان ذلك من شأنه ان يرفع منزلتهم ، لا في نظر شعوبهم فحسب ، ولكن في نظر الامم الاجنبية أيضا .

لقد كانوا يجزلون العطايا لمن يسجل محاسنهم ويحبر مفاخرهم ، وكان من الطبيعي ان يتزاحم الكتاب على أبواب قصور الحكام ليقدموا لهم نتائج قرائحهم رغبة في الحصول على الصلات او الوظائف المخزنية ، ومنهم من تزينهم المؤهلات المواتية والمواهب المناسبة ، ومن ينقصهم كل شيء الا الطمع والجشع آ

ليس لدينا معلومات تثبت أنه كان بالبلاطات المغربية مؤرخون رسميون اختيروا لكفاءتهم ومزاياهم الفكرية . ان الملك السعدي احمد المنصور الذهبي هو الوحيد ، حسب ما نعرف ، الذي حرص على ان يكون من بين موظفي دواوينه مؤرخ رسمي ، بيد ان غيره من ملوك البلاد كانوا يكتفون بتشجيع من يتغنى بفضائلهم وتكريم من يشيد بمحامدهم .

ولا غرو ، انه كان بالمغرب كذلك كتاب تصدروا تلقائيا لتسجيل مثالب الطاغين من ولاية الامور ، وللتنديد بمساويء المستبدين غير أنه من المحقق أنهم لم يفعلوا ذلك لتفوير العامة الاغمار ، ولكنهم فعلوه لاسترضاء الخاصة الناقمين على ذوي السلطة والمتربصين بهم دائرة السوء .

ومهما يكن فان الباحث قلما يعثر على مثل تلك الاهاجي لان الملوك ، الذين كانوا عرضة لها ، لابد أن يكونوا قد بذلوا كل ما في وسعهم لمحو أثرها خصوصا اذا لم يتمكنوا من القضاء على اصحابها .

وعليه فاذا كان من المتوقع ان نجد في المظان المغربية النوع الاول من التواريخ الخاصة بملوك وأمراء الدولتين ، السعدية والعلوية ، فانه قد يكون من العبث ان ننتظر الوقوف على نماذج من النوع الثاني لانها اما فقدت بالمررة واما لم يبق منها الا النزر القليل .

ولا حاجة الى القول ان هذا القسم من المؤرخين المتمتعين برضى الحكام يجافون الفزاحة والصدق ، ولذا ينبغي ان نقرأ مؤلفاتهم بحذر شديد لانها مليئة بالتحريف ، وتكيل التملق بالملكيا لالافى بحيث قد تجعل من أشد السلاطين فجورا وبطشنا ، سلطانا مثاليا .

وبجانب هذا اللون من التواريخ ، توجد مؤلفات أخرى تقسم بالتحيز ، ولكن لم يكتف أصحابها بمدح المجالس على العرش ، وانما أوردوا بعض التفاصيل عن الاحداث الهامة التي وقعت في عهده مع مقدمة عن اسلافه ، وأضافوا اليها بعض الاحصائيات التي لا تنكر قيمتها . ولذا ينبغي التمييز بين المؤرخين الذين يكلفهم السلطان رسميا بتحرير سجلات أعمالهم ، فيزودهم بالتوجيهات اللائقة ويغفق عليهم الصلات في مختلف المناسبات ، وبين امثالهم ممن يقدمون من تلقاء أنفسهم على الكتابة ويهدون مؤلفاتهم للسلطان ، فلك أن المؤرخين الرسميين ، ان صحت هذه التسمية ، يستطيعون عادة ، ولا نقول دائما ، أن يحصلوا على المعلومات فيتنسفي لهم أن يدرجوا

في توأليفهم قوائم كاملة لاسماء الموظفين الساميين من وزراء وكتاب وقضاة، وأخبارا ضافية عن الانقصاصات والفتوحات ، وعدد العساكر ، وكذا تفاصيل عن التحصينات المقامة داخل البلاد وفي تخومها ، وعن اصلاحات المراسي التي تقصدها المراكب التجارية الاوربية ، ولا يغفلون ، بمناسبة كل حرب، ان يوردوا نصوص رسائل التهئة التي وصلت ، والرسائل التي بعثت لمختلف الاقاليم أو الى الدول الاجنبية ، وغالبا ما يشفعون كل ذلك بوصف استقبالات السفراء الاجانب الذين وصلوا الى البلاط ، واعدادات البعثات التي أرسلت الى بلاطات الخارج ، اذ يرى المؤرخون في كل ذلك اشادة بعظمة الاسرة المالكة وبأهمية الحاشية ، وقد لا يفوتهم كذلك ان يذكروا نفقات الاسرة .

ونحن عادة نميل الى الثقة بالكتابات التي يدونها كاتبها عند ما تكون الاسرة الحاكمة في أوجها أي عندما يكون صادقا في وصف أحوالها . واما اذا كانت تلك الاسرة منهارة مهددة بالفتن في الوقت الذي يكون فيه المؤرخ يدون أخبارها فاننا نميل الى الحذر منه والى اتهامه بالتحيز والتزوير لان التجارب المغربية اثبتت ان الملوك المحاطين برؤوس الفتنة ، المتوقعين حلول البواشق ، هم الذين يحسون بالحاجة الى اشاعة فضائلهم ونشر محاسنهم لاحباط مساعي مناوئتهم وادحاض ادعاءات مقاوميهـم .

ومن جهة أخرى فانه يجب على المؤرخين الذين يقدمون تلقائيا على كتابة تاريخ سلطان أو دولة ان يكونوا متحفظين في سرد الاخبار سيما اذا ما شرعوا في انجاز أعمالهم ، وسوق المهرج نافقة ، لان الملك الجالس على عرش غير ثابت القوائم كثيرا ما يرى في ثفايا الحقائق المسجلة طنزا أو تلميحا لمواطن ضعف المملكة ، أو يرى فيما حشد ثم الكاتب سما في دسم لابد أن يجازي صاحبه بالضرب أو السجن أو القتل !

واذا ما كانت هذه المؤلفات لا تنطوي الا على الثناء والتمجيد فان رجال الفكر لا يلبثون ان ينظروا اليها بعين السخط ويعتبروها من سقط المتاع .

فهذه الكتب لا تحظى اذن ، في كلا الحالين ، لا برضى البلاط ولا برضى
أهل العلم ، وقلما يحتفظ بها في المكتبات الخاصة أو في مستودعات
القصور المخزنية .

اننا لا نرى في ضياع الكتب التي تصنفها بعدم التحيز ما يستوجب
التأسف والتحسر لاننا ، حتى اذا فرضنا ان البعض منها قد يكون محتويا
لمعلومات مفيدة عما يجري في البلاطات من دسائس ومؤامرات ، أو حقائق
مرة تتعلق بغارات تأديبية ضد الشاقيين لعصا الطاعة ، قد يكون المؤرخون
الرسميون ستروها فانها مضمنة لنوع آخر من التحيز السلبي الذي يهدف
الى تجريد الدولة من كل مزية أو محمودة تأييدا لنأشري الاراجيف من
الطامعين في الاستيلاء على أزمة الحكم .

وهنا يجدر بنا أن ننسبه الى أن الكثير مما قلناه في شأن هذا النوع من
التواريخ لا يخرج عن نطاق الافتراضات لانها مفقودة ، ولأن الكتاب الذين
سجلوا الاخطاء والعيوب والنقائص المنسوبة لاهل الحل والعقد قليلون جدا ،
ومن هذه القلة الشريف المولى الحسن ابن السلطان سيدي محمد بن عبد الله ،
(1757 / 1789 م) الذي ، حسب ما يرويه كتاب جديرون بالثقة ، ألف
كتابا مملوءا بالنقد واللوم المرير ولم يجد حرجا في تسجيل جميع ما شاهد
من نقائص الاسرة الحاكمة التي ينتمي اليها ، ومنها أخطاء حكومة والده .

وثمة كاتب آخر ، سنتعرض له فيما بعد ، وهو أبو عبد الله محمد
ابن عبد السلام الضعيف الرباطي الذي « أرخى العنان لقلمه » في كتابه
تاريخ الدولة العلوية الى عهد المولى سليمان ف سجل فيه كل ما بدا له
قبيحاً ، ومن المؤسف اننا لم نعثر على كتابه رغم استقصائنا في البحث
عنه (1) عسى ان نجد فيه معلومات تسد ما بكتب التاريخ المغربي الحديث
من فحوات تعتمد المؤرخون المحترفون أهملها .

(1) توجد منه نسخة نسخ مخطوطة بالخزانة العامة (قسم المخطوطات) (المغرب) .

نعم فان هؤلاء المؤرخين كثيرا ما يعتمدون « نسيان » الحقائق او « تحويرها » اذا ما رأوا أن الضرورة تدعو الى ذلك ، وهم من جهة أخرى ، متيقنون أنه من السهل على القراء المتيقظين ان يكشفوا ما قصد « كتمانها » وقد أعرب المؤرخ السعدي ، محمد الصغير الافراني ، في كتابه **نزهة الحادي** عما يحمل الكتاب على ذلك السلوك ، ويستوجب التغاضي عن هذا النوع من التحفظ حيث قال : « ،،، » وقد ضربنا صفحا هنا عن مطاعن رأينا الاعراض عنها اولى اذ من شرط المؤرخ الا يتبع العورات ولا تهتك الاعراض « (2) ، وقال : « ،،، » وتتبع ما وقع في ذلك يناقض غرضنا في هذا الكتاب من الاغضاء عن العورات والستر عن الفضائح وقد ألمعنا لك بما يكون دالا على ما وراء « (3) ، وقال في الفصل الاخير من كتابه : « ،،، » ولقد تجنبنا التغالي في الذم في حق بعض من يستحقه منهم — (السعديين) — سترنا للاعراض ورعيا لجانب الخلافة « (4) . ويبدو ان الافراني قد تفصل بلباقة مما قد يوجه له من انتقادات ولزات القراء المغرضون ، عند ما ساق في كاتبه رأي ابن السبكي في مهمة المؤرخ فأثبت ما يلي : « ،،، » قال الشيخ تاج الدين ابن السبكي ، رحمه الله ، في طبقاته : ان المؤرخين على شفا جرف هار . لانهم يستطيعون على أعراض الناس وربما وضعوا من الناس تعصبا أو جهلا او اعتمادا على نقل عن لا يوثق بهي ، قال : فعلى المؤرخ ان يتقي الله تعالى « (5) (X) .

يتأكد مما تقدم ان تدوين التاريخ السياسي يتطلب من المشتغلين به قسطا وافرا من الحذر والحيلة لتحاشي المزالق وتجنب المعاطب ، وان ما

(2) ص 9 من النص العربي المطبوع .

(3) ص 158 من نفس المصدر .

(4) ص 258 من نفس المصدر .

(5) ص 49 من نفس المصدر .

(X) يتجلى هنا ان في حكم الاستناد ليقني برونسفال على الافراني خاصة وعلى المؤرخين المقاربة عامة كثيرا من الحيف سيما وانه لم يأخذ من مقاطع النصوص الا ما يؤيد رأيه (المعرب).

نقوله عن مؤرخي الدولتين السعدية والعلوية ، ينطبق بصفة عامة على كافة المؤرخين الاقدمين الذين اعتنوا ، سواء في المغرب او في المشرق . بتدوين أخبار الملوك والامراء المسلمين ، وبهذه المناسبة يمكن لنا ان نستخلص ان المؤرخين المغاربة حذوا حذو سابقيهم من ابناء قومهم ، وكذلك من المشاركة ومن الاندلسيين ، فانسجوا على منوالهم فيما يتعلق بمضمون التاريخ وحتى في الحوليات والاراجيز .

وفي الختام يجدر ان نلاحظ ان أصحاب المدونات التاريخية يقتصرون على الاهتمام بالسلطة الملكية وما يحيط بها فحسب ، وانهم يهملون عن قصد تاريخ البلاد الداخلي الشعبي الذي يدور حول زوايا المرابطين و « الطرق » الدينية ، وقد يكون ذلك اعتبارا للرعاية والاكرام الواجبين لذوي الحكم ، ومراعاة للصراع الخفي والصريح بين السلطة المركزية الملكية وبين الرؤساء الدينيين ذوي النفوذ الواسع لدى عامة الناس .

واذا كان مؤرخو الاسر الحاكمة أهملوا ذلك الجانب من التاريخ ، فاننا نجد في كتب أخرى خصصت لتراجم الاولياء والشرفاء والعلماء ، ولم يغفل المؤرخون الاوربيون عن الرجوع اليها لاستكمال المعلومات واستكشاف حقائق الاحوال .



- ب -

كتب التراجم

تشغل تراجم العظماء ، في آداب العالم الاسلامي ، شرقا وغربا ، مكانة سامية ، وقد بدأت العناية بها في عصر مبكر جدا ، وهي تمتاز بكثير من عناصر التحقيق ، وتشتمل على تراث واسع بحيث اننا نستطيع ان نقول انه لولا كتاب **وفيات الاعيان لابن خلكان** ، و **الديباج المذهب لابن فرحون** ، مثلا ، لظلت زمر وافرة من أمجاد الاسلام مجهولة منمورة ، ولولا ما حفظته

لنا يد الدهر من كتب التراجم والسير والطبقات التي جادت بها قرائح أدباء الأندلس (6) وأقبل على دراستها علماء أوربيون ليقينا في غفلة عن جوانب ثرية من التاريخ السياسي والأدبي الخاص بالدول الإسلامية التي تعاقبت في الجزيرة الأسبانية .

وبالمغرب ، رغم تقصير الأدباء في الاهتمام بالدراسات التاريخية ، فإننا نرى عددا منهم سخروا أقلامهم لكتابة تراجم العلماء والصلحاء والمرابطين ، معتبرين « تراجم الكبار من أجل التاريخ » ، وطريقتهم في تدوين هذا النوع من الكتابات لا تختلف عما عرف بالشرق .

لا يخفى على أحد أنه ليس في أي بلد إسلامي آخر ما يعدل المغرب الأقصى في عدد الأولياء والصلحاء ، والشرفاء ، والمتشرفين ، المحاطين بالتبجيل والاحترام في الأوساط الحضرية والقروية ، مهما اختلفت مستوياتهم الفكرية أو المادية ، وتباينت عقوماتهم الروحية ، وتداخلت أغصان انتسابهم إلى شجرة الشرف النبوية .

ان الاهتمام بالتراجم في المغرب أدى حتما إلى الاهتمام بالانساب لتميز ذوي الشرف الصريح من أهل الدعاوي الزائفة .

ومن الملاحظ ان كتاب التراجم أقرب إلى الصدق والاعتدال من الاخباريين، لانهم لم يكونوا مدفوعين بحافز الحصول على هبات من الاسر الحاكمة أو صلات من الشخصيات البارزة التي يؤرخون لها ، اللهم الا اذا كانوا من نفس الاسرة التي يصفون أحوالها أو من أقرباء المترجم له أو من أصحابه.

ان الكتب المخصصة لتراجم الصلحاء والمجوبة حسب الاقاليم الجغرافية أو حسب التسلسل الزمني لا تخلو من استطرادات تتعلق بجوانب من حياة البلاد الداخلية ، ونحن ، ان كنا نأخذ على مؤلفيها اعراضهم عن صلحاء

(6) انظر الفهارس التي وضعها

البواني من عرب وبربر ، فأننا نستحسن أهملهم للمعلومات التي تأتيهم من مصادر شعبية شفهية سيما في شأن المناقب والكرامات لان جلها أقرب الى الاساطير منها الى الحقيقة ، كما نستحسن اقتصارهم على الصلحاء الذين لهم مقام كبير في الحياة الفكرية او الروحية او السياسية ، المحاربين للبدع الشعبية ، الأمرين المعروف ، الناهين عن الفكر .

ان قيمة هؤلاء الصلحاء الاجتماعية هي التي جعلت الكتاب يعتنسون بتدوين مناقبهم ومواقفهم الرشيدة ، ومراعاة تلك القيمة هي التي جعلتهم لا يهتمون بتراجم الصالحات من النساء وان كانت اضرحة الكثير منهن مزاررات تقصدها الجماهير الشعبية في مختلف المناسبات .

فكتب التراجم هي الوثائق المكتوبة الوحيدة التي يمكن ان نعثر فيها على معلومات تهم الطرق الدينية المنجزة في النواحي المغربية اذ يكاد يكون من قبيل المستحيل ان نجد من بين المترجم لهم في تلك الكتب صالحا مشهورا لا تربطه وشائج روحية او دموية بمؤسس احدى تلك الطوائف الطرقية ، او بأحد الدعاة لها ، كما انه غالبا ما تكون أسر شريفة هي المسيرة لطائفة من تلك الطوائف او المشرفة عليها ، اما بصفتها طوائف مستقلة قائمة الذات ، وأما بصفتها متفرعة عن غيرها ، وتلك الكتب هي التي تتيح لنا ان نعرف أسباب تأسيس كل واحدة من تلك المنظمات الدينية ، والدور السياسي والاجتماعي الذي كان لها بالمغرب خلال اطوار تاريخها .

ومن المتوقع كذلك ان نجد في تلك التراجم الشخصية او الاسروية فوائد تاريخية مهمة . فأننا مثلا نجد في كتاب مرآة المحاسن المخصص لمناقب جد العائلة الفاسية ، أبي المحاسن يوسف الفاسي ، وصفا قيما لمعركة وادي المخازن ، ونجد في كتاب البدور الضاوية معلومات وجيزة ، ولكن طريفة ، عن دولة المرابطين الدلائيين التي تقلص ظلها ، وانسحل الستار عليها بعد فترة قصيرة من نشأتها .

ان اعلام البيوتات المغربية غالبا ما يكون من أهل الصلاح والاستقامة، ومن أهل العلم والدراية ، ولذا نعتبر الكتب المخصصة للتفوية بفصائلهم ومناقبتهم وثائق مفيدة فيما يتعلق بالحياة الدينية وبالحياة الادبية . فأسرة الفاسيين مثلا ، التي أشرنا اليها أعلاه ، كانت ركنا من أركان الطريقة الشاذلية بالمغرب ، ومنبتا خصبا لعلماء اشتهروا بالتقوى والمعرفة بحيث أن أحدهم ، وهو عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي ، لقب عن جدارة واسحقاق « بسبيوطي عصره » .

وخلاصة القول فان المتصفح النبيه لكتب التراجم لابد أن يجد في ثناياها عناصر لا يستهان بها من مقومات تاريخ أمبراطورية الشرقاء السياسي والديني والاجتماعي والادبي .

هذا ومن المراجع التي يمكن أن تضاف الى كتب التراجم ، وبطبيعة الحال الى كتب التاريخ ، الفهارس التي ألفها أكابر العلماء ليعرفوا بشيوخهم وبالكتب التي قرؤوها أو فسروها أو علقوا عليها منذ شبابهم وذيولها في بعض الاحيان بأسماء الطلبة الذين تتلمذوا لهم ، وكذا الرحلات ووصاف ركب الحاج المغربي ، والاراجيز التاريخية والعلمية وحتى كتب النوازل ك**معيار الوثائريسي** ، لان كل هذه المؤلفات المختصرة منها والمطولة ، لا تخرج من شذرات ولمحات تتفاوت قيمتها التاريخية ، ولكن لا يجمل بالباحث النزيه أن يهملها .

ومهما يكن لتلك المؤلفات من نقائص أو من محاسن لابد لمن يريد ان يستخرج منها معلومات تاريخية طريفة ودقيقة ان ينتقدها بتبصر وحكمة ويحللها بنزاهة وأمانة .

ان المؤلفات التاريخية المغربية التي وصلتنا ، حوليات كانت او تراجم، لا تحتوي على أكثر من نتف مشتتة هنا وهناك ، كتلك التي يمكن العثور عليها في الوثائق المحفوظة بدور المستندات من غير ان يكون لها نفس القيمة .

الفصل الثالث



النهج التاريخي

يستخلص مما تقدم أن الكتاب المغاربة لم يفتؤوا ، خلال الأربعة قرون الأخيرة ، يقتفون آثار أجدادهم في كافة المجالات الأدبية .

لقد تم في أوروبا ، أثناء تلك الفترة الحيدة ، تقدم عظيم ، بيد أنه لم يطرأ ، بالمغرب ، أي تطور أو تجديد ، سواء في الاتجاه التاريخي ، والسعي في ادراك الماضي أو في مناهج أحيائه وأساليب عرضه .

وعليه فإن طريقة الكتابة ، لدى المؤرخين المغاربة ، بقيت هي نفس لطريقة التي عرفت في القرون الوسطى ، بالشرق والغرب والتي وضعها أسلافهم .

فإنهم سلكوا سبيلهم في استعمال الأصول والمراجع وفي مناهج لعرض ، وذلك بالنسبة لجميع النشاطات الفكرية ، وبوجه خاص ، بالنسبة لاتجاهات التاريخ من سياسية واجتماعية ودينية وأدبية .

فالسمة الخاصة التي اتسمت بها كتابات المؤرخين المغاربة وأصحاب قراجم ، هي أنها تنحصر في نطاق الحدود المغربية المعروفة بحيث يمكن قول أن دورهم التحرري كان مجرد اجابات عن أسئلة تقليدية ذات صبغة سلامية قوية

ان العثور على بعض المؤلفات التي كانت مراجع للمؤرخين وأصحاب التراجم المغاربة في العصر الحديث ، تتيح لنا معرفة طريقة استفادتهم منها ، في حين أنه يصعب علينا ان نحيط علما بما استعملوه من الاصول والمراجع التي توصلوا اليها بفضل تحقيقاتهم الخاصة أو التي وضعت تحت تصرفهم من لدن الدوائر الحكومية أو عمداء الاسر ذات الجاه والنفوذ ،

وهذه المراجع الاخيرة يتعذر ضبطها وتحقيقتها ولكن يمكننا ان نجزم ان المؤرخين لم يكونوا يلجؤون اليها الا نادرا وذلك حينما لا يكونون ، هم انفسهم ، معاصرين للاحداث التي يروونها .

وما دام الامر كذلك فانه ليس من الصعب أن نفتتح بأن المؤرخين المغاربة كانوا يستقون المعلومات التاريخية المتصلة بالمواضيع التي يؤمعون تدوينها ، من مؤلفات الكتاب الذين تقدموهم في ذلك المجال .

ولكن هنا ينبغي لنا أن نتساءل هل تيسر لهؤلاء المؤرخين ان يستقصوا المراجع المغربية الخاصة بالمواضيع التي تهمهم ؟ من البديهي ان نجيب بلا ، لانه اذا كان من السهل على المؤرخ أن يحيط بعناوين المراجع والاصول ، اذ جل الكتاب الذين سبقوه في هذا المضمار سجلوا قوائمها ، فان البسوس شاسع بين معرفة تلك المراجع وبين الوصول اليها والالمام بفحواها .

وعليه فاذا كان يسوغ لنا ان نثق بما يقتطفه المؤرخ من مؤلفات سابقيه ويورده في ثنايا اخباره عن الاحداث ، فانه يصعب علينا ان نصدق انه اطلع على جميع الكتب التي ذكرها في القوائم المثبتة في مستهل مصنفه او في خاتمته .

ينبغي لنا ان نعترف ان توثيق المراجع وضبطها من لدن الناقد او الراغب في الاستفادة منها لم يكن من الامور اليسرة ، ذلك لان المطبعة لم توجد بالمغرب الا في نهاية القرن التاسع عشر . هذا واذا كانت ظهرت ، اذ ذاك ، بفاس مطبعتان حجريتان نشطتا بعض الشيء ، فان المؤلفات التي

كانت تخرج منها كانت ذات طابع تعليمي في حين ان الانتاج الادبي والتاريخي كان من المحقق ان المشرفين الذين أسند اليهم ، على التوالي ، الاهتمام بمحتوياتها ، كانوا قليلي الاعتناء بالمصنفات التاريخية او المتعلقة بالتراجم ، لا يسهرون على سلامة المراجع الموجودة لديهم ولا يشغلون بالهم بتنميتها واثرائها . ولذا فاننا لا نشك ان الصعوبات التي فواجهها الآن بالمغرب للحصول على المراجع ، مماثلة للصعوبات التي كانت تعترض الباحثين المغاربة في العصور السابقة .

هذا ولا يجهل أحد أن علماء الحواضر المغربية الذين تملكوا مخطوطات أدبية فقهية أو تاريخية ، سواء بطريق الشراء او بطريق الوراثة ، يبعثون أشد البخل باعارتها وربما حتى باظهارها لمن لا ينتمي اليهم بوشائج عائلية ، هم ، في نظرنا ، على صواب لاننا لانكاد نعرف ، في هذا الوطن، من يشمل الكتب المستعارة بالحفظ والرعاية ، حتى يرجعها الى أصحابها بدون بقر ولا مسخ .

فان العالم الذي يرى نفسه مضطرا الى تلبية رغبة عالم آخر قصده لاستعارة كتاب من الكتب التي ورثها عن نويه لا يخرج من بيته ، ولو لدة قصيرة الا أن يعد أوراقه وكراساته بمحضر المستعير والا بعد أن يكتب تلك الاعداد على الورقة الاولى ، ويثبت بهخط يده ، ملكيته للكتاب .

لا بد اذن للكاتب المغربي الذي يرغب في معالجة موضوع تاريخي من أن يتذرع بالصبر والاناة اذا ما أراد أن يطالع كل ما كتب في شأنه : وبما أنه من المتعذر عليه الالمام بكل تلك المراجع ، فانه يكتفي ، في غالب الاحيان ، بالرجوع الى مظان قليلة من التي يسهل عليه الوصول اليها ، اللهم الا اذا كان له من النفوذ وعلو القدر ما يتيح له مواصلة الاستكشاف والبحث عن المراجع وييسر له الحصول عليها ليجعلها تحت يده فيستقي منها ما قد يتوقف عليه من معلومات .

عندما يحصل المؤرخ على الوثائق والكتب التي تهمة فانه يطلع على محتوياتها وينقل منها كل « الفوائد » التي يريد استخدامها ، او يكتفي بتسجيلها في « ذاكرته » . ان الافراني مثلاً زعم في خاتمة كتابه **نزهة الحادي** أنه قيد مستنداته في « بطائق » لكي يهذبها ، ولكن عاقته عوائق عن الرجوع اليها فهل من الممكن أن يكون قد اعتمد ، وهو يكتب تاريخه ، على ذاكرته فحسب ؟ فاذا اعتبرنا انه لم يكن من المستحيل عليه ان يستحضر عن ظهر القلب القطع الشعرية العديدة التي يشتمل عليها مؤلفه ، فاننا نستبعد الا يكون قد استقى مباشرة ، من كتاب الفشتالي . الفقرات الطويلة التي نقلها عنه وسجلها في **النزهة** .

لما ينتهي الكاتب المؤرخ من مطالعة مؤلف فانه ينتقل الى غيره ، وهكذا يسود الكراسات تلو الكراسات الى أن يقتنع أنه أحاط بكل ما في وسعه ان يحيط به في الموضوع ، واذ ذاك يبدأ في تحرير مؤلفه . فانه يختار له عنواناً « مسجوعاً » ويستعمله بمقدمه يوضح فيه الغاية منه ثم يجعل « مذكراته » نصب عينه ويشرع في كتابة « المسودة » .

من المعروف ان المؤرخين المغاربة يتبعون ، من حيث التأليف ، احدى الخطتين : منهم من يسجل في كتابه جميع المعلومات ، غير المتناقضة ، التي بين يديه ، من دون أن يشير الى مصدرها ، ومنهم ، وهم الاكثرون ، من يوردون النصوص المتعلقة بحادثة من الاحداث ، أو بعلم من الاعلام ، حتى المتضاربة منها ، الواحد تلو الآخر ، حسب الترتيب الزمني لكل منها ، وقد يتبعونها بملاحظات ذاتية اذا ما رأوا في ذلك فائدة . وهكذا يكون الكلام عن قضية من القضايا أو حالة من الاحوال على صورة روايات مثل : « قال فلان ، و (قال صاحب الـ ، ،) و « أقول ، ، ، » الخ .

قد يعترض علينا بأن هذه الطريقة مماثلة للطريقة التي كانت متبعة في أوربا ، ولكن من الحق ان نعترف ان الرواية التاريخية الاوربية لا تقسم

بنفس الرتبة ، وقلما تعتمد على نصوص طويلة او على استشهادات مكررة،
ويكفي للاقتناع بذلك أن نطلع على بعض ما نقل الى الفرنسية من كتب
التاريخ أو التراجم .

ومن حجة أخرى مان أصحاب هذه المؤلفات لا يدلون الا نادرا بأرائهم
الشخصية في الاخبار التي يوردونها ، فائم يكتفون بتقديم عناصر القضايا،
المسلمة وغير المسلمة ، ولا يتورطون بابداء حكمهم الخاص ، بل يتركون
ذلك للقراء .

ان هذه الطريقة ليست خاصة بالمؤرخين المغاربة ، لقد سبق أن اتبعت
في الشرق ولكن من غير افراط لا في الكم ولا في الكيف. فتاريخ ابن الاثير
مثلا ليس الا نسخة مشذبة من تاريخ الطبري الكبير ، والاطلاع على ما في
الصياغة والمضمون ، هو الذي قد ييسر الوصول ، على طريقة المقارنة ، الى
عرفة أسباب الفروق الموجودة بين مختلف نسخ الكتب العبرية القديمة (1).

وفي هذا المعنى قال الاستاذ كارا ذو فو في كتابه **مفكرو الاسلام**
لذي طبع مؤخرا : (ان المؤرخين العرب يجمعون الآثار المروية ويسجلونها
الواحد تلو الآخر ، ويتركون للقاريء حق الفصل في قيمتها ، فعلى هؤلاء أن
يفتقدوا ان حلا لهم ذلك . أما المؤرخ فليس الا من القائمين بالاعلام (2) . »

اننا متفقون معه في هذا الحكم الا أننا لا نشاركه استحسناته لذلك
المنهج التاريخي ، على الاقل بالنسبة للفترة التالية للعهد الكلاسيكي
الاسلامي ، اذ لا يسوغ لنا أن نستحسن الفاسجين على ذلك النوال الا اذا
كنا متيقنين من أن الكاتب يمتاز بالضبط والصدق ، ونحن لا نستطيع أن
نؤكد أن كل المؤرخين المغاربة كانوا متحليين ، على الدوام ، بتقيناك الخصلتين
المهمتين .

(1) المرجع : **دواستات في التاريخ الديني** لرفان ارياست . ط باريس 1909 ص 81.

(x) ان كان المؤلف يحاول هنا تعليل ما وقع في التوراة من تحريف ، فان تعليله هذا

يظهر الاعتلال ! (المعرب).

(2) **مفكرو الاسلام** ج 1 ص 87 من النص الفرونسي .

هذا فيما يخص استخدام المصادر ، فاذا ما تم تنسيق المعلومات ، وحرر الكتاب ، وتناولته الايدي فان المؤلف قد يرجع اليه من جديد ليزيد فيه أو يحذف منه ، وحيث أن متون تلك الكتب ليست مطبوعة ، فان التعديلات التي تدخل عليه قد تعتبر ضئيلة الشأن ، وهي ، في حقيقة الامر ، ذات أهمية لان النسخ التي تؤخذ من الكتاب قبل تعديله أو بعده ، ستكون بطبيعة الحال متغايرة .

وبناء على ما ذكر فاننا نجد ان المخطوطات المغربية العربية قد تكون مشتملة على نوعين من الفروق بين نسخ الكتاب الواحد : النوع الاول ناتج عن الاخطاء التي يقع فيها الناسخ عن غير قصد ، والنوع الثاني من أعمال المؤلف نفسه . ولذا يجب على كل من يتناول مخطوطا لينتقده ، أن يتحقق من تاريخ استنساخه ، فاذا كان نسخ من الاصل الذي كان لدى المؤلف ، وبعد وفاة هذا الاخير ، فانه يجوز له ان يعتبر تلك النسخة مطابقة تماما للاصل في شكله النهائي .

ومن جانب آخر ، فان الكتاب قد يعثر ، بعد أن يكون قد اخرج مؤلفا للقراء ، على مصدر كان يجهل وجوده او سبق له أن بحث عنه فلم يجده ، فيطالعه واذا به يقف فيه على معلومات يستحسن اضافتها الى ما يحتوي عليه كتابه هو . فانه ، والحالة هذه ، لا يتأخر في غالب الاحيان ، عن تسجيل تلك المعلومات او عن الاشارة اليها بهامش الورقة اللائقة بها ، لئلا تضيع تلك الفوائد الجديدة . ويكفي شهيدا على هذا العمل ان نرجع الى الصورتين الفتوغرافيتين المثبتين في هذا الكتاب (3) فالاولى صورة لصفحة من مخطوط لكتاب الرياني الترجمانية وقد كتب بهامشها فقرات من كتاب دوحه الناصر والثانية من الاستقصا المطبوع بمصر ، وقد كتب المؤلف على هامشها - بخط يده - نصا نقله من كتاب نشر الثاني .

(3) نشر المؤلف الصورتين في كتابه : الاولى ص : 186 ، والثانية ص : 259 . ولم نر من الضروري الاستشهاد بهما هنا لانهما نشيران الى ظاهرة مؤلفة ، قد يستغرب العثر عليها في كتاب مطبوع ولكن كثيرا ما نلاحظها في المخطوطات (المغرب) .

ان هذه الطريقة تشبه ، في شكلها المادي طريقة كانت مستخدمة عند
كتاب العهد الكلاسيكية ومعروفة بطريقة « الاستدراك » أو « لارجوع عن
الحكم » .

ان تلك التغييرات التي تلحق بالكتاب بعد تبويضه ، واحيانا بعد
اخرجه للناس ، هي في نظرنا من أهم أسباب انعدام الوحدة في كتسب
التاريخ المغربية ، ومن أكبر الدواعي لاعتبارها تسجيلات بسيطة لاحداث
معينة لا أكثر ولا أقل .

فالمعطيات التي استوجبت اتباع هذه الطريقة ليست جديدة ، بل عرفت منذ
أقدم عصور للتدوين الاسلامية الا أن المغاربة استمروا خاضعين لها الى
عصرنا هذا بحيث يمكننا أن نقول : أن أرض المغرب لا زالت ، من هذه الوجهة،
أرضا ثرية بالمعلومات المتعلقة بالماضي الاجتماعي الخاص بالعالم الاسلامي .

فالمهم في هذا الميدان هو الرجوع الى المصادر الاصلية ، ولكن قلما
يتيسر ذلك للباحث لان المؤرخ الذي يعتمد على مؤرخ آخر كان جمع النصوص
التي تهتم فترة من الفترات التاريخية السابقة لا يرى ، عادة ، داعيا الى
تحقيق تلك النصوص في مظانها ، بل يكتفي ، في غالب الاحيان ، بنقلها ممن
سبقه اليها من المؤرخين ، وبتسجيل اسماء أصحاب الكتب المستخرجة منها،
هذا اذا لم يكن من المنتحلين الذين « يأخذون من هنا ومن هنا » ، ويقولون
هذا كتابنا .

فالانتحالات ، بل « السرقات » من الامور المستسهلة في المجالات الادبية
المغربية اذ من العسير على من يريد أن يثبت ذلك « السرقات » بالحجج
والشواهد ان يصل الى جميع المراجع الاصلية ، نظرا لقلّة نسخها ، ولكون
تلك النسخ موزعة في مختلف انحاء المغرب .

نعم لا يوجد بالمغرب الاقصى مؤرخ واحد كتب في موضوع تاريخي ،
سبقه اليه كتاب آخرون، ولم يستق معلومات، كثيرة أو قليلة ، من مؤلفاتهم،

وحيث لم تكن الرموز المحددة لاطراف الجمل المستشهد بها معروفة ، ولم يكن كل الناقلين يكتبون لفظة « انتهى » أو حرف (هـ) آخر كل نص منقول عن الغير ، فاننا نثهم أنه كثيرا ما يتعذر الرجوع الى المصادر الاولى .

فالمؤرخ اكنسوس ، مثلا ، أحد من اولائك المنتحطين ، فانه نقل في القسم الاول من كتابه الجيـش كتاب الزياني البستان برمته من غير ان يذكره - مكررا هكذا ما فعله بالنسبة لكتاب نزهة الحادي الذي نقل منه الفصول الخاصة بالدولة العلوية .

اذا كنا نستنكر هذا النوع من النقل الحرفي للنصوص ، ومنها الطويلة جدا ، دون ذكر الكتب المقتبسة منها فاننا نعتزف ان ذلك العمل « نقمة في طيها نعمة » لان النصوص تمكنا من معرفة محتوى مراجع جدا نادرة او مفقودة بالمرّة .

ومهما يكن من أمر فانه كان من الممكن ان نعتبر طريقة أولئك المؤرخين أكثر فائدة وأدعى للاستحسان لو اكتفوا ، في مؤلفاتهم ، بنقل بعض ما كتبه اسلافهم حول المواضيع التي تهمهم هم ، وشرحوها أو أوضحوا غوامضها بحواش ضافية كما كان يفعل الفقهاء في الكتب الخاصة بالعلوم الاسلامية.

فالافرائي مثلا ، الذي ذيل كتابه بقسم كبير من كتاب الفشتالي ، مؤرخ أحمد المنصور ، وبين بكامل الدقة مبتداً ومنتهي كل فصل من الفصول المنقولة بعد عزوها الى صاحبها ، يعد بحق من الكتاب الذين يحظون بكامل الثقة والتقدير .

يستنتج مما سبق ان أوثق المصادر هي التي يذكر فيها أصحابها أخبارا ويصفون أحداثا تتعلق بالفترة الزمانية التي عاشوا فيها أو التي قبلها بجيل أو جيلين . ويؤكد ذلك ما افادنا به المؤرخ اكنسوس من معلومات عن ملوك الدولة العلوية الذين عاصروهم أو عمل في بلاطهم ، بحيث يمكننا أن نعدّه متما لعمل الزياني وان كان يغض من قدره ما أقدم عليه من « هضم » حقوق هذا المؤرخ نفسه كما أشرفنا الى ذلك من قبل .

سنرى فيما بعد ان هذه « الملاحظة » تطبق كذلك على المؤرخ الناصري ان كان أسلوبه ، في هذا المجال ، لا يدعو الى نفس الاستنكار .

لاشك أن أصحاب التراجم كانوا أكثر تحفظا من الاخباريين في النقل من كتب من تقدمهم من المؤلفين ، وذلك لتريثهم في جمع العناصر ، لانهم لا يكتبون لنيل الجوائز المادية والمنح المالية من أصحاب السلطة والوجهاء من رجال الدولة ، ولانهم يعرفون ان مصنفاتهم ستكون أكثر تداولاً او ، بتعبير آخر ، أكثر تعرضاً للفحص والنقد .

لا ننكر ان منهم من اضطروا ، غيرما مرة ، الى النقل الحر في من كتب لفت فيما قبل ، ولكن عن الملاحظ أنهم لا يفسون تحديد أطراف الفقرات المنقولة ولا أذكر أسماء أصحابها .

من اللازم أن نشير هنا الى أن أصحاب التراجم لا يستنكفون ، مثل الاخباريين ، من الاعتماد على « المسموعات » أو على ما قد يرد في فيهارس احفاد الصالحين والعلماء الذين يدخلون في نطاق أبحاثهم ، وذلك توخياً لتسجيل مناقبهم ومزاياهم .

ومهما يكن من أمر فان الكتب التاريخية وكتب التراجم ، الواجب تحليلها ونقد مضمونها لا تزيد على نوعين : الاول منها المؤلفات الاصلية ، والثاني الكتب المنقولة أو التي نسجت على منوال مراجع فقدت أصولها .

ويبقى ان نعرف هل تلك المراجع الاصلية تشتمل على معلومات تاريخية حقيقية ، وهل الاحداث التي وصفتها وقعت على النسق المعروف فيها وحسب الظروف المشروحة على صفحاتها ، أي هل كان أصحاب تلك المراجع ذوي شخصية قوية ، ونزاهة نقية ، لا يزيفون الاخبار ، أم كانوا ممن يدهنون ويتملقون .

قد رأينا ان التاريخ السياسي قلما يخلو من التحيز والتزلف وان الامر ليس على تلك الشاكلة فيما يخص كتب التراجم . ولهذا فائناً نرى ان المعلومات التي في هذه ، من شأنها أن تساعد على تقييم المعلومات الواردة

في مؤلفات الاخباريين ، أي على إثباتها أو على إبطالها ، لأن المعلومات التي يوردها هؤلاء لا تكون الا نادرا مبنية على وثائق رسمية تيسر تقديمها كالمسائل أو العقود الخ ، بل كثيرا ما نجد مبنية على ما « يروى أو يحكى » .

من الواجب ان نعترف ان المؤرخ المغربي ، اخباريا كلن أو مترجما لاعلام ، لايهتم على وجه العموم بالحكايات والاراجيف التي تروج في الاوساط الشعبية ، لان العوام ينظرون الى الاحداث السياسية التي يشهدونها نظرات لا تخلو من شطط ، ويزنون ما ينسب للاولياء والصالحين من كرامات ومناقب بموازن لا تسلم من خلل .

ان ابن عسكر ، وصاحب **الحلل البهية** ، هما اللذان اهتمتا ، فيما نعلم ، بعض الاهتمام بالاراء الشائعة على السنة العامة ، بيد أن باقي المؤرخين يضربون عادة عنها صفحا ويتتزهون عن ذكرها في مصنفاتهم . فالافراني مثلا لم يتردد عن استنكار ما أشيع في شأن وفاة السلطان أحمد المنصور ، وأنه مات مسموما بايعاز من ابنه مولاي زيدان ، لا ضحية إصابة بوباء الطاعون ، لقد قال في هذا الموضوع : « ان ما شاع عن الالسنه من أن المنصور سمه ولده ،،، كذب محض لان المنصور طعن بالبواب ، ولم يذكر أحد ممن يوثق به ذلك ، بل انما شاع على السنة العامة واضرابها من الطلبة » (4) وكان صرح في كتابه قائلا : « وقد تركت اخبارا ولعت بها العامة في ذلك ، ورأينا اخلاء كتابنا منها اولى ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم » (5).

واخيرا فان المؤرخين المغاربة لا يكثرثون عادة بما ليس له صلة بتاريخ بلادهم الداخلي : فائنا لا نكاد نجد في كتبهم شيئا عن علاقات المغرب السياسية بأوروبا وحتى بباقي البلاد الاسلامية (6) اللهم الا ان استثنينا ما

(4) **نزهة الحسني** (ص 189 ط انجي (فرنسا) سنة 1888 م) .

(5) نفس المصدر ص 12 .

(6) نستثني ، فيما يخص العلاقات الفكرية مع البلاد الاسلامية الاخرى ، بعض كتب

الرحاوت الى الاراضي المقدسة كرحلة العياشي (المؤلف) .

ورد في بعضها من اشارات طفيفة الى علاقات تمت بين المغرب والبلاد الشرقية المجاورة له . (7)

وعلى كل حال فلا ينبغي ان ننسى انه كان من العسير على المكاتب المغاربة ان يلموا بين ما كان يقع بين المغرب والبلاد الاخرى من أنواع الاتصالات ومختلف المعلومات لان ذلك كان يقتضي ان يكون في متناول أيديهم وثائق رسمية محفوظة ومرتبعة ، والمعروف انه لم يكن بالمغرب مصلحة حكومية مختصة بحفظ الوثائق وبتنسيقها .

ومن جهة أخرى فان المؤرخين المغاربة ، اذا اخرجنا منهم الزياني ، كانوا يأنفون من الاعتناء بتسجيل ما كان يتم بين ملوك الدولتين ، السعدية والعلوية ، وبين رؤساء الدول الاوربية من اتفاقات ومعاهدات ، بحيث أصبح من اللازم على المتطلع لمثل تلك المعلومات ان يبحث عنها في نطاق المحفوظات الاوربية الخاصة بالمغرب او في الكتب التاريخية التي ألفها عن المغرب كتاب أوربيون .

فالمؤرخون المغاربة القلائل الذين أشاروا ، بدافع من الدوافع ، الى بعض العلاقات التي أبرمت بين المغرب والدول الاجنبية ، كانوا لا يتورعون ، الا نادرا ، عن الاتساق لاهوائهم وعن تشويه الحقائق لارضاء ما يشعرون به من تفوق واستعلاء بالنسبة لاصلهم وثقافتهم ودينهم ، الا أنه قد يكون من المكابرة ان ننكر ان الكتابات الاوربية عن التاريخ المغربي تتسم بنفس الشوائب نظرا للتعصب الديني الشديد الذي لم تخف وطأته شيئا ما الا بعد انفجار الثورة الفرنسية .

ان المعلومات التي دونتها اقلام أولئك المؤرخين المتعصبين ، عن المغرب وتاريخه ، تنم عن جهلهم المطلق للثقافة الاسلامية ، ولما كان لها من تأثير

(7) من تلك الكتب ، مصنفات الافرائي والزياني (المؤلف) .

في حياة هذه البلاد القومية وفي لتجاراتها المصيرية ، غير اننا قد نجد في ثنايا مؤلفاتهم بيلقات مستخلصة من رسائل دبلوماسية قد تساعد على تصحيح وضبط اخبار تنطق باحداث كان لها اصداء داخلية ولكن لم يذكرها الكتاب المغربي بوضوح وتعميق ، ويكتفينا لتقليد هذا للرأي ان نذكر ذلك اللفظ المطلق بتاريخ الوباء الذي انتشر بالمغرب سنة 1799 م وبتحديد حقبة انتشاره ، وهو غلط وقع فيه الزياتي ثم لکنوس ، وتوصل الى تصحيحه الدكتور رينو مستدلا بمعطيات جد وثيقة (8) .

يجدر بنا هنا ان نوكد انه من الافضل ان نكتفي بالرجوع الى كتب التراجع كلما خامرنا شك في صحة ما يرد في مصنفات المؤرخين الاخباريين ، اللهم الا اذا افدتنا الكتب الاوربية بحجج محكمة ، موثوق بها كتلك التي اشرنا اليها اعلاه والمتعلقة بالوباء .

لم يصل الينا ، من المؤلفات التي خصصت لتاريخ الدولتين للصحية والعلوية ، الا عدد جد قليل ، ولذا يصعب تصنيفها حسب طريقة كل واحد من كتابها في حين ان ذلك التصنيف متيسر بالنسبة لكتب التراجع التي لدينا منها عدد لا بأس به .

اول ما يلفت النظر هو عدم وجود مؤلفات تعالج التاريخ العام للبلاد منذ اصولها الاسلامية الاولى الى ان حاول المؤرخ أحمد الناصري ، في القرن التاسع عشر الميلادي ان يسد تلك الثغرة ..

نعم لقد سبقه في هذا المضمار ابن ابي زرع وابن خلدون ولكن جميع المؤرخين المغاربة الذين تصدروا للكتابة بعد هذين الكاتبين وقبل الناصري لم يتكلموا الا عن فترة خاصة من تاريخ بلادهم ، ولا نستثنى منهم حتى

٤) Dr Renaud H.P.J., Recherches historiques sur les épidémies du Maroc : La Peste de 1799 d'après des documents inédits dans *Hesperis*, I, 1921 p 150 sqq.

الزياني الذي خصص الترجمان للتاريخ الاسلامي ولكنه لم يتوسع في سرد اخبار جميع فترات التاريخ المغربي توسعه في ذكر احوال الدولة العلوية .

يلفت النظر أيضا أن موضوع اكثر المؤلفات التاريخية لا يتجاوز الا نادرا ذكر أخبار أسرة من الاسر الحاكمة ، وأحيانا ذكر أخبار أمير واحد من أمراء تلك الأسرة . فهي ، في حقيقة الامر ، تواريخ أسر كان بيدها ، في عهد من العهود ، زمام الكم ، ولنذكر على سبيل المثال ان نزهة العادي كتب لتدوين احداث الدولة السعدية ، وان البستان و الجيش القما لتسجيل احوال الدولة العلوية ، وأن المختصر يتكلم عن أحمد المنصور بيد أن الظل الوريث يتكلم عن المولى اسماعيل (9) .

والملاحظ في تواريخ الاسر المالكة ان أحسن أجزاءها هو الجزء الذي يتصل بحياة السلطان الجالس على العرش في وقت تدوين المؤلف لكتابه او الجزء المتصل بأسلافه المباشرين اذ تتوفر عنهم لدى المؤرخ معلومات كثيرة عرفها بنفسه أو زوده بها معاصروه . ومع ذلك فالمؤرخ المغربي لا يستخلص الأحداث العامة ، بل هو كتاب حوليات اي يقوم بتدوين الاحداث المتتالية خلال عام واحد ، ثم ينتقل الى العام الذي يليه ، الشيء الذي يجعل مؤلفه سببها باليوميات أي بسجل لاحداث لا تربط بينها رابطة فكرية . وهذا الأسلوب يتجلى مثلا عند (اكنسوس) في حولياته التي هي عبارة عن مجموعات من أخبار وإشارات الى احداث لم يكن الداعي الى سوقها متتالية الا كونها وقعت في تواريخ معينة . وطريقة العرض هذه لا تترك للمؤرخ مجالا

(9) نزهة العادي في أخبار القون العادي للفراني ، البستان الطريف في دولة أولاد مولاي علي الشريف للزياني الجيش العرمم الخماسي في دولة اولاد مولانا علي السجلماسي لاكنسوس المختصر المقصور على مآثر خلافة المنصور لابن القاضي و الظل الوريث في مفاخر مولانا اسماعيل ابن الشريف للفراني . المغرب

لتقييم أحداث عصره وابداء رأيه الاجمالي فيها الا حين يذكر موت ملك وجلس خافه على العرش : فاننا نراه اذ ذاك يعتني كامل الاعتناء بوصف الامير المعد للحكم وصفا خلقيا مفصلا . ومن السباقين في تلك الحلبة المؤرخ الافراني الذي نراه دائما يسهب في وصف المترجع الجديد على اريكة الملك فيتكلم عن سفته وقامته ولون بشرته وشعره وعيفيه ، وعن حركاته وصفاته الخلقية والثقافية (10) . ويعتبر الاسلوب الذي تبعه ابن القاضي في كتابه **النفقسي** نموذجا في هذا الباب لانه يكيل المدح والثناء ، ويضفي على الامراء الذين يصفهم حلا من الاوصاف الكريمة والخصال الحميدة .

وهذا الاسهاب في ذكر الصفات الجسمية والخلقية قلما يترك مكانا كافيا للكلام عن حياة الملك السياسية ، وعليه فاذا كان من الممكن ان نعتبر للكتب المخصصة للكلام عن حياة ملك من الملوك ذات قيمة أدبية فاننا قلما نجد لها ذات قيمة تاريخية كبيرة .

من المعتاد عند المؤرخين الا يهتموا ذكر رجالات البلاط ، فانهم غالبا ما يخصصون مكانا من كتبهم لترجمة ذوي الشأن منهم وذوي المكانة عند الملوك . فمنهم من يذكرون بانتظام أسماء كبار الموظفين العاملين في مختلف الدواوين ، ومنهم من يكتفون بذكر أسماء الاشخاص الذين ساهموا في الاضطلاع بمهمة من المهام التي اشاروا اليها في مؤلفاتهم ، وهكذا نطلع من حين لآخر على أسماء امراء ، ووزراء ، وحجاب ، وكتاب ، وقادة جيش ، وعمال ، وقضاة العواصم الكبرى مثل فاس ومكناس ومراكش الخ ، ، ، (11) .

(10) نزهة الحامي النص العربي ص 45 و 78 (المؤلف) .

(11) اثبتنا في أحد الملاحق قائمة باسماء عدد من أولئك الموظفين ، سجلناها خلال

مطالعاتنا الا اننا لا ندعي انها كاملة (المؤلف)

وكثيرا ما يضمن المؤرخون الادباء ، ومنهم الافراني واكنسوس ، كتبهم منطرايات أدبية لعرض ما قد يكون راج في مجالس الملوك من مساجلات شعرية أو ثغرية ، الا أنه من المؤسف الا نجد في تلك الكتب مجموعات كافية من الرسائل الرسمية ، فان الرسائل القليلة التي نعثر عليها في تلك المظان عظيمة الفائدة لما تشتمل عليه من معلومات عن الحياة الاجتماعية أو من إشارات ذات قيمة تاريخية ، ويؤكد ذلك ما تفيدنا به ، في هذا الباب ، الرسائل الدلائية التي احتفظ لنا بها الحوات ، ورسائل السلطان أحمد المنصور التي وجهها لابنه أبي فارس عبد العزيز والتي نجد البعض منها في **الفرهة** وهي تعطينا صورة دقيقة عن الحياة اليومية في القصور السعدية، تفصيلات ضافية عما كان يوليه ذلك السلطان ، في بعض الظروف ، من اهتمام بالشؤون العائلية وبما يجري في المرافق البلاطية (12) .

ان اصحاب كتب التاريخ الحديث قلما يخصصون جزءا منيا لوصف مدينة من المدن كما فعل مثلا صاحب **القرطاس** وفي أوائل القرن السادس عشر ، ابن غازي في كتابه **الروض الهتون** (13) ولكنهم لا يغفلون عن تسجيل الاعمال المهمة التي تم انجازها في الفترات التي يعتنون بتاريخها مثل بناء أو ترميم القصور والمساجد والمؤسسات العمومية ، في العواصم المغربية ، وخصوصا تلك التي قام بها أولئك البناة العظام ، أحمد المنصور بمراكش ، والمولى اسماعيل بمكناس .

والى جانب الاخبار المتعلقة بالاحداث السياسية ، والاعمال العمرانية ، فاننا نقف ، في تلك المؤلف ، على اشارات للظواهر الجوية الغربية ، والابئة والمجاعات المبيدة ، والزلازل المدمرة ، مثل كسوف سنة 964 هـ ، ووباء سنة 905 هـ ، وزلزال عام 977 هـ ، وجراد عام 978 هـ ، والمذبذب الذي شهده لبنان معركة وادي المخازن الخ .

(12) انظر مثلا **فرهة الحسني** ط . هوارس ص 184 .

(13) **الانيس المطرب بروض القرطاس** في اخبار ملوك المغرب واخبار مدينة فاس وروض الهتون في اخبار مكناسة الزيتون .

ولعل « القادري » في **نشر المثاني** كان يعني أكثر من غيره ، بتسجيل **التكبات العامة** ، لقد ورد في كتابه عن تراجم رجال « القرن الحادي عشر **والثاني** » تفصيلات جمة مثيرة ، عما أصاب المغرب في أعقاب زلزال فاتح نونبر 1755 م (26 محرم 1169) والمعروف بزلزال لشبونة .

ويمتاز القادري بجمعه ، في كتابيه **النقاط الدرر** و **نشر المثاني** الموضوعات السياسية والمعلومات الخاصة بتراجم الرجال المشهورين . فهو يمثل مرحلة انتقال أو صلة وصل بين الاخباريين والمترجمين ، وأسلوبه في ذلك ان يذكر السنة ، وان يسرد تراجم الرجال المشهورين المتوفين خلال السنة ، وهكذا سنة فسنة ، ثم يرسم لوحة مختصرة للاحداث الداخلية التي جرت بالبلاد في كل فترة ، من تلك الفترات الزمنية المتتالية ، ولذا يمكن ان يعتبر **نشر المثاني** تاريخا سياسيا وضع في شكل **حوايات** .

ولكن الظاهر ان أسلوب القادري لا يمثل « القاعدة العامة » في كتابه التراجم ، فان كتب التراجم المغربية ذات طابع واضح ، منها ما خصص لافراد أو أسر مشهورة ، ومنها ما ضم تراجم قصيرة العدد كبير من الرجال رتبت اسمائهم حسب ظروف زمنية معينة كما هو الشأن في **دوحة النash** و **صفوة من المنتشر** او حسب اطار مكاني كما نلاحظه في كتاب ابن عيشون **الشراط الروض العاطر الانفاس باخبار الصالحين من اهل فاس** . قلما يخرج كتاب التراجم ، وكذا الاخباريون في كتاباتهم ، عن اطار محدد ، فاذا كان المترجم له من العلماء ، فانهم يهتمون باسمه وصفاته الكريمة ومزاياه العلمية ، وشيوخه واجازاته التي احرز عليها ، وعناوين مؤلفاته ، واسماء مشاهير تلامذته ، وسنة وفاته ، وموقع دفنه ، واذا كان من الاولياء في ذكر المناقب والكرامات .

لنشر هنا الى ان طريقة تدوين كتب الرحلات لا تختلف كثيرا عن طريقة تدوين كتب التراجم ، نعم فاذا كانت « الرحلات » الى الارض المسيحية

لا تشتمل الا على ذكر ما يشاهد ويسمع في كل يوم من أيام السفر ، فان « الرحلات » الى البقاع « المقدسة » تتضمن عادة ، بجانب وصف المراحل والمنازل ، تراجم العلماء والفقهاء والمشاهير الذين صادفهم أصحاب تلك الرحلات اثناء حلهم وترحالهم فهي ، من هذه الوجهة ، أشبه بقواميس تبوغرافية لاحتوائها على الكثير مما يثير الانتباه في العالم الاسلامي ، وغالبا ما تكون تلك التراجم تتعلق باعلام أحياء تسنى لكاتب الرحلة مجالستهم ، وفي بعض الاحيان ، لإستفادة منهم . فان العلماء المغاربة معروفون بتكرمهم لعلماء الشرق ، ورغبتهم في الاطلاع على ما لديهم من جديد في المجالات الثقافية والطرق التبليغية ، ويكفي شهيدا على ذلك ما لقيه العالمان الشرقيان أحمد بن عبد الحي الحلي ومحمد صالح الرضوي بفاس ، من إعثناء وجميل الرعاية ، وما وصلت اليه **رحلة العياشي** من شهرة في الاوساط المغربية نظرا لاشتغالها على تراجم عدد لا يستهان به من علماء الشرق وكذلك ما ناله صاحب العلماء الغرباء (14) .

لا شك أن تلك الكتب لم تنسج كلها على منوال السلف لا من حيث المبنى ولا من حيث المعنى ، ولكن من المحقق أنه لا يوجد كاتب واحد من مؤلفي العصور الحديثة جدير بأن يدرس كتابه دراسة خاصة لابرار مميزات أسلوبه ولغته ، وذلك لان كل الادباء المغاربة متشابهون على وجه التقريب ، في مشاربهم الثقافية ، ويطمحون في الا تكون معارفهم وأساليب تدوينهم عرضة للتقليص والسخرية .

ومع هذا فلا بد ان نعترف أن كتابة التاريخ والتراجم لا تتوقف على استخدام مصطلحات خاصة ، وان أسلوبها غالبا ما يكون واضحا وبعيدا عن التكلف ، بل مضمنا للمفردات والعبارات المتداولة عند العامة .

(14) انظر كتاب المعاصرات لليوسي ص 59 - و نشر الثاني للقادي ج 1 ص 182

و سلوة الانفاس للكتاني ج 1 ص 3 .

فأسلوب الأفراني وأكنسوس لا يخاور من الطلاوة ، والأول لا يتأخر عن
الامعان في استعمال « الحسنات البديعة » سيما حينما يريد أن « يلف »
بعض الحقائق المرة الخاصة بإدارة المركزية .

وأسلوب الفستالي وابن القاضي ، وهما من مؤرخي الدولة السعدية ،
مماوء بالاستعارات المعقدة التي من شأنها أن تشد على بعض فصول
مؤلفاتهما ، وبوجه خاص النفاهاً و المنتقى المقصور سقرا من الغموض .
ولكن الملاحظ أن أكثر المؤرخين لا ينمقون التحرير الا عند كتابة المقدمات
والخاتيمات أو عند تحليل أفاضل الإعلام الذين يترجمون لهم ، وانهم يضحون
بكل « قوالب الادباء » عندما يعتنون بتوضيح الوقائع التاريخية .

ان هذه الملاحظات تنطبق كذلك على الاسلوب الانتشائي الخاص بكتب
التراجم وسير الصلحاء والأولياء ، وإن كانت نصوصها ، ولا سيما الأراجيز
منها ، شديدة الغموض لما تشتمل عليه من مصطلحات صوفية وإشارات
ورموز لا يدرك فحواها الا العارفون .

القسم الثاني

★ ★

الرجال ومصنفاتهم

الفصل الأول



مؤرخو الدولة السعدية

بقي علينا ان نشير الى أن جل المحونات التاريخية ، سواء منها المتعلقة بالدولة السعدية أو بالدولة العلوية ، تتضمن مفردات شعبية وتعابير تقنية ، تركية وفرنجية استوجب استعمالها ما طرأ ، في فترات مختلفة ، على الجيوش المغربية ومعداتها الحربية من إصلاحات و « اضافات » نتجت عما كان بين المغرب وبين دول البحر المتوسط ، من علاقات ودية واصطدامات عدائية ، واستوجب استعمالها كذلك ما انتشر من كلمات اسبانية وإطالية ،، الخ بالمواني ، ومعامل الاسرى ومجالات فيالق المرتزقة من الاجانب الذين حكمت عليهم الظروف باللجوء الى هذه البلاد (15) .

لم تكن هذه الالفاظ والعبارات الدخيلة مستعملة عند المؤرخين فحسب بل شاع استعمالها كذلك في الرسائل الرسمية المحررة في دواوين ملوك الدولة العلوية ، ولاسيما منذ عهد سيدي محمد بن عبد الرحمن أي منذ أن كثرت المراسلات بين الحكومة المغربية وممثلي الدول الاوربية المستقرين بمراشيء الايالة (16) .

(15) من تلك المفردات والعبارات نذكر ما يلي : « صقالة » - « مينات » ، « لظنات » ، « كرنطينة » ، « باشادور » ، « سنجق » ، « فرتونة » ، « زمنووط » ، « ستايرية » ، « متلابية » ، الخ (المؤلف) (انظر شرح هذه الكلمات : ص 82 من النص الفرنسي)
(16) Voir 1°) « Choix de correspondances marocaines » Par Fumoy (Paris 1903)
2°) « Les Lettres chérifiennes » - Nehil (Paris 1916)

أحمد المنصور - شيخه المنجور - الفشتالي - ابن القاضي



المنصور : قامت الدولة السعدية بعد انقراض دولة بني مرين وبني وطاس الذين حكموا المغرب اكثر من ثلاثمائة سنة ، ولكن رغم تاييد الشعب لاولئك الاشراف الذين تصدوا للذود عن البلاد وتطهيرها من الفسارى ، لم يستتب لهم الامر اكثر من مائة وخمسين سنة ، ولم يشتهر منهم الا ملك واحد وهو ابو العباس احمد المنصور الذي نهض بأعبائه أحسن نهوض ، فوسع مجال نفوذه ، وفشّر الأمن في البلاد ، ووطد دعائم العمران وقرب الادباء والعلماء .

كان أبو العباس ملكا واسع الثقافة ، مواظبا على طلب العلم رغم ثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه ، حتى ان شيخه المنجور لقبه في فهرسته بـ « عالم الخفاء وخليفة العلماء » (1) .



المنجور : هو العالم أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله المنجور (2) الكناسي المحتد ، الفاسي المولد - (ولد سنة 926 هـ) - درس بالحاضرة الادريسية على علماء اجلاء نذكر منهم عبد الرحمن بن علي سقين الذي كان يعلم في دهليس رياضته بالزربطانة (وردت ترجمته في الكتب المذكورة في التعليق رقم 2) ومحمد بن أحمد بن عبد الرحمن اليستني وقد لازم حلقة إحدى عشرة سنة (3) .

(1) ومن المشاركة الذين اثنوا على المنصور نجد الخفاجي وذلك في كتابه ريعانة الالبياء ص 142

(2) وردت ترجمته في فهرسته ، وفي نيل الابتهاج ص 80 وجزوة الاقتباس ص 67 (و نسخة الانفاس ج 3 ص 62 . و دوحه الناصر (ص 1 - 6 و نزهة العاصي (ص 27 - 133 - 133)

(3) ترجم المنجور في فهرسته لطائفة من شيوخه ، منهم أبو الحسن علي بن موسى المطري وعبد الواحد الونشريسي .

كان المنجور عالما مشاركا فوي الادراك ، لم يستتكف من الاهتمام
ببالمثال الشعبية واللهجات الاندلسية ، بل تعلم لعب الشطرنج والضرب
على العود ، عاش بفاس ثم بمراكش وتفق عليه كثير من الطلبة اشهرهم
أبو عبد الله محمد الرجراجي قاضي الجماعة بمراكش ، ، و ابراهيم الشاوي
قاضي تامسنا وأبو القاسم بن محمد بن أبي النعيم الفساني قاضي
الجماعة بفاس والمؤرخ ابن القاضي (الذي تولى القضاء بفاس ثم مكناس)
الخ ، ، كما كان من تلامذته أحمد بابا التنيكتي صاحب **فيل الابتهاج**
الذي حلاه بـ « آخر فقهاء المغرب ومشاركيهم » . الا ان امجد من أخذ عنه
وأعلام طيبة ، قاهر المسيحية أبو العباس المنصور .

كان المنجور يزور ، كل سنة ، المنصور بمراكش ، ويشرح في مجلسه
مصنفا من مصنقات العلوم الاسلامية ، ثم يعود الى فاس مزودا بالهدايا
السنية والإعطايا الزكية ، الا ان ذاك العالم الجليل ، سرعان ما كان يوزعها
على الفقراء والمكويين ، موثرهم بها على نفسه وان كان في أشد
الخصاصة .

مات المنجور بفاس في السبعين من عمره في السادس عشر من ذي
القعدة ، سنة 995 هـ (19 اكتوبر 1587 م) . ودفن خارج باب الفتوح قرب
قبر شيخه اليستني ، حسب ما ورد في **سيرة الانفاس** .

أجاز الشيخ المنجور تلميذه ، احمد المنصور ، اجازة « كاملة وشاملة »
في العشرة الاواخر من شهر رجب 989 هـ . (21 - 30 غشت 1581 م)
وكتب ، بطلب من المنصور نفسه ، فهرسة شيوخه موضحا فيها طبقتهم
العلمية وتاريخ ولادة ووفاة كل منهم .

تستعمل هذه **الفهرسة** (x) على معلومات قيمة عن الحركة الفكرية
بالمغرب في ذلك العهد ، وقدم فيها المنجور صورة مشرقة عن المنصور ، اذ
حلاه بأحسن الصفات الخلقية ووسمه بأجمل السمات العلمية بحيث
عده من جملة شيوخه في التاريخ والادب .

(x) حقق الاستاذ محمد حجي ، سنة 1976 فهرست المنجور وعلق عليها بما يوضح
مضمونها .

لم يذكر المنجور الاحداث التاريخية التي كانت سبب جلوس المنصور على العرش ولا التي وقعت ايان خلافته ، ولذا كان من الضروري أن يقوم بعض الكتاب بوصف ما وصلت اليه الدولة السعدية ، زمان ذلك الخليفة العظيم ، من ازدهار وعمران ، ورغد العيش ، نتيجة انتصاره على البرتغال وفتحها للسودان ، وما دره عليه ذلك من نعم وخيرات .



عبد العزيز الفشتالي : اننا من حسن الحظ ، فتوفر على مؤلف لابن القاضي ، طرق فيه ذلك الموضوع ، كما اننا نعرف ، من خلال بعض كتب التاريخ والتراجم التي دونت فيها بعد ، ان المنصور كان كلف أحد كتابه بتدوين حواريات يضمنها كل أمر ذي شأن مما قد يقع في المغرب طيلة عهده . وذلك الكاتب هو ابو فارس عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الصنهاجي الفشتالي المولود عام 956 هـ (1549) والمتوفى سنة 1631 هـ (1621م) بمراكش (4) .

أجمع مترجمو الفشتالي انه كان ، مقولي تاريخ الدولة ، و « وزير القلم الاعلى » وانه نظم ، بصفته شاعر البلاط الرسمي ، أكثر مقطوعات الشعر المنقوشة على المرمر ، وعلى الخشب في أروقة قصر البديع ، وداخل اجنحته في مدينة مراكش (5) ، ولا زال بين ايدينا باقة من المولدات التي كانت تجود بها قريحتة في الحفلات الفخمة التي كان يقيمها المنصور في « البديع » كل سنة بمناسبة احياء ذكرى المولد النبوي .

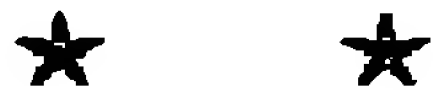
(4) ترجم لبد العزيز الفشتالي :

ابن القاضي ، درة الحجال ، ونقل ذلك الانراني في نزهة الحادي ، 164 ، المقري ،
نفح الطيب (طبعة القاهرة سنة 1302 ، 3 ، 10 وما بعدها) ، الخفاجي ،
ريحانة الالباب ، 180 ، القادري ، نشر الثاني ، 1 : 140 - 142 ، الناصري ، الاستقصاء ،
3 : 79 وأماكن أخرى ، أكنسوس ، الجيش العرمم ، 1 : 159 ، محمد السائح ،
التنخبات العبقريسة ، 33 .

(5) أورد الانراني بعضها في نزهة الحادي .

ان المؤلفات التاريخية المنسوبة للفشتالي تعتبر مفقودة ، ولا نعرف
منها الا كتابه **مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفاء** الذي ضاع كذلك (6)
وقال عنه المقري أنه يتألف من ثمانية مجلدات ، وقد استعمله المُرُخ الافراني ،
وذكر ابن القاضي انه يشتمل على تاريخ دولة الاشراف السعديين منذ
نشأتها حتى عهد المنصور ، ويتضح من المقتبسات الطويلة التي اخذها
مؤرخون لاحقون من كتاب الفشتالي ان المؤلف جعل كتابه مديحا وتقريظا
لاسرة المنصور الشريفة ، ويبدو ان الفشتالي وجد في العمل التاريخي
الذي وكله اليه المنصور فرصة لابراز موهبته كنائر وكشاعر ، لدرجة ظهر
معها كتابه أشبه بديوان شعر ، تبدو فيه المادة التاريخية على شكل لحمه
لوصل القصائد في الكتاب ، ومع ذلك يبقى كتاب **المناهل** ذا أهمية
تاريخية لا يستهان بها اذ قد وصفه الافراني بأنه يضم تفاصيل دقيقة
عن حكم المنصور وعن الاحداث التي وقعت في عهده .

لا شك أن أجود ما في كتاب الافراني وأجده هو «خلاصات ومقتبسات»
عن الفشتالي فيما يتصل بتنظيم البلاط المنصوري على النمط التركي ،
وتنظيم الجيوش السعدية ، وبيناء قصر البديع الذي أراد المنصور أن يجعل
منه أثرا خالدا لاسرته ، والذي احضر رخامه خصيصا من ايطاليا ، مقابيل
وزنه سكرا من انتاج معاصر القصب التي كانت قائمة اذ ذاك على طول
الشاطي، الاطلسي بالمغرب .



ابو عبد الله محمد الفشتالي والتمكروتي :

يخبرنا الافراني عن كتاب تاريخي آخر عنوانه **الممدود والمقصود من
سنا أبي العباس المنصور** ألفه كاتب آخر من كتاب المنصور ، وهو ابو عبد
الله محمد بن عيسى . الا اننا لا نعرف شيئا عن ذلك الكتاب ولا عن
صاحبه (7) .

(6) نشر قسما من هذا الكتاب الاستاذ عبد الله كفون (منشور جامعة محمد الخامس
الرباط 1964)

(7) ذكره صاحب **دليل مؤرخ المغرب** تحت رقم 598 . وقال هو من التأليف الضائعة وان
مؤلفه مات سنة 990 هـ في سجن المنصور الذهبي (المغرب) .

وكان يعيش ببلاط المنصور كاتب ثالث اهتم ايضا بالتاريخ ، وينتمي الى قبيلة فشتالة ، وهو أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي (8) الذي صاحب سنة 1003 هـ (1594 - 1595م) الشيخ علي التمكروتي سفير المنصور الى الخليفة العثماني .

عرف أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي بتعاطيه للشعر ، ويوجد له بخزانه الرباط (رقم 538) أرجوزة في التاريخ عنوانها **الوفيات** نظمها حسب ما قاله في مقدمتها ، كتكملة لوفيات ابن قنفذ القسنطيني (9) و **لقط الفرائد** لابن القاضي ويفيدنا القادري ان ابا عبد الله المكلائي (10) اتم أرجوزة محمد الفشتالي وان الجافظ ابا العباس احمد بن أبي المحاسن يوسف الفهري الفاسي (11) الف أرجوزة أخرى في هذا الموضوع وجعلها خاتمة لسابقتها .

وأما التمكروتي الذي أشرنا اليه اعلاه فهو أبو الحسن علي بن محمد ابن علي بن محمد ، أصله من تمكروت ، حيث إلزاوية الناصرية . اختاره أبو العباس المنصور ليقترأس سفارة القسطنطينية ، وقد دون بذلك المناسبة رحلة سماها **النفحة المسكية في السفاررة التركية** (12) وأورد فيها معلومات تاريخية لا بأس بها ، اقتبس منها الافراسي ، ولكن أهمل ذكر صاحبها .

(8) ترجم محمد بن علي الفشتالي في نفس المراجع المذكورة في التعليق رقم 4 ، وأما التمكروتي فقد عرف به ابن القاضي في **المنشقى المقصور** والحقاجي في **ريحانة الالباء** والقادري في **نشر الثاني** .

(9) هو أبو العباس احمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني الملقب بقنفذ ، توفي سنة 810 هـ (1407 - 1408 م) ، ذكره ابن القاضي في **جذوة الاقتباس** (ص 79) واحمد بايا في **نيل الابتهاج** (ص 57) والقادري في **نشر الثاني** (ج 1 ص 4) وذكر ابن مريم مؤلفاته في **البستان** (ص 308 - 309) (المؤلف) .

(10) أبو عبد الله محمد المكلائي أخذ عن عبد الرحمن الفاسي ، توفي سنة 1041 هـ ، ذكره القادري في **المنشقى** ج 1 ص 160

(11) انظر القسم الخاص بالتراجم .

(12) قام بنشرها وترجمتها الى الفرنسية هنري دو كاتسبي (باريس 1929 م) (المعرب)

أشار الأفراني ، في الفصل الذي خصه في التزهة للكلام على
جيوش التصور إلى رحلة أخرى استفاد منها ، وهي رحلة الشهاب التي تضاء
الأحباب لابي العباس أحمد افقاي (13) الا اننا لم نعثر على أي ترجمة
لمؤلف تلك الرحلة التي تعد مفقودة .



ابن القاضي : اذا كان كتاب الفشتالي قد ضاع كله او جله ، فان لدينا
كتابا لمؤرخ معاصر له ، وهو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد
ابن علي بن عبد الرحمان بن أبي العافية المكتاسي الزناتي المعروف بابن
القاضي . والمولود سنة 960 هـ (1552 - 1553م) (14) .

يرجع نسب ابن القاضي الى عشيرة زناتية ، استقر كثير من أبنائها
في فاس وركناس ، واشتهرت طائفة من فرع « أبناء القاضي » بتصلعهم
في العلم .

كان « أبناء القاضي » يدعون انهم من ذرية الامير موسى بن أبي
العافية الذي انضم الى الفاطميين في القرن العاشر وحارب من كان اذ ذاك
بالمغرب من الامراء الادارسة (15) .

(13) اقتبس الناصري ما ورد في التمهيد من افقاي الاستقصاء ج 3 ص 84)
ولكنه جعل « افقاي بدل افقاي » و رحلة الشهاب عوض رحلة الشهاب (المؤلف) . وذكر ابن
سودة في الدليل « رحلة الشهاب » رقم 1475 ووردت ترجمة « فوقاي » شهاب الدين
الحجوي في الاعلام ج 2 ص 69 ، ومعها نبذة من رحلته (المعرب) .

(14) نجد بعض اخباره في مؤلفاته وفي صفوة من انتشار (ص 77) و النشر (ج
1 ص 128 و اقتباس الدرر (كراسة 8 البذور الضاوية للحوات (مخطوط بخزانة
الرباط رقم 394 - كراسة 29 و 30) و سلوة الانفاس (ج 3 ص 133 و الدرر البهية
للفضيلي (ج 2 ص 353) الخ . (المؤلف) .

(15) قال ابن القاضي في مؤلفه جذوة الاقتباس (ص 227 - 229) بمناسبة ترجمته
لأوسى بن العافية ما معناه : « اننا نقسب الى هذا الامير ، ولكن الله اعلم بالحق ، وعلى كل
حال فاني أستنكر معاملته لذرية الرسول (يعني الادارسة) وأشهد الله وملائكته انني عبد
لابناء الرسول ومحبيهم » والظاهر انه قال ذلك تملقا للاشراف ، وبوجه خاص للسعديين .
هذا وقد ذكر الكتاني انه طعن في اقتساب ابن القاضي للبيت النبوي (المؤلف) .

تلقى ابن القاضي العلم بمراكش وبفاس ، اخذ بفاس عن والده ، وعن العلامة ابي العباس المنجور ، وأبي عبد الله محمد بن قاسم القصار (16) وأبي يعقوب بن يحيى اليدري المتوفى سنة 999 هـ (1595 م) وبمراكش عن المفتي عبد الواحد السجلطاسي المتوفى سنة 1003 هـ (1595 م) وأبي زكريا يحيى بن محمد السراج الأصغر (1007 هـ 1598 م) وأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن جلال بن محبر المساري (983 هـ / 1576 - 1577 م) والفقيه المشارك أحمد بابا السوداني صاحب نيل الابتهاج ، وأخذ أيضا عن أبي المحاسن يوسف الفاسي .

برع ابن القاضي في الحساب وفي العلوم التي « يعوم فيها كالسمك في الماء ويخلق فيها كالصقر في السماء » ، وقد رحل إلى ديار المشرق حاجا حيث مكث مدة طويلة وسمع عن عدة علماء كبار منهم ابراهيم العلقمي (17) وأبي زكريا يحيى بن محمد الخطاب (995 هـ - 1589 م) ومحمد بن يحيى بدر الدين القرافي (1008 هـ - 1600 م) .

لما كان ابن القاضي عائدا إلى بلاده ، علم وهو في فزان بمكان اسمه « المخاطين » ، شهر اكتوبر 1578 م . بانتصار المنصور على أعدائيه البرتغاليين في معركة وادي المخازن ، وقتل ملكهم .

لاشك أنه كان يعيش في كنف المنصور ، 994 هـ (1585 - 1586 م) لأنه ، في تلك السنة ، استأذنته في الذهاب إلى القاهرة لطلب « العلم الشريف » . وركب متن البحر ، قاصدا مصر ، ولكن أسره قراصنة البحر القصارى في الرابع عشر من شعبان (994 هـ) ، وبعد أحد عشر شهرا في الأسر والحرمان افتداه المنصور الذهبي ، فمذحه بقصيدة طويلة أنشدها بمجلسه يوم وصوله إلى مراكش (8 شعبان 995 هـ - 14 - 7 - 1587 م) .

(16) توفي سنة 1012 هـ (1604 م) ترجم له في مرآة المحاسن (ص 148) و الفزهاء

(ص 192) و السلوة (ج 2 ص 62) الخ .

(17) ذكره الخفاجي في الريحانة ص 255.

مكث ابن القاضي بمراكش مدة ثم اسندت إليه خطة القضاء بسلا ، ولكن لم يلبث ان صرف عنها ، فانتقل الى فاس حيث استقر وتطوع للتدريس وشرح صحيح البخاري بمسجد الابارين ، وكان من تلامذته أبو العباس احمد بن يوسف القاسي واحمد المقرئ صاحب نفح الطيب .

قصد ابن القاضي ، في آخر عمره ، الزاوية الدلائية حيث اهتم بتثقيف محمد ابن الشيخ ابي بكر الدلائي ، ثم عاد الى فاس ، وهناك وافاه الاجل المحتوم ، في شهر صفر عام 1025 ، فأقام الصلاة على جثمانه تلميذه احمد المقرئ ، امام جامع القرويين اذ ذاك ، ودفن خارج باب الجيسة قرب ضريح الشريف الادريسي السجلماسي سيدي محمد بن الحسن .

مؤلفات ابن القاضي : ترك أربعة عشر كتابا ، أربعة منها تراجم أدبية ، سندرسها في القسم المخصص لها ، وثلاثة مصنفيات تاريخية ، وهي المنتقى و درة السلوك وشرحها (18) .

خصص المنتقى المقصور على **هآثر الخليفة المنصور للأسرة السعدية** ، بل للملك احمد المنصور الذهبي ، ويبدو من صفحة الكتاب الاولى ، أنه قدمه له اعترافا بجميله اذ افتداه من الاسر ، فهو يعدد فضائله ، ويسهب في عرض مناقبه وصفاته الخلقية والخلقية ، ريشد بعدله ونزاهته وورعه وصعارفه ، وصبره وعنايته بالعلوم وبموسم المولد النبوي وما الى ذلك ، وتطلعنا ، من خلال هذا الوصف ، معلومات تاريخية قيمة ، وخاصة في مستهل الكتاب حين يتحدث ابن القاضي عن نسب الاسرة السعدية موجزا لان سابقه تناولوا ذلك ، ثم يبدي الشك في نسب واحد من جدود الاسرة ،

(18) وغاوين الكتب الاخرى هي : الفتح النبيل بما تضمنه من اسماء العدد والتنزيل و غنية الرائض في طبقات اهل الحساب والفرائض و المدخل في الهندسة و نظم تلخيص ابن البناء و نيل الامل فيما به من المالكية جرى العمل و تقييد على جداول الحوفي و نظم منطق السعد .

وبعدها يتحدث عن ميلاد السلطان المنصور بفاس (سنة 956 هـ - 1549م) ويذكر كيف تقلد زمام الملك بعد معركة وادي المخازن ، وبالمناسبة يورد ملخصا عن تلك المعركة (19) ويقارنها بمعركة بدر ، ثم يستطرد الى ذكر الفتوحات التي تمت على يد جيوش المنصور بالسودان وقوات وتكورارين (كرامة) .

لا يستطيع الا القاريء النبيه ان يلتقط المواد التاريخية الغارقة في خضم التقريط والمديح للسلطان ، وهي جد قليلة ، وهكذا يتسنى له ان يعرف ان المنصور اهتم بتنظيم اسطونه البحري ، وبتحسين المراسي ، وأنه بنى بفاس برجين اولهما غربي باب الجيسة وثانيهما بالجَنُوب الغربي من باب الفتوح ، وأن يطلع أيضا على الابيات الشعرية التي أمر المنصور بنقشها على الخصة المرمارية التي ارسلها سنة 996 هـ (1588م) من مراكش الى فاس ليزين بها صحن جامع القرويين .

إن المؤرخ الاقراني سجل في كتابه **نزهة الحادي** المعلومات التاريخية التي يشتمل عليها **المنقسي** ولم يغفل إلا عن القليل منها فانه لم يشر الى نص الحوالة الحبسية التي تتعلق بالوقف الذي خصصه أم المنصور ، السيدة عودة بنت عبد الله الوزكتي الورزازاتي (20) لصالح مسجد اقامته بمراكش قرب باب دكالة ، وقد حرر تلك « الحوالة » الكاتب عبد العزيز الفشتالي وصادق عليها احمد المنصور نفسه .

19 ان هذه المعركة كانت ذات أهمية عظيمة ، خلافا لما يظنه الاستاذ كور

وأعرب عنه في كتابه **الدول الشريفة بالمغرب** ، وتشتمل الوثائق التي نشرها دو كاستري (السلسلة) الاولى من المحفوظات الفرنسية ج 2 على ما يؤيد هذا الحكم تأييدا لا غيار عليه (المؤلف)

(20) لا زال قبر هذه السيدة معروفا بمقبرة السعديين في مراكش .

فالمنتقى في فصوله الثمانية عشر ، مليء بالشعر والاستطرادات
إلهامشية ، والفوائد الدينية ، ومثال ذلك انه بينما يتحدث عن تقوى
المنصور ، في الفصل السادس ، يدخل في حديث طويل عن غوائد مخافة
الله ، وخلال ذلك كله ، يورد اربع عشرة مقطوعة شعرية ، في كل منها
من عشرة الى عشرين بيتا ، ثم يعود الى فصله ليحتمه ببضعة سطور ،
مكررا بترتابة هذه العبارة « ولنرجع الى ما كنا بصددده » .

شرح ابن القاضي اسلوبه الانشائي في مطلع كتابه وذلك حيث قال:
« ، ، وقد اذكر بعض حكايات وقصائد ومقطعات انشدها ، وملح غريبة
استحسنها ليكون ذلك كالمعين على مطالعة الكتاب لان النظر في فن واحد
قد ترغب عنه النفوس ، بخلاف ما اذ انمي بغيره فقد يسلي العيوس ، ،
والخاتمة اذكر فيها نكتا غريبة ، وطرقا عجيبة يصغى اليها المنتهي
والشادي ، والعاكف في ربع الادب والبادي ، فالاستطرادات في نظره
ترطب من جذبة الفصول وتجعل قراءتها متعة .

لاشك ان ابن القاضي قد كتب المنتقى ، كما قلنا ، في بادرة عرفان
بجميل من افتداه من الاسر ، وانه لم يفكر في وضع كتاب في التاريخ
وذلك ، فيما نرجح ، لثلا يغضب الفشتالي مؤرخ الدولة الرسمي ، ولا يقف
منه موقف الند المنافس .

لا ندري هل نظر المنصور الى المنتقى بعين الرضى والاستحسان
الا اننا نلاحظ انه لم يلبث ان عين مؤلفه قاضيا بسلا .

لابن القاضي أيضا أرجوزة تاريخية عنوانها : **درة السلوك فيمن حوى**
من الملوك لا ندري متى ألفها . انه ذكر فيها الدول الاسلامية ، وبصفة
خاصة ، الاسر الحاكمة التي توالى بالمغرب الى زمانه ، وقد اكملها ، بغاء
على طلب المنصور ، بشرح **سماء الدر الحلوك المشرق بدر السلوك** (21) .

(21) يوجد بخزانة الرباط مخطوط للسلوك وشرحه تحت رقم 372 .

تقع الأرجوزة في اربعمائة بيت بدأها بالسيرة النبوية وجزها في عدة أبيات ثم انتقل الى الامويين فالعباسيين فالفاطميين (او العبيديين) ثم الايوبيين وينتهي القسم الاول من الأرجوزة بذكر سلاطين آل عثمان ، ثم خصص القسم الثاني للمغرب : انه اعرض عن الاندلس وعن الموحدين ولكنه ذكر الادارسة ومن بينهم جده موسى بن أبي العافية ، ثم مغراوة ولقونة وبني مرين ، وأشار ، في اربعة أبيات ، الى أمير فاس مزوار الشرفاء محمد بن علي بن عمر الجوطي (869 - 876 هـ / 1561 - 1569م) ثم الى بني وطاس ليصل الى السعديين الذين لقبهم « بشرفاء ينبع الزيدانيين » .

ان اربعمائة بيت التي تستمل عليها الأرجوزة لا يمكن الا أن تكون « جريدة » أسماء وتواريخ جافة لا يزيد ما يقتضيه النظم من حشو الا غموضا وتعقيدا . أما الشرح فانه مفصل شبيها ما ولكنه لا يسمن ولا يغني من جوع . فانه لا يتضمن اكثر من أسماء الملوك وسنهم ونسبهم وتواريخ وصولهم للحكم ووفاتهم ، وأحيانا لوائح فيها أسماء وزراء وكتاب وحجاب رقضاة الخ .

فالقسم الذي خصه ابن القاضي للسعديين في الأرجوزة (59 بيتا) وكذا في الشرح (6 صفحات) لا يفيد الفارئ الا بمقدار ضئيل مع ان الكاتب كثيرا ما يحيله على كتبه الاخرى ولا سيما المنقلى و جدوة الاقتباس و دوة العجال .

ب - الافراني و «نزهة الحادي»

لما قام الاستاذ هواداس سنة 1889 م بنشر نزهة الحادي لم يستطع ان يعرف عن مؤلفه الافراني ، اكثر مما استقاه ، في هذا الصدد ، من الكتاب نفسه .

نستنتج مما ورد في كتب التراجم ان نسبة «الافراني» و «اليفراني» أو «الوفراني»، وقد اخترنا الاولى -نسبة الى «افران» القبيلة السوسية المستقرة بحوض وادي درعة .

هو أبو عبد الله محمد بن الحاج محمد بن عبد الله الافراني الملقب بالصغير . ولد بمدينة مراكش حوالي 1080 هـ (1669 - 1670 م) ، درس بمسقط رأسه على الفقيه ابي العباس احمد بن علي المواسي السوسي (22) ثم رحل الى فاس فأكمل دراسته في جامع القرويين حيث اخذ عن عدد من كبار العلماء منهم الفقيهان عبد الحلي الحلبي ومحمد بن عبد الرحمان ابن عبد القادر الفاسي (23) .

يخبرنا الحوات ان الافراني أتم باكورة إنتاجه في الثامن والاربعين من عمره ، وهو مؤلفه ، المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل (24) وهو كتاب متداول اليوم عند الادباء المغاربة .

ويخبرنا الحوات كذلك ان الافراني كان يومئذ بالمدرسة الرشيدية في فاس ، ولكن لم يوضح لنا هل كان مقيما هناك لطلب العلم لم للتدريس .

(22) ولد هذا الفقيه بمراكش سنة 1050 هـ (1640 - 1641 م) وتوفي سنة 1130 هـ ، قرب ضريح الامام الجزولي (صفوة من انتشار ص 223) .

(23) سنتكلم عن هذين العالمين في القسم الثالث المخصص للتراجم .

(24) طبع هذا الكتاب في فاس (المطبعة الحبرية سنة 1324 م) .

ومما يجعلنا نرجح أنه كان من حاشية المولى اسماعيل ، ذلك الكتاب الذي دون فيه أخباره وعنوانه **الفضل الوريث في مفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف و روضة التعريف بمفاخر** ،،، وقد انتهى منه سنة 1133 هـ ، أي خمس سنوات بعد انتهائه من **المسلك السهل** وهو لسوء الحظ كتاب فقد أثره (25) .

الف الافراني صفوة من أنتشر (26) ، حسب رواية الحوات ، سنة 1137 هـ وعلى هذا فيكون قد انكب ، قبل ذلك ، على تصنيف كتبه الأخرى التاريخية ، وهي **درر الحجال في مآثر سبعة رجال** ولم يتمه (27) و **المغرب في أخبار المغرب** وهو مفقود كذلك ، وأخيرا **نزهة الحادي** . وغير التاريخية وهي : **الافادات والانشادات و طاعة المشتري في ثبوت ثواب الزمخشري و فتح المغيث بحكم اللحن في الحديث** .

اننا نجد في كتاب **الدرر الدرر المرصعة** (28) وكتاب **القادري النقاط الدرر** ان الافراني عمر طويلا ، وأنه مات حوالي 1151 هـ لا 1140 هـ ، فصاحب : **الدرر** ذكر في ثنايا ترجمة المعارف الكبير احمد بن ناصر ان الافراني امتدحه بقصيدة انشدها بنفسه وكان قد جاوز السبعين من عمره ، وأنه كان إذ ذاك اماما وخطيبا بالمسجد اليوسفي بمراكش ، وفي نفس الوقت بالتدريس . قال صاحب **الاديب النحور اللغوي البياني** المحدث **أبي عبد الله محمد الافراني** وقد لقيته بمحروسة مراكش بمسجد علي بن يوسف وهو الامام والخطيب به وذلك في صدر سنة 1151 هـ وانشدني

(25) انه لمن حسن الحظ ان عثر الاستاذ عبد الوهاب بن منصور على مخطوط هذا الكتاب فحققه واشرف على اخراجه بالمطبعة الملكية (1382 هـ - 1962 م) .

(26) انظر القسم الخاص بالتراجم .

(27) أكد ذلك في كتاب **الاعلام** ج 1 ص 23 (المغرب) .

(28) ورد في «دليل مؤرخ المغرب ، تحت رقم 86 (المغرب) .

يعض القصيدة التي امتدحه بها وناولني بقيتها مع كراسة من نظمه ، ثم
ذكر قصيدته التي قالها بعد الرحلة وقد بلغه طعن الطلبة عليه حين تصدى
للتدريس ونصها (29) :

الى كم يهتك الحساد عرضي
وجفني عنهم بالحلم مفـض
وما ذنبي اليهم غير اني
رفعت عليهم من غير خفض
يرون العلم في حبس وشيب
وذاك عليهم بالجهل يقضي
وهل في خطبة الاحباس شيء
سوى غضب الاله وهتك عرضي (30)
وكم من أشيب كالبعل يمشي
ولحيته اللجام له يركض
ولو تركوا حظوظ النفس كافوا
جميعا ظامين لورد حوضي
وقاهوا في فجاج الحفيظ مني
ولم يصلوا الى طول وعرضي
وجاؤوا مهطعين لبحر علم
يفيض على المجالس أي فيض
جمعت من التفائس كل علق
وحزت من اللطائف كل غص

(29) نقلت هذا النص من كتاب اظهر الكمال في تجميع مناقب سبعة رجال (المطبعة
الحجرية بقاس) للقاضي العباس بن ابراهيم المراكشي ص 182 - 183 (العرب) .
(30) يرى المؤلف المترجم لهذه القصيدة ان الامراني يلحظ هنا الى الاختلاسات التي
يرتكبها عداة المكلفون بشؤون الاوقاف .

وحلاني الله بـدر علم
يفيض على المجالس أي فيض
جمعت من الفنائس كل علق
وأعطاني القبول بكل أرض
وحصنت العلوم بجوع بطن
وخوض في الإباحث أي خوض
وكم من ليلة قد بت فيها
سمير دقائق من غير غمض
أخذت العلم عن أشباح صدق
وأعلمت المطي لكل مرض
وبعض مشائخي الأبرار لاقى
نبي الله عيسى دون رفض
مقل لشيوخ مراكش هلموا
بأنصاف لتضطربوا بروضي
ولا يحملكم كوني صغيرا (31)
على أنكار مرتبتي وبغضتي
فإن العلم نور الله يعطي
انارته لبعض دون بعض
لم يصلنا من نظمه إلا هذه القصيدة وأخرى في مدح أبي العباس
السعدي (32) والبيتان اللذان ارتجلهما مفتخرا :
أنا أشعر الشعراء غير مدافع
من قال لست بشاعر يأتيني
فكري هو البحر الخضم شبيهه
والبحر حاوي الجوهر المكنوني (33)

(31) ربما يشير هنا إلى لقبه « الصغير » (المؤلف) .

(32) أبياتها مثبتة كذلك في الظاهر الكامل .

(33) ص 310 (ط هوداس) .

زعم ابن الموقت في كتابه السعادة الابدية ، ان الافراني دفن بالمسجد
اليوسفي تحت بلاط حجرة الجنائز ، وان نخلة صغيرة نبتت على قبره
وهي لا زالت قائمة الى يومنا هذا .

انما لا نعرف الكثير عن حياة الافراني ولا ندرى ما هي « المصيبة »
التي نزلت به وأشار اليها في كتابه نزهة الحادي وكل ما نعرفه عنه انه
نكب في حياته وشكا جشع الناس للمال ، ويبدو انه وقع في ضائقة مالية
حتى ان دائنيه باعوا مكتبته الشخصية ، وقد عبر عن غيظه في رسالة من
جملة الرسائل التي كان يوجهها لرئيس الزاوية الشرقاوية بأبي الجعد
الشيخ محمد الصالح بن محمد المعطي الشرقي .

وكيف ما كان الامر فان المؤرخ الافراني يتمتع اليوم بسمعة طيبة
في الاوساط الادبية المغربية ، ويحظى بكامل التقدير ، وان كتاب نزهة
الحادي يعتبر اكمل تاريخ للدولة السعدية بعد مناهل الصفا للفشتالي .



نزهة الحادي

اطلعتني قضية القاضي العباس بن ابراهيم على نسخة من رسالة كان
قد وجهها الافراني للشيخ محمد الصالح الشرقي ، وتسنى له استنساخها
بزاوية ابي الجعد ، واليكم الفقرة التي تهمنا منها :

الغيثات الغياث يا أحرار

نحن خلعناكم وأنتم بحار

انما تحسن المواساة في الشر

سدة لا حين ترخص الاسرار

« وقد اكملنا كتابنا صفوة من انشور ، في اخبار ملحاء القرن
الحادي عشر في خمسة عشر كراسا ، وهو كتاب حقل ، ذكرنا فيه
والدك ، وكل ما فيه من الغرر والفوائد فهو منقول من نحو خمسة وعشرين
كتابا ، وهو عندي قربة الى الله ، فان اردت نسخة فابعث من ينسخها
لك ، ولو رأيت تراجمه قبلت برجمه ، وكذلك كتابنا نزهة الحادي باخبار
ملوك القرن الحادي .

يتضح من هذه الرسالة ومن مقدمة **الصفوة** ان **الفزهة** الف قبل **الصفوة** وبعد **الظل** **اوريف** المخصص لذكر مفاخر المولى اسماعيل ابن الشريف . لماذا يا ترى بدأ له أن يدون تاريخ دولة بعد تراجم الصالحين، معرضا هكذا عن تقصير اهتمامه على ذكر إخبار دولة قد قويت شوكتها وانتشر نفوذها ؟ ألان **الظل** قوبل بشيء من الغضاضة ؟

فانه والحق يقال ، قد ختم **الفزهة** بأخبار المولى اسماعيل فامتدحه وأثنى عليه ، ولكن إنكبابه على تدوين أخبار ملوك انقرضوا ، لا يخلو ، في نظرنا من جرأة .

بدأ المؤرخ كتابه **نزهة الحادي** بنشأة الاسرة السعدية وتعرض في آخره لبداية الاسرة العلوية الى عهد المولى اسماعيل ، فذلك الكتاب «يغطي» اذن فترة قرنين من الزمان ، وان كان عنوانه يوحي بأنه سيقصر فيه على تاريخ قرن واحد . وحيث ان الافراني اعترف نفسه انه يريد ان يتعرض لاخبار كافة الاشراف السعديين فانه ذلل تلك الصعوبة بقوله : « وهذه الدولة السعدية وان كان ابتداءها عام ستة عشر من القرن العاشر ، وأول الحادي ، فلذلك ادرجناها في الحادي وما قارب الشيء فهو له في الحكم محاني » (34) .

خصص الافراني خمسة وسبعين فصلا من الواحد والثمانين التي اشتمل عليها كتابه ، للكلام على الدولة السعدية ، وذلك حسب قوله ، ليجعله ذبلا لـ **روض القرطاس** (35) و **روضة النسرين** في دولة مرين (36) الم يكن الحافظ الحقيقي له على تدوين تاريخ الدولة السعدية ، هو منبه العادافي الى اولئك الاشراف الذين كانوا بسوس ، موطنه ، وتربعوا على العرش بمسقط رأسه ، مراکش ؟ فليستمع اليه وهو « يئن » قرب انقراض البدع . قال :

(34) **نزهة الحادي** (طبعة هوداس ص 2)

(35) العنوان الكامل لهذا الكتاب هو الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (تأليف ابن أبي زرع) وقد طبع بالمغرب عدة مرات (المغرب) .

(36) **روض النسرين** في دولة بني مرين لابي الوليد اسماعيل بن الاحمر طبع بالرباط -

(المطبعة الملكية 1382 هـ - 1962 م) (المغرب) .

« امر بهدمه السلطان المظفر إسماعيل بن الشريف ، عام تسعة عشر ومائة والف لوجب يطول شرحه ، فهدمت معالاه ، وبدأت مراسمه ، وغيّرت محاسنه ،،، وعاد حصيدا كأن لم يغن بالامس . ولما دخلت البديع مقفلي من الرحلة ورأيت ما هالني قرأت عليها أبياتا أنشأها محيي الدين بن عربي في كتابه المسامرات لما دخل الزاهرة فوجدها متهدمة

ديار بأكناف الملاعب تلمع
وما ان بها من ساكن وهي بلقع
ينوح عليها للطير من كل جانب
فتصمت احيانا وحيثا ترجع
فخاطب منها طائرا متفردا
له شجن في القلب وهو مروع
مقات علام ذا تنوح وتشتكي ؟
فقال على دهر مضى ليس يرجع (37)

لا شك ان الافراني كان لا يرى مائتا اعظم من المنصور ، صديق الشعراء والمؤرخين اذ خصه هو وحده بثمانية وعشرين فصلا وصف فيها حياته ومفاخره وما كان له من أياد بيضاء .

انما لا نرى ضرورة لتحليل كتاب النزهة تحليلا مفصلا ، بل يكفي ان نذكر ان الافراني ضمنه تاريخ جميع السعديين الذين تولوا الحكم ، فعرف بنسب كل منهم وتاريخ جلوسه على العرش . ثم قفز بسرعة الى حكم المولى عبد الملك فوقف قليلا عند النصر الذي احرزه على جيوش سبسطيان . حتى اذا وصل الى زمن المنصور ، بدأ يكتب بحماس وتؤدة عن فتوحه ونشاطه العمراني ، فوصف قصر البديع وأورد معلومات مختلفة عن الاحتفالات الرسمية والدينية ، وعن فروع الادارة المركزية ، ثم تكلم عن الثورات التي قامت بعد وفاة المنصور . وعن اعمال المجاهدين الذين تصدوا بمدينة سلا ، لمحاربة النصارى ، وعن الدلائيين الذين كان قد بزغ اذ ذاك

نجمهم وبدأ يتألق ، وختم بالتحدث عن وصول الحسينيين للحكم ، وعن الخوكة الذين وطدوا أسس الدولة العلوية وهم مولاي محمد بن الشريف، فمولاي رشيد فمولاي اسماعيل .

استفد الافراني ، في تاريخه هذا على ثلاثة وأربعين مصدرا ، بعضها يتصل بالتاريخ العام وبعضها يتصل بتاريخ الاسرة السعدية ، كتاريخ الفشتالي ، و المفتقى و درة الحجال و الدر الخوكة لابن القاضي ، ولم تكن تنقصه الجرأة احيانا لما يورد في كتابه بعض العبارات التي لا يرتاح عادة لسماعها أرباب السلطة ولا تتسع لها صدورهم ولكنه كان دائما يتخلص من تبعثها باسنادها الى أصحابها .

واعتمد الافراني كذلك على عدة مراجع غير تاريخية لانه كان ، كسابقه ، ميالا للاستطرادات الادبية ، مهتما بتسجيل ما كان يقع بين الادباء من المساجلات الشعرية وما كانت تجود به قريحته هو ، في مختلف المناسبات (38) وكل ذلك يدل على سعة ثقافته وقوة عارضته ، ومما يزيدنا تقديرا له انه كثيرا ما كان يستعمل ثقافته ومحفوظه ، لنقد أقوال بعض المؤلفين الذين اخطأوا في التعليل والتفسير .

وبالاضافة الى ما تقدم فان الافراني استطاع أن يرجع في تاريخه الى أوثق المصادر المعروفة في عهده ويستعملها استعمالا سليما ، وان يرجع كذلك الى بعض المستندات الرسمية بحكم وظيفته في المخزن بحيث توصل اليها ونقل منها بأمانة .

أورد في نهاية مؤلفه قائمة مصادر عربية مطولة من شأنها ان تساعد المتطالعين لدراسة الحركة الادبية بالمغرب .

وفي الختام فانه المؤرخ المغربي الوحيد ، في عصره الذي ترك لنا خلاصة عن حكم السلاطين الثلاثة الاولين من الاسرة العلوية . فكتابته النزهة يتسم بالجدية وجدير بان يعتبر وصلا لروض القرطاس ولكتاب العبر .

ج - مؤلف مجهول كاتبه

يخبرنا الافراتي في الفصل المخصص في النزهة للسلطان السعدي ابي محمد عبد الله الغالب بالله ان احد الكتاب اتهم ذلك السلطان بأنه سلم للنصارى مرسى « حجرة يادس » ثلثا يستولي عليها الاتراك وأنه أمر القائد على وادة بالانسحاب عن مرسى « البريجة » التي كان قد حاصر فيها البرتغاليين واستولوا عليها (39) وبهذه المناسبة قال مؤرخنا : « وهذه أمور شنيعة ان صح انه فعلها ، ولست ادخل في عهدها ، انما رأيتها في أوراق مجهولة المؤلف ، اشتملت على ذم هذه الدولة السعدية ، وظني انها من وضع اعدائهم للحط من قدرهم واخراجهم من النسب الشريف ، ووصف دولتهم بالدولة الخبيثة ، فلذاك تجنبنا منها كثيرا من الاخبار التي لا تظن باولئك السادات الاشراف رحمهم الله (40) .

لم أكن اتصور ، وأنا أقرأ هذه الفقرة ، انه سيتسنى لي يوما ما العثور على ذلك المرجع الذي استنكر مؤرخنا موقف موقف صاحبه من الاشراف السعديين ، وأنبه على اتهامه للغالب بالله بالخيانة والخذلان. ولكن ابتسم لي الحظ ذات يوم فعثرت عليه صدفة بمكتبة العالم السلوي محمد بن علي الدكالي . في شكل كراسات تضم نحو الثلاثين ورقة مبدور الاول ولا اثر فيه لاسم مؤلفه ولم اكداتصفحه حتى تيقنت انني وضعت يدي على ضالتي المقصودة .

اخبرت ان ذلك المخطوط اقتنى بفاس ، ولذا سميته بـ مجهول فاس وقد عقدت العزم على نشره وترجمته (41)

(39) ورد ذكر هذه الاخبار ص 37 من تاريخ الدولة السعدية لمؤلف مجهول الاسم ، وهو الكتاب الذي اشار اليه ليفي بروفنصال وقام بتحقيقه ونشره الاستاذ جورج كولان (الويساط سنة 1934 ضمن مطبوعات معهد الدروس العليا المغربية (المغرب) .

(40) نزهة الخياشي - طبعة هوداسي ص 49 .

(41) ولا شك ان المؤلف ليفي بروفنصال لم يستطع انجاز ذلك ، اذ الاستاذ جورج كولان هو الذي قام بنشر المخطوط ، وكان قد جمع ثلاث نسخ منه فتسنى له تحقيق اكمل (المغرب) (انظر التعليق رقم 39) .

ان الصورة المثبتة في الصفحة الثانية تكفي لتعطينا فكرة عن الحالة الي وجدت عليها تلك النسخة من المخطوط « وهي نسخة قديمة بخط مندمج ، قريب من المختول » .

انه عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات من الثورات والمؤامرات والاغتيالات والمحاصرات والغزوات التي توالى بالمغرب خلال القرن السادس عشر الميلادي .

استهل بذكر اخبار السلطان مولاي محمد الشيخ الملقب بالاصغر . وهم يشتمل على معلومات دقيقة عن اغتيال العالم عبد الواحد الونشريسي وعن حصار محمد الشيخ لمدينة فاس وانصاره على احمد الوطاسي ، وعن فرار عم هذا الاخير الامير ابي حسون ، الى الاندلس ثم الجزائر ورجوعه الى فاس صحبة فصائل من الجيش التركي ، وآخر الامر عن موت ابي حسون وعن استيلاء مولاي محمد الشيخ على حاضرة فاس وقتله للعالم ابي محمد الزقاق .

لا يلبث متصفح هذا المخطوط ان يدرك ان صاحبه كان يرغب ، قبل كل شيء في تسجيل الاحداث التي وقعت في عهد الامير السعدي الاول محمد الشيخ لانه لم يخصص لخلائفه ، ومنهم احمد المنصور ، الا نتقنا ضئيلة من الاخبار .

ويبدو من الظروف المحيطة بالاحداث التي ورد ذكرها في هذا المرجع ان مؤلفه يعرف بدقة ، مدينة فاس وحراراتها وسككها وابوابها الخ ، ويكفي للاقتناع بذلك ان نتمع النظر في الفقرة التالية : ، ، ، انهزم مولاي محمد الشيخ ، وظفر ابو حسون المريني بمحلته ، ، ودخل ولده عبد الله على باب الفتوح ، وجاز على قنطرة الرصيف ، وخاف ان يمر بوسط المدينة ، فرجع على وادي الصوافين ، وخرج على باب الحديد ولحق بأبيه « (42) .

ويتجلى من الفقرة السالفة ان مؤلف المخطوط فاسي النشأة الا أنه من الصعب تحديد الزمان الذي أقدم فيه على التدوين وكذا معرفة الاسباب التي « تغضى عن المحاسن وتبدي المساوي » والظاهر ان الاقراني كان كثير التحفظ فيما ينقل منه ويوجز كل ما فيه نوع من التحامل على رجالات الدولة السعدية . فانه مثلا لخص في أسطر « تأدب السعديين بآداب أهل الحاضرة فقال : « ان ملك للسعديين انما تأثق على يد رجل وامرأة ، فأما الرجل فقاسم الزرهوني ، فانه رتب للسلطان أبي عبد الله الشيخ هيئة السلاطين في ملابسهم ودخولهم وخروجهم وآداب أصحابهم ، وكيفية مثلهم بين أيديهم ، وأما المرأة فالعريفة بنت خجو فانها علمته سيرة الملوك في منازلهم وحالاتهم في الطعام واللباس ، وعاداتهم مع النساء وغير ذلك ، فاكتسى ملك الشيخ بذلك طلاوة وازداد في عيون العامة رونقا وحلاوة(43) وقال صاحب مخطوط فاس : « ولقد حدثني رجل كان في عصره يقال له السيد علي بن هارون ، وكان من أعلم الناس بأحوالهم انه لقي أربعة من رجالهم عند حمام القلعة - وهم مرتدون باردية الفرش المطروزة بالحرير وحواشيهم مطروزة بالحرير الملون وهم يفترون الى بعضهم بعضا ويستحسنون ذلك ، وكان قد دخل مولاي محمد الشيخ لفاس الجديد دخوله الاول وعليه « ملوطة » من ملف سماوي وطوقها من ملف أحمر ، وكان بنو مرين يسمونه ببوملوطة ، وهكذا كان أعيان أهل درعة لباسهم ولباس أشرافيهم الى ان دخلوا مدينة فاس وتمهد ملكهم فيها وفي نواحيها من بلاد المغرب فتزخرفت أيامهم على يد رجل وامرأة ، فأما الرجل فهو قاسم الزرهوني ، كان وزيرا عند بني مرين ، مجدهم وزين لهم لباسهم وزينهم وأراهم كيف يلبسون الثياب وكيف يشدون الشدود والعمائم ، وكيف يركبون المراكب بزي عجيب ، وكيف يشهرون السلاح بالفضة والذهب والوشي ، وكيف يباشرون

(43) نقلت هذا النص من الاستقصا ط الدار البيضاء 1955 م ج 5 ص 30 ، وقد ورد

في نزهة الحامي ص 29 (المغرب) .

الامور مع أعيان القبائل وأكابر القوم ، وكيف ينعتد الديوان ومن يختص به من العلماء والادباء والكتاب والحفظة والقواد ، وكيف يكون قعودهم ومنازلهم في المجالس ، وكيف يكون وقت الطعام مع تقديمه الى القوم ، وكيف يقضي الامر والنهي الى غير ذلك من الامور والاشياء التي لا تحصى ، وأطلعهم على جبايات المغرب ودواوين القبائل وما ياتي من جباية زكواتهم وأعشارهم ، وما عليهم من الوظائف ورواتب الجيوش الى ان ضبط لهم ملكهم وزينه وشرف امرهم وحسنه وغلظ حجابهم ومكنه فكبرت حجتهم وعظمت صولتهم ، وأما المرأة فهي العريفة بنت نجو (1) كانت عند بني مرين ، ودخلت بيد الشرفاء ، وجدوها اكبر حجة في الدار فأبقوها على ما هي عليه ، فأرتهم كيف يصنعون الاطعمة وكيف يطبخونها وكيف يدفع الطعام في أوقاته وفصوله وأيامه . وأرتهم كيف يلبسون نساءهم الملابس الحسان والتنوير بالطيب والتزين بالزينة العجيب ، وتفرش الفرش من الحرير والرقم في المخاد والارضية الموشية بالوشى الغريب ، ووقد الشمع الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة ، فكانت هذه العريفة المرينية زينت لهم الديار وقامت بهمتهم واحوالهم فيها والوزير الرهوني زين ملكهم وابهج سلطانهم (44).

ان صاحب مخطوط فاس يتسم بالتحامل على أمراء الدولة السعيدية الا أنه لم يستطع التغافل عن بعض محاسنهم . وهو على كل حال ليس ممن يزخرفون الاقوال ويكيلون المدح والثناء بالمكيال الاوفى لكل من يجزل لهم الإصلاات ويغدق عليهم العطايا ، لذا نعتبر مؤلفه تكلمة مفيدة لفئة الحادي .

(44) تاريخ الدولة السعيدية ، طبعة كولان بالرباط ، ص ، 23 - 25 (المغرب) .

الفصل الثاني



مؤرخو الدولة العلوية حتى حكم مولاي الحسن

لن عدد المؤرخين الذين اهتموا بتدوين أخبار الدولة العلوية ، وخصوصا
لؤلئك الذين لا زالت مؤلفاتهم متداولة بالمغرب ، يكاد لا يتجاوز عدد
مؤرخي الدولة السعدية ، وفي هذا ما يدعو ، في أول وهلة ، للاستغراب .

نعم فافتنا كفا نتوقع ان يتييسر أكثر فأكثر الوصول الى الوثائق
التاريخية ، ويزداد عدد المشغلين بدراساتها كلما كانت تتعلق بفتترات
تاريخية أشد قربا من عصرنا ، وذلك بالطبع نظرا لقلّة اسباب تعرضها
للتلف او الإهمال .

افتنا نعثر ، من آن لآخر على اصدارات من تلك الوثائق قد اعتنى ،
لحسن الحظ ، بعض العلماء المغاربة ، بحفظها ولكن تأكد لدينا ان كتّيب
التاريخ ، وحتى التي تهم أخبار العقود الأخيرة من القرن الرابع عشر الهجري
قليلة جدا .

الظاهر ان عدد تلك الكتب لا يتجاوز عدد اصابع اليد الواحدة ، ويؤيد
هذا الرأي قلة أسماء التواريخ الخاصة بالدولة العلوية ، ضمن المراجع
التي اعتمدها المحدثون من المؤرخين المغاربة ، وأوردوا لموائعها في مؤلفاتهم .

رأينا ان الافراتي كان أول من سجل أخبار السلاطين الثلاثة الأولين
الذين تم على أيديهم تأسيس الدولة العلوية ، وتوطيد اركانها ، وثبت لدينا
أنه لم يظهر بعده كاتب اعتنى بوصف احوال تلك اسرة المالكة ، الا في

أواخر القرن الثاني عشر الهجري (1786م) . ولا شك ان الاضطرابات التي سادت المغرب اثر وفاة المولى اسماعيل والى عهد حفيده سيدي محمد بن عبد الله ، هي التي جعلت المؤرخين يرغبون عن وصف ما اكتنف تلك الفترة من هرج ومهز . ومن شغب وفساد .

ومهما يكن من امر فاننا لا نجد فيما بين اوائل القرن الثامن عشر وأواخر القرن التاسع عشر الميلادي سوى مؤرخين اثنين عاصرا القسم الأكبر من الاحداث التي تكلمنا عنها ، وهما ابو القاسم الزياني ومحمد أكتسوس ، وكان كلاهما يربى الاصل ، مثل الافراني ، ومرتبطا بالحكومة اي على علم بالامور العامة والشؤون السياسية .

ويمكن ان نضيف الى الكتب التي ألفها هذان المؤرخان عن الاحداث المغربية الى عهد مولاي الحسن ، كتابين آخرين : أحدهما مختصر ومجهول مؤلفه ، وثانيهما مؤلف لمحمد الضعيف ، وهو لا يخلو من همز ولمز .



الوزير ابو القاسم الزياني

ان الزياني الوزير المؤرخ يكاد يكون مجهولا اليوم بالمغرب (1) الاقصى فكتبه لم يطبع منها ولو واحد ، بالمطبعة الحجرية الفاسية ، ولا يوجد الا عدد قليل من نسخها المخطوطة ، كما ان صاحب سلوة الانفاس لم يخصص فيها لترجمته ، الا أسطرا لا تسمن ولا تغني من جوع (2) .

(1) لا ننس ان المؤلف قال هذا سنة 1922 هـ . اما اليوم فان مؤلفات الزياني تعتبر من اثار الثقافة الواجب احياءها (المغرب) .

(2) ترجم للزياني :

الناصرى ، الاستقصا ، 4 : 33، 108، 109، 113، 116، 118، 132 . الكتاسي سلوة الانفاس ، 1 : 263 ، محمد السائح . المنتخبات المبقرية ، 100 ، هوداس ، مقدمة المغرب من 1631 - 1812 ، ج ، سلمون ، وحالة مغربي ، مجلة الوثائق المغربية ، 1905 ، ص . 330 - 340 ، أ. كزول ، البستان الطريف ، مجلة العالم الاسلامي ، 24 : 311 - 317 ، بروكلمان ، الادب العربي ، 2 : 507 ، هوارات ، الادب العربي ، 423 .

ونذكر المؤلف ايضا ان هوداس نشر الترجمة ونقله الى اللغة الفرنسية معتمدا على نسختين مخطوطين احدهما من تلمسان والاخرى من وهران .

ان الادباء المهتمين حالياً بالدراسات التاريخية لا يولونه اي اعتبار ، بل منهم من يصرح بأنه سفيه ، وقد سبق لمعاصره اكنسوس ان وصمه عدة مرات ، في كتابه **الجيش العرمرم بالجهل والغباوة** (3) .

والحقيقة ان الزياني كان يمتاز عن العلماء المعاصرين له بسعة الثقافة وبالصرامة ، لا يتكلف التصنع في احكامه ولا يربأ بنفسه ، في بعض الاحيان ، عن استعمال الحوشى من الالفاظ في أقواله .

هو أبو القاسم بن أحمد بن علي بن ابراهيم الزياني ، المولود بفاس سنة 1147 هـ (1734/1735م) ، ينسب الى قبيلة زيان من أهل الاطلس المتوسط .

كان جده ، الفقيه النسابة علي بن ابراهيم ، يسكن بزاوية اوكو قرب ادخسان ، وقد نقله الى مدينة مكناس ، السلطان مولاي اسماعيل ، عند عودته من ريان ، سنة 1100 هـ (1689م) واتخذة اماما لصلااته .

لما توفي علي انتقل ولده ، أحمد ، الى فاس فاستوطنها وولد له بها أبو القاسم .

أخبرنا الزياني عن جده أنه « رفع نسبه الى أبي القبيلة « زيان » ومنه للجد ، مالو الصنهاجي ، ومن مالو رفعه الى اليسع الذي اسلم ، على ما في تاريخ سليمان بن سابق المطماطي نسابة البربر ، في عهد الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان » (القرن الثامن الميلادي) .

نشأ أبو القاسم بفاس وبها حفظ القرآن واشتغل بطلب العلم بجامعة القرويين ، وجامع الاندلس ، ومدرستي الصهريج والطارين ، على شيوخها أحمد بن الطاهر الشرقي ومحمد بن الطيب القادري ، وعبد القادر بوخريص

(3) لقد اعتنى الاستاذ عبد الله كنون ، في جزء من سلسلة فكريات مشاهير رجال المغرب بتلخيص ما وجه للزياني من انتقادات مرة مبينا ما مؤلفاته من مزايا قيمة وملتمسا الاعذار لما كان له من عفوات . (المغرب)

(4) ومحمد بناني (5) ، وبوجه خاص ، على الفقيه الجليل أبي حفص عمر الفاسي المتوفى بفاس في 29 رجب 1188 هـ ، والذي كان من جملة تلامذته طائفة من العلماء المشهورين ، مثل عبد السلام الحسين والعربي القسنطيني ومحمد سحنون والوليد العراقي ويحيى الشفشاوني (6) ومحمد الهوارى (7) ومحمد بن عبد السلام الفاسي (8) .

عندما اتم ابو القاسم دراسته ، وكان في الثالثة والعشرين من عمره (سنة 1169 هـ / 1785 م) عزم والده على الارتحال الى الديار المقدسة قصد تأدية الحج ، والاستقرار نهائيا ، في المدينة المنورة ، اذ ضاقت نفسه بتوالي الفتن واضطراب الامن في المغرب ، منذ وفاة مولاي اسماعيل ، فباع دارين كانتا له بفاس ، ومكتبته ، واتجه وزوجته ووحيدهما ، مؤرخنا الزياني ، نحو القاهرة ، لينضموا الى ركب الحجاج المصريين المتجهين برا نحو مكة المكرمة ، الا ان هناك ، اشار بعضهم على والده بركوب البحر لكونه اقرب مسافة واقل مشقة : فاشترى بما كان لهم من مال سلعة ، واكترى ابلا لحملها الى مرسى السويس ، ومن ثمة ابحروا نحو اليمن ولكن تكسر المركب ، وضاعت السلعة ، وتلفت الاسباب ، فحمدوا الله على عتق رقابهم . وكانت هذه هي أولى النكبات السبع التي أصابت أبا القاسم خلال حياته ، وأثرت فيها عظيم التأثير ، كما يخبرنا بذلك هو نفسه في وصفه لهذه الرحلة .

(4) ابو محمد عبد القادر بن العربي بخريص ، ولد حوالي سنة 1118 هـ وتوفي سنة 1188 هـ ، ولي القضاء بفاس ثلاثين سنة الى أن عزله السلطان سيدي محمد بن عبد الله (عن السلسلة ج 2 ص 12)
(5) محمد بن الحاج الحسن بن مسعود بناني ، ولد سنة 1133 هـ ، تولى الافتاء والامامة والخطابة ، اشتهر بحاشيته على شرح الزرقاني المختصر خليل ، توفي بفاس سنة 1194 هـ .

(6) ابو زكريا يحيى بن المدي الشفشاوني ، الشريف الادريسي والعالم المشارك ، تولى الامامة والخطابة بالضرير الاديسي ، مدة ثلاثين سنة توفي سنة 1228 او 1229 هـ (عن السلسلة . ج 1 ص 95)

(7) انظر السلسلة ج 1 ص 308 .

(8) انظر السلسلة ج 2 ص 318 .

« في الينبع أخرجت والدته من حزامها 300 دينار كانت أعدتها لحادث الدهر ان ألم بها ولم يكن للاب ولا تلابن علم بصريحها ولا بابها « ، فاكثروا منها مطايا لجة ومكة ، حتى أدوا الحج وأتموا العمرة ، وبعد الفراغ من مناسك الحج وفواخله ، سافروا مع الركب المصري الى المدينة المنورة بقصد الزيارة فقط لا المجاورة لانها ، مع ذهاب البضاعة وقلة ذات اليد واليسارة ، أصبحت مستحيلة ، فرجعوا الى مصر على طريق البر ، حيث باعوا بعض الاسباب كانوا تركوها بها ، واستعدوا للرجوع الى المغرب اذ بلغهم خبر وفاة السلطان مولاي عبد الله ، وبيعة ابنه سيدي محمد « (9) .

لم يتسن لابي القاسم ، خلال اقامة أسرته بالقاهرة التردد الى مجالس العلم « ولكنه حصل هناك ، في بيت صاحبهم الذي كان نزولهم عنده ، مسائل من علم الرمل والسيميا ، وخواص المعادن وما يفشأ عنها من الاسرار العجائب التي يبلغ بها المرء أعلى المراتب » .

كان مر على خروجهم من فاس أكثر من سنتين ولما عزموا على الابحار وجدوا المراكب معطلة نظرا لنشاط القرصان في عرض البحر وللحرب التي كانت قائمة بين اسبانيا وفرنسا وبين الانجليز (المسماة حرب السبع سنوات) ، وأخيرا ركبوا في مركب للفرنسيين قاصدا ليفورن *Livourne* حيث أقاموا أربعة أشهر ، ثم قصدوا برا مرسيليا ومنها برشلونة حيث علموا أن الفرنسيين كانوا محاصرين لجبل طارق ، وبعد أن رفع الحصار عن ذلك المرسى توجهوا اليه ، ومنه الى تطوان ومنه الى فاس ، فدخلوها وليس معهم ، « الاسبعة مثاقيل بقيت من البضاعة » .

(9) استفتت في تعريب هذه الترجمة مما ورد في كتاب الترجمانة الكبرى (ط . وزارة الانباء سنة 1967) وقد اخبرنا المؤلف أنه استفاد من نسخة من كتاب الترجمانة كان أعارها إياه الفقيه ابن علي الدكالي السلوي ، ومن نسخة أخرى كان وجدها في خزانة السيد محمد بن عبد الله المراكشي الكاتب يومئذ بوزارة المعارف .

(انظر ص 143 من المؤلف . تطبيق (2))

لما استقراحو من السفر عاد ابو القاسم الى القراءة كما كان ، ثم سأل عن رفقاءه في الانس والطلب فوجد اكثرهم تعلق بخدمة السلطان سيدي محمد بن عبد الله لما بويغ فتناقت نفسه الى اللحاق بهم ، وتعلقت همته بخدمة السلطان . فهناه ابوه عنها و « شرح له حالها ومآلها فلم ينفعه نهيه ، ولم يرده انذاره وهديه » وهكذا أصبح مترجمنا كاتباً في البلاط العلوي .

لاشك ان أبا القاسم بقي ، اول عهده بالبلاط ، خاملاً مغموراً ، وان ما أدركه خلال رحلته من معلومات وخبرات جعله عرضة لكثير من اللؤل الحسد وضروب السعائيات ، الا ان السلطان سيدي محمد بن عبد الله لم يثبت ان اسند اليه مراقبة ما يجري من الاحداث في المناطق الوسطى من المغرب وذلك لكون الزياني كان يفهم اللهجة البربرية . (10) ولكن لما شق آيت ومالو عصا الطاعة سنة 1187 هـ (1773 م) وردوا القائد ابا القاسم الزموري ، اضطر السلطان ، بعد ابعاد الزياني وتهديده بالقتل ، الى الخروج بنفسه لتأديب القبيلة الثائرة ، فأشار عليه الزموري بأن يقسم جيشه اثلاثاً وعين لكل ثلث مكاناً يربط فيه . فانتهز الزياني تلك الفرصة ليبين للسلطان ان الزموري يجهل كل شيء على المنطقة التي تحت تصرفه ، وأن إشارته تعرض السلطان وجيشه للهزيمة فام يسه السلطان الا ان عهد اليه انقاذ الموقف باستخدام جاهه عند تلك القبائل ، فما عتمت ان القيت السلاح ودخلت في الطاعة . فرضي سيدي محمد على كاتبه ورفع منزلته ، وهكذا انفرجت النكبة الثانية وابتسم له الحظ من جديد اذ اصبح سيدي محمد يقدمه في المهمات ويكل اليه تذليل ما يحدث في القبائل البربرية من عقبات واطفاء ما يتأجج فيها من فتن وثورات .

(10) ورد في رحلته ما يثبت انه كان يفهم عدة لغات اجنبية منها الاسبانية والتركية وربما حتى الفرنسية واما البربرية فلا شك انه كان يفهمها ويتكلم بها .

وهكذا نراه ، سنة 1198 هـ (1783/1784 م) رفقة السلطان بالصويرة ثم بتافيلالت ، حيث كان عم هذا الأخير ، الحسن بن اسماعيل ، أعلن عن استقلاله . وهناك قدمه السلطان أمامه لأخراج البرابر من قصورهم في الأمان ، ثم بعثه إلى المولى الحسن ليعرض عليه السكنى بمكناس وينفذ له ما يكفيه من الظهر لحمل عياله واثقاله . ولما فرغ من شأن عمه بمكناسة ثمرة أن يعود إلى سجلماسة ومعه أولاده : المولى سليمان والمولى الحسن والمولى الحسين ، وإن يصحب معه قدرا من المال ، وعددا من المدافع والمهاريص والبنب *Bombes* وطائفة من الطليحية من علوج الألمان وألفا من عسكر الثغور رجالة ، « (11) . » رده السلطان ، بعد ذلك إلى المغرب لياتيه بجيش من أولاد عبيد الثغور وإن يلتقاء بهم بمراكش ليزيدهم في جيشه « (12) . »

وفي عام 1200 هـ (1786 م) أرسله سيدي محمد بن عبد الله سفيرا إلى سلطان الاستانة عبد الحميد بن أحمد العثماني (1774/1789 م) ليقدم له مكاتيب وهدايا . فأبحر من الصويرة هو وسفير تركي كان بالمغرب اسمه إبراهيم افندي . نزل بمالقة ثم ركب منها قاصدا للعاصمة التركية . يتحدث الزياني ، في الترجمة ، بأسهاب عن رحلته الثانية خارج وطنه ولكننا سنكتفي هنا بذكر بعض ما ورد فيها من أخبار ، ومن ذلك أنه لما خرجوا من مالقة ، وقعت فرقونة - (أي زوبعة) في البحر فتكسر أحد صواري المركب ، فقصده ربانه مرسى تونس لأصلاحه « قضى الزياني بتلك الحاضرة عشرة أيام في ضيافة الباي حمودة (1782/1814م) فلما دخل المركب جزر بر الترك وعان السفير التركي شاطئ بلاده ، استأسد وسرح لسانه بالشتم في دولة المغرب وأهله . فنهاه الزياني ، فلم ينقه ، فأخذ بلحيته وقال له : « والله يا ملعون لا تقرب الله بجنبك » إلا أن رئيس المركب خلصه وشفع فيه ، فتركه .

(11) أخذت هذه الفقرة من كتاب الاستقصاء (ط) الدار البيضاء ج 8 ص 52 (المغرب).

(12) نفس المصدر ص 53 (المغرب) -

فلما دخل المركب مرسى الاستانة ، رفع سنجق (أي لواء) الباشدور ، واستقبل الزياني بحفاوة من لدن السلطات التركية . تقدم للسلام عليه أربعة من رجال المخزن المغاربة ، كانوا كلّفوا بمهة ولم تتأّت لهم بعد العودة الى المغرب ، وهم المولى عبد الملك بن ادريس قريب السلطان وصهره ، ومحمد ابن عثمان المكناسي وعمر لوزيرق ، وعبد الكريم بن يحيى (13) .

ولما أخبر الوزير الاول التركي بوصول السفير الزياني خصصت دار لنزوله ووجهت الخيل لركوبه وركوب أصحابه ، والكراريط (العربات) لحمل « حوائجهم » . وأقام معه الاغا المكلف بنزول الباشدورات ليطلعه على الاحوال ويعرفه بالتشريفات وبالتقاليد الخاصة بالبلاط التركي .

حظي الزياني ، أثناء اقامته بالعاصمة العثمانية ، بحسن الرعاية وجميل التكريم ، وقد تأتّى له الوقوف على جميع الاماكن المعتبرة كبيت المال و دار الضرب « ودار الصناعة » و « دار النقر » الخ ،،، وزيارة المساجد والمدارس وخزانات الكتب ، وقد وصف في رحلته كل ما وقعت عليه عينه وسمعت به أذنه . وصفا دقيقا ، كما ذكر الكتب التي اشتراها للسلطان سيدي محمد .

ومما يؤكد ما لقيه الزياني بالاستانة من اعتناء وتقدير من لدن ولاة الامر انه ،، قابل الخليفة في غير الموعد المحدد لمقابلة أمثاله من السفراء ،،، وحيث ان امبروطورة روسيا كاتورين الثانية كانت اشهرت الحرب على الدولة العلية أظهرت هذه رغبتها في « السلف » من سلطان المغرب ، ولما استقهم الزياني « هل تسمح نفس سلطان المغرب بالمعاونة » و « هل اذا احتاجت

(13) ان هؤلاء « الطلبة » ، كما يلقبهم الزياني ، كان أوغدهم السلطان الى مكة المكرمة لتوزيع هدايا وصلات على الاشراف وعلى فقراء الحجاز والشام والقدس والعراق ،،، وكانوا لما وصلوا الى اسطنبول وجدوا الركب العثماني سافر ، فأقاموا الى العام القابل ،،، وذكر الزياني في الترجمان (ص 84) ما كان من اليزيد بن سيدي محمد من سوء التصرف مع هؤلاء « الطلبة » ،

الدولة المال يسلفه لها قال : « ان سلطاننا لله رعية في الجهاد ، ولولا مشقة البحر وبعد الغرب لمسى للجهاد بنفسه . وأما المال فانه يعطيه دون سلف ، اذ لا ترضى همته السلف » .

واستغرق مقام الزياني بالاستانة مائة يوم ، عاد بعدها إلى وطنه على طريق البحر وبصحبتة سفير تركي الى المغرب . فنزل بطنجة وقصد توا السلطان ليطلعه على تفاصيل سفارته ، وانتهاز تلك الفرصة فناوله كتابا من عند الخليفة يقول فيه : « ، ، ، » وبعد فانه قد وصلنا من مقامك الاسمى عشرون سفيرا واحسنهم عقلا ونبلا وسياسة ابو القاسم الزياني الذي أدى رسالتك وهديتك بأدب وانفصل عنا بأدب ، فمثله من يكون سفيرا بين الملوك فان اقتضى نظرك توجيه سفير من اطرافك فليكن هو . فان ظاهره وباطنه سواء » .

لما أطلع السلطان على هذه « التزكية » سر سرورا عظيما ودعا للزياني بالخير ، وأثنى عليه ، ونوه به بمحضر أعضاء ديوانه ، وبعد ذلك أمر بارسال « أربعة صناديق من الريالات الفضية للخليفة العثماني ، على طريق اسبانيا ثم فرنسا » .

وفي السنة التالية (1201 هـ / 1787 م) كف الزياني بمراقبة طائفة من قبائل الجيش الى وجدة . ثم التحق بالسلطان وهو على رأس جيشه بالحياينة . فعين عاملا بتازة لتهدئة القبائل البربرية المتوثبة عليها . وبعد أن قضى بتازة سنة ، تقلب في عدة وظائف من ولاية على مدن . وتدريب الجنود البحرية من آيت عطاء وعبيد بتاغيلالت . بتطوان ثم بطنجة . ثم في سنة 1202 هـ ، عينه السلطان واليا بتاغيلالت ، ولما أظهر الزياني التردد قال له : « طب نفسا ، لولا اني احبك ما وليتك على أولادي وأهل بيتي » . وعلى كل فقد بقي بتاغيلالت ثلاث سنوات أي الى وفاة سيدي محمد بن عبد الله (24 رجب 1204 هـ 21 ابريل 1790 م) .

لم يكن اليزيد ، خلف سيدي محمد بن عبد الله راضيا عن الزياني بل كان ممن « ينظر اليهم شزرا ولا يرى الايقاع بهم وزرا » حسب قول الزياني .
أورد مؤرخنا ، وصفا مسهبا لما نزل به ، ايام اليزيد . في كتابه **الترجمان العرب** ، ونحن نكتفي هنا بذكر لحاحات منها ، قال : ، ، ، وكفى كتبنا له على مال الاشراف و المؤنة لاخته واخواته ، عين ذلك في زمام ، ، ، ولما اكملنا ما أمرنا ، توجهنا لحضرته بفاس مع ولده ، وبيتنا بدار ديبينغ بلغنا ان ديارنا بمكناسة اعطاها للعبيد ، ولم يبق الا دويرة فيها عيالنا ، فتجادنا بالصبر ، ، (ص 87) ، ، وأقمت مدة وأنا محموم مهموم ، ولما عوفيت لحقته وأقمت بسبقة ، ، فوجهني لمكناس وفاس لقضاء بعض أغراضه فام أشعر الا وقائده يقاس اتاني وقبض علي ، ، فسجنت بالقصبة ووجهني لمكناسة ، ، (ص 88) ، ، وكانت هذه نكبته الثالثة .

وبعد مدة أخرج من السجن ، وولاه السلطان على أكادير ، ، ، ثم رده وكلفه بعدة مهمات سافر في شأنها الى طنجة ، والعرائش ، والرباط ، والدار البيضاء ومراكش ولكن قبض عليه السلطان من جديد « وضربه حتى غاب عن الوجود ، وأخرج الكابوس والملاشهود » ولكنه نجا من الموت لعدم حضور آجله ، وكان ذلك بالعرائش : قال « فحملوني الى السجن ولم أقف من غشيتي الا بعد ثلاثة أيام ، فوجدت الحديد على رجلي ، والسلسلة في عنقي ، ويدي مكسورة ، وأصابني كذلك ، ورأسي كذلك ، فكان بعض الذبحة يأتيني ليلا بطييب يعالج يدي ورأسي وجراحاتي ، ، وتوجه هو (أي السلطان) للرباط ، ولما بلغ المهديّة سأل عني هل من بهيمة ، وساروا بي الى ان وضعوني أمامه (أي بالرباط) ، فقال : « هذا ساحر شيطان ، ، وأمر ان يتوجه بي للسجن ، ، ولما خرج المشور وأمر الزبانية ان يأتوا بي وقال : جردوه وألبسوه ثيابي وألبسوني اياها في دجنبر الاصم ، والمطر ينزل ، ولما توجهوا ليأتوا ببهيمة أركبها من السوق لم يجدوها ، فتوجهوا للحاكم ، فوجه للجمالين ، فمما

حضرت البهيمة الا بعد ساعتين ، واركبوني ، وخرج الاولاد من المكاتب
بالواهم يطلبون الله لي ، وكان أهل الرباط في نكد عظيم من أجلي . ولما
بلغنا لمشوره وجدوه نزل من موضعه الذي كان ينتظرنني فيه حين ابطؤوا بي .
فكان ذلك سبب خلاصي منه . فوضعوني في وسط المشور ، فلم يخرج ، وأنا
في المطر والبرد ، والطلبة في ضريح مولانا السلطان يدعون ويتضرعون ، وأهل
الدولة أحرارا وعبيدا ، يبكون لحالي ، ورغبوا عبيد الدار ، فأخبروه ، بحالي
فأمر بردي الى السجن فلما بلغت دخل علي بعض الاحبة من الرؤساء بما
أليسه ، وبمجمر من الفحم لاني لم أقدر على الكلام بما لحقني من البرد ،،
(ص 91) .

بقي الزباني مسجوناً في الرباط الى ان توفي اليزيد ، قال : « ولما بلغ
خبر موته للرباط أخرجني الرؤساء من السجن رغماً على أنف حاكمها
بركاش » وهكذا انتهت النكبة الرابعة .

كان المولى سليمان يعرف كفاءة الزباني ، ويقدره حق قدره ، ولذا ولاه
على وجدة وفواحيها لكبح جماح عرب انتاد الذين كانوا قد عاثوا فيها فسادا
فاستقال فلم يقبل كلامه ،، فتوجه نحو وجدة مكرها ، وخرج معه ركب التجار
الذي كان محصورا بفاس . فخرج عليهم العرب قبل ان يصلوا الى وجدة
، ونهبوا ما معه من صامت ونادق ، وصاهل وناهق « فسئم الخدمة
السلطانية وازمع بعد هذه النكبة الخامسة ، الرحلة عن المغرب . فتوجه الى
وهران ، ثم الى تلمسان ، ونزل بجوار ضريح ابي مدين ، بالعباد ، حيث
بقي سنة ونصفا مشغلا بالمطالعة والتقعيد .

وهناك عزم على زيارة الاستانة وبلاد الشرق ليجدد العهد بتلك
الديار ، ويتفقد من له بها من الاصحاب والاحباب ، فتوجه الى وهران ، ثم
الى الجزائر فقسطنطينية ، فتونس ،، ومن هناك ركب متن البحر قاصدا
الاستانة ، وذاك في فاتح جمادى الاولى 1208 هـ (5 دجنبر 1893) .

لقي بالاستئافه ما كان ينتظره من ترحاب وعفاية : ومن ثم توجه مع أمير
الركب التركي الى المدينة ثم مكة قصد الحج ، رجع الى القاهرة مع الركب
المصري ، ومعه جاريتان حبشيتان كان اشتراهما من المدينة .

وكان يتصل ، حيثما حل ، بالعلماء ورجال الدولة ، فيحظى بالاحتفاء
والتقدير ، غير انه وقع له في مصر حادث كاد يذهب بحياته ، وذلك انه كان
ركب الفيل في نزهة صحبة أحد الاغوات ، فهبت على المركب ريح شديدة
وانقلب وغرق كل من فيه . ونجا هو بفضل اتقانه للسباحة وبفضل مساعدة
أهل مركب آخر كانوا على مقربة منه .

بعد هذه النكبة السادسة ، ركب من الاسكندرية مركبا كان متوجها الى
أزمير ، ولكن الريح عاكسته فالتجأ الى جزيرة رودس ، فسافر منها الى
انطاكية حيث بقي شهرا توجه فيه الى القدس ثم الى دمشق وعاد الى المرسى
ليبحر الى أزمير ، مكث هناك مدة ثم ابحر الى تونس حيث نزل . وفي تلك
الحاضرة ماتت إحدى جاريتيه وتركت له ولدا في سن الرضاعة، فدفعه الى رجل
مغربي مات له صبي وبقيت امرأته بدون رضيع ، وسافر الى قسنطينة فلم
يجد الولي بها ، ثم الى الجزائر وكان قليل الزاد، خاوي الوفاض ، يكاد لا يجد
ما ينفق ، الا أنه لما وصل الى الجزائر علم أن البضاعة التي كان اشتراها
بالشرق وصلت سالمة ، فانتعش بعد الإلتكاس وعول على الإقامة بتلمسان .
فوجد غلاما له من الجزائر لفاس ليأتيه منها بأفراد أسرته وبجواريه ، ويلقاه
بهم في تلمسان .

لما علم أهله برجوعه ، وكانت قد انقطعت عنهم اخباره فرحوا وكتبوا اليه
ليعود الى فاس ، ولم يرسلوا اليه الا جارية واحدة ، وكتب اليه السلطان
نفسه يأمره بالرجوع ويطمئنه معفيا أياه من الخدمة . فامتثل وغادر تلمسان
متوجها نحو مسقط رأسه ، سنة 1210 هـ (1795 - 1796 م) . فلما وصل
الى فاس عرض عليه السلطان ولاية العرائش فحاجه بكتاب
فحجه ولكنه عاد فطلب منه بالحاح أن يذهب الى تفتيش مراسي
المغرب ومراقبة عهدها ، ولما كان هذا الوظيف تكليفا مؤقتا قبله ، وقام به على
أحسن ما يرام .

بقي بفاس الى سنة 1213 هـ (1798 / 1799 م) فكلفه السلطان بمهمة أخرى مؤقتة بمراكش ثم قلده الكتاب والوزارة والحجابة فبلغ اذ ذاك من المجد أوجه ، وبقي عدة سنوات يرتع في بحبوحة إلهاء ،،، ولكن كثر حساده ، وتوالت السعائيات به الى أن أبعد عن منصة السلطنة والنفوذ ، فتمت بذلك نكباته سبعا .

أنهى الزياني هذه الترجمة الذاتية حوالي سنة 1230 هـ - 1815 م (وكان عندئذ قد جاوز الثمانين من عمره ..

ذكر صاحب سلسلة الانفاس . (ج 1 ص 263) . أن الزياني توفي بفاس ، عصر يوم الاحد 4 رجب 1241 هـ (17 نوفمبر 1833) وكان في التاسع والتسعين من عمره (14) وأن السلطان أمر بدفنه في الزاوية الناصرية التي بحي السياج .

قال الكتاني في ترجمة مؤرخنا : « له قصائد مدحا وذما ، ومعرفة بالتاريخ والعربية والحساب والعروض والتنجيم والجدول والاسماء والتدبير ،،، وكانت له حدة ولسان لا يبقى ولا يدر حتى أداه ذلك الى الوقوع في الاولياء الكبار ، ونعود بالله من ذلك » السلسلة ج أ ص 263 .

وقال فيه أيضا : « وكانت جمجمة رأسه من القرع (!) لانه ضرب عليه بسيف ، فطار ، فجعلوا مكانها طرفا من القرع ، فطلع عليها اللحم وعاش ،،، ولذلك كان لا يكشف رأسه (!) » والظاهر ان هذه الخرافة كانت صحي لالوان اللمز والسخرية التي كان من الطبيعي أن توجه للزياني الذي بز أقراءه ومنافسيه من رجال السياسة والادب ، ولم يتورع من دون شك عن الحط من أقدارهم .

(14) هذا العدد يتعلق بالسفين الشمسية ، وحسب السنين القمرية ، توفي الزياني في

الثنائية بعد المائة من عمره .

كيف وجد الزياتي متسعا من الوقت للتأليف ؟ لقد رأينا أن حياته كانت حافلة وأنه قضى معظمها متنقلا بين الحواضر والبوادي ومتجولا عبر القفار والبحار . لا شك أنه اعتكف على التأليف لما تقدم به السن وستّم من الخدمة . وعلى كل حال فإنه ترك لفلّا عددا لا يستهان به من المؤلفات ، كلها في التاريخ والجغرافية .

اننا نجد في كتابه الترجمة قائمة مؤلفاته و يبدو أنه رتبها حسب التواريخ التي وضعها فيها وهي :

- (1) **الترجمان العرب عن دول المشرق والمغرب** وهو تاريخ عام ، من بدء الخليقة الى القرن الثالث عشر الهجري (16)
- (2) **البستان الطريف في دولة اولاد علي الشريف** وقد سماه أيضا **الروضة السلمانية** (17) .
- (3) **أرجوزة دينية سماها الدرة السنية الفائقة في كشف مذاهب أهل البدع من الخوارج والروافض والمعتزلة والزندقة** (18) .
- (4) **ألفية السلوك في وفيات الملوك** (19) .
- (5) **تحفة الحادي في رفع نسب شرفاء المغرب** (20) .
- (6) **رسالة سياسية في الملوك سماها السلوك فيما يجب على الملوك** .
- (7) **رحلة الحذاق لمشاهدة البلدان والآفاق** .

(16) دليل المؤرخ رقم 519 (العرب) .

(17) نفس المصدر رقم 467 (العرب) .

(18) نفس المصدر رقم 1514 وقد وقع خطأ في تحقيق العنوان (العرب) .

(19) نفس المصدر رقم 1636 (العرب) .

(20) نفس المصدر رقم 258 .

(8) **جوهرة التيجان وفهرسة المياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك العلويين وأشياخ مولانا سليمان (21) .**

(9) **كشف الاسرار في الرد على أهل البدع الاشرار .**

(10) **تحفة الاخوان والاوليا في ثبوت صنعة السيميا وبطلان علم الكيمياء .**

(11) **نصيحة المغتربين في بطلان التدبير للمعتزلين .**

(12) **الترجمة الكبرى التي جمعت أخبار مدن العالم برا وبحرا (أو في أخبار العمور برا وبحرا) وقد ضمنها وصف رحلاته الثلاث (22)**

ان بعض الكتب مكرر للبعض ، وليس الثالث والخامس والسادس والسابع منها الا فصولا من الترجمان .

وعلى كل حال فان أهم كتب الزياني هي الترجمان و البستان و الترجمانية ، الاول والثاني مفعمان بالمواد التاريخية ، أما الثالث فهو ليس كما يفهم من عنوانه كتاب جغرافية فحسب ولكنه يحتوي على فوائد تاريخية وأدبية وعلى تراجم ، ولذا نرى أنه جريد بأن نجعله من المصادر الواجب علينا تحليل مضمونها .

عرف كتاب **الترجمان** عند المؤرخين الغربيين منذ مدة طويلة اذ نشر منه ، المستشرق الفرنسي هوداس ، سنة 1886 م ، القسم الخاص بالدولة العلوية ، وترجمه الى اللغة الفرنسية تحت عنوان : **المغرب من 1631 الى 1812**

(21) ذكره صاحب **فيلسوف المسوخ** تحت رقم 1204 ، وقال عنها : « تقع في سفر وسط ، توجد نسخة عليها خط المؤلف ، بالخزنة الفاسية ضمن مجموع جعلها على نسق لم يسبق اليه ، قال في حقها تلميذه أبو عبد الله محمد التهامي ابن رحمون ، في اختصاره لها : عديمة المثال ، غريبة الشكل ، تستعمل على منظومة قليلة الوجود » ، (المغرب) .

(22) ذكر هذا المؤلف في **فيلسوف المسوخ** تحت رقمين : رقم 1451 بعنوان : **الترجمة** وقال : « تقع في مجلد ضخيم توجد منها نسخة بخزانة الاحمدية ، وبعد رقم : 1431 ، تحت عنوان **اباحة الادباء والفعاة في الجمع بين الاخوات الثلاث** » ، جمع المؤلف فيها بين رحلاته الثلاث ، وهي الرحلة الثالثة له ؟! (المغرب) .

قال هوداس في المقدمة التي صدر بها الترجمة **الترجمان** تاريخ عام غير ان مؤلفه لم يتوسع الا في فصلين منه ، الفصل الذي خصه لتاريخ الدولة العثمانية والفصل الذي دون فيه أخبار الدولة العلوية ، وقال بعد ذلك « ان المؤلف استهل كتابه بمقدمة موجزة ثم لخص في خمسة عشر فصلا أخبار الدول الاسلامية التي لم تعترف بسلطة الخلفاء ، وأوصاف الرحلات التي قام بها والامصار المهمة التي زارها . »

يفيد هذا التحليل ان النسخ المخطوطة التي اعتمد عليها هوداس تختلف عن النسخة التي بين أيدينا (23) فنسختنا تشتمل على عشرين فصلا لا على خمسة عشر كما أخبر هوداس ، بدأها المؤلف بمقدمة في سياسة الملك ، ثم تطرق الى ذكر تاريخ آدم ، وسلالته الى الطوفان ، وأولاد نوح ، ثم الدول الفارسية فالحميرية فالفراعنة ، فالاسرائيليين ، فال يونان ، فالرومان ، فتاريخ البعثة ، وقد ذكره بكثير من الإيجاز ، ثم مر مرا سريعا بتاريخ الخلفاء الراشدين ، والامويين وفتح الاندلس ، فالعباسيين بالعراق ، الى استيلاء لقتار الاتراك على تلك المناطق ، فالفاطميين بافريقية وبمصر ، فالأغالبة ، فالايوبيين ، فالأتراك العثمانيين متوسعا شيئا ما في الكلام عنهم ، منهي بذلك القسم الاول من **الترجمان** .

بدأ القسم الثاني مخصصا فصلا لكل دولة من الدول الاسلامية المغربية ، والاندلس ، فالحقصيين فالمرينيين فالزيانيين بتلمسان فبني الأحمر بالاندلس ، فالسعديين بالمغرب الأقصى والسودان ، فالشرفاء السجلماسيين بالمغرب ، ثم فصول في شرفاء المغرب ، وفي قبائله ، فجاءة في الدول التي لم تعترف بالخلافة ، فخاتمة قصيرة في وصف رحلاته الى الشرق .

(23) رأينا في التعليق ان هوداس اعتمد على نسختين مخطوطتين احدهما من تلمسان والاخرى من وهران . وأخبرنا المؤلف (ص 143 - تعليق 2 من كتابه) انه استفاد من نسخة وجدها بسلا عند المؤرخ السيد محمد بن علي الدكالي ، ولهذا سماها بالنسخة السلاوية (المغرب) .

جعل الزياتي كتابه **الترجمان** علي شاكلة تأليف كبار المؤرخين الشرقيين مثل البلاذري والطبري اذ وسع مجال أبحاثه فضحها مواد تاريخية عالمية على خلاف من سبقه من مؤرخي المغرب الاقصى الذين اكتفوا بتدوين الإخبار الخاصة بوطنهم .

لاشك أن فكرة وضع هذا التاريخ راودته وهو يقوم بسفارته الى إستانة ، سنة 1200 هـ ، اذ ذكر في **الترجمانة** أنه رجع من تلك المهمة والتحق بسجل ماسة ، حيث عين واليا ، عرض على المولى سليمان ، وهو أمير بها ، فصولا من **الترجمان** ، فاستحسنها وشجعه مراراً ، شفويا وكتابيا على اكماله . ويخبرنا الزياتي أيضا أنه اشتغل بتحرير تاريخه مدة استقراره بتلمسان (1207 - 1208 هـ - 1792 - 1793 م) ولكن من المحقق أنه لم يكمل الفصل المتعلق بالدولة العلوية الا بعد وفاة مولاي سليمان اذ وصل به إلى عام 1228 هـ - (1813 م) (24) .

ان النسخ المخطوطة التي اطلع عليها هوداس لا تشتمل على الفصل الخاص بالسعديين الا أن هذا النص مثبت لحسن الحظ ، في النسخة التي لدينا ، ويتضمن نسب الشرفاء السعديين ، وأخبار طريفة عن العساكر الأتراك الذين ساعدوا عبد الملك وأخاه أحمد على الاستيلاء على فاس ، ومعلومات مفيدة دقيقة ، في نفس الوقت ، عن واقعة وادي المخازن وعن الجيوش التي وجهها أحمد المنصور الى السودان والمسالك التي سلكوها ، ويختتم الزياتي فصله هذا بقصيدة ذكر فيها الاحداث والتواريخ والانساب الخاصة بسلاطين الدولة السعدية .

(24) ومن المحقق كذلك أن النسخة التي كانت بين يدي هوداس كتبت بعد سنة 1231 هـ (1816 م) سنة وفاة المولى سليمان لأن الزياتي قال في أول الفصل الذي خصه لسيد محمد بن عبد الله ، ما يلي :

دولة السلطان سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل ، والد مولانا سليمان رحمهما الله (ص 70 من النص العربي الذي نشره هوداس) .

ويجدر بنا أن نسجل هنا أن الزياني انتهاز فرصة ذكره للنسب السعدي ليخبرنا أنه أثير ذات يوم ، بمجلس سيدي محمد بن عبد الله ، الاقوال المشاعة في شأن نسب السعديين فقال : « انهم اخوتنا وأبناء أعمامنا ، وكلنا من حي بقي ابراهيم بالينبع » (25) .

هذا ولم يغفل صاحب الترجمان ، مرة واحدة ، وهو يحزر حولياته عن ذكر تاريخ بيعة كل من السلاطين العثمانيين الذين عاصروا مختلف سلاطين الدولة السعدية ، وكذا تاريخ وفاته .



لما شرع الزياني يتكلم ، في موسوعته التاريخية ، عن الدولة العلوية ، كانت الظروف والملابسات التي نشأت فيها تلك الدولة ، والاحداث التي واكبت مسيرتها لا زالت عالقة بالاذهان ، ولكن لما كان الافراني هو المؤرخ الوحيد الذي أثبت ، في نزهته فصولا تتعلق بتلك الحقبة ، لا شك أن مؤرخنا رأى من الواجب عليه أن يواصل ما ورد في النزهة في ذلك الشأن ، وإن يصف بشيء من الاسهاب أحوال سلاطين أطلع عن كتب على الكثير من أعمالهم وأسهم في مساندة جوانب لا يستهان بها من سياستهم الداخلية والخارجية .

وعلى كل فانه يمكننا أن نعتبر الفصول التي خصصها الزياني ، في الترجمان ، للأسرة العلوية الحاكمة ، صلة متممة للعمل الذي بدأه في هذا الصدد صاحب نزهة الحادي إذ نراه يفسج على منواله وهو يـدوّن حوليات السلاطين الذين تعاقبوا على العرش المغربي الى سنة 1813 م . ولم يخرج عن المسلك الذي سلكه سابقه الا بتخصيصه فصلا لسيدي محمد بن عبد الله ، وهو خليفة لابييه بمراكش ، لم يقبض بعد على زمام الحكم .

(25) من المعروف أن سيدي محمد بن عبد الله كان كثير الاعجاب بالسلطان السعدي محمد المنصور ومقدرا لأعماله ، وأنه كان يطيب له أن يقوم بنفس الزيارات التي كان يقوم بها ذلك السلطان للأولياء وللصالحين داخل المغرب المغرب (المؤلف) .

قال الزياني في البستان : « ولقد سمعت من مولانا أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله ، رحمه الله ، لما جرى ذكرهم (أي السعديين) وذكرت له الخلاف الذي وقع بين نسبهم قال لي رحمه الله : أسكت ولا تعد لئلا هذه المقالة فانهم اخواننا وبنو عمنا وجنسنا واحد وقربتنا بالينبع واحد يقال لها بنو ابراهيم ، ص 8 من المخطوط د 1577 (المغرب)

ان النصّوص التي استخدمها هوداس توهم أن الزياني تعتمد الاعراض عن ذكر عدة أحداث ، وعن تسجيل عدة وثائق رغبة في الاختصار ، ونرى مؤرخنا يؤكد تلك الرغبة ، وهو يشير الى رسالة كان وجهها باي الجزائر لسيد محمد بن عبد الله ، حيث قال : « وهي - (الرسالة) - طويلة تركناها لاجل الاختصار المشروط ، وهي مثبتة في تاريخ لطيف يسمى **البستان الظريف** في دولة أولاد مولاي علي الشريف ، الذي استوفينا فيه أيامهم وفتوحاتهم وحروبهم لمن خالفهم من الامم . وفيما بينهم ، وانما هذه النبعة جعلناها تكملة لمن سبقهم من الدول حتى يكون الكتاب جامعاً وشاملاً لجميع الدول ، واختصرناها مثل ما سبقها » (26) .

يتضح من هذه الفقرة ان الزياني لم يدون في **الترجمان الغبدة** التاريخية الخاصة بالدولة العلوية الا ليجعلها تكملة لتاريخ من سبقهم من الدول ، فهي إذن ملخص لما « استوفى من أخبار تلك الدولة في كتابه **البستان** .

لنا لا نجد أثراً لهذه الملاحظة في النسخة المخطوطة من **الترجمان** التي رجعنا اليها واتخذناها مصدراً من مصادر هذه الدراسة (27) ، وعلى العكس من ذلك فاننا نجد فيها نص الرسالة بأكملها ، الشيء الذي يثبت أن النسختين نسخة هوداس ونسختنا متماثلتان من حيث عناصر الموضوع ولكنهما مختلفتان من حيث طريقة التحرير (27) .

فاننا مثلاً نجد في النسخة السلالية (وهي النسخة التي بين أيدينا) معلومات لا نجدها في النص الذي نشره هوداس ، ومنها ما ضمنه نسختنا ، اثر كلامه عن سفارته الى الاسقانة ، من تفاصيل عما كان ، سنة 1200 هـ ،

(26) **الترجمان العرب** ط هوداس ص 4 ، 5 .

(27) أخبرنا المؤلف ص 143 انه أطلع على نسخة مخطوطة من **الترجمان** ونسخة أخرى من **الترجمان** بفضل المؤرخ القاطن بسلا ، الشيخ محمد بن علي الدكالي ، ولهذا نعت تلك النسخة « بالسلالية » (العرب) .

عن عساكر بالثغور المغربية وعما أحدثه ، تلك السنة ، السلطان سيدي محمد
ابن عبد الله من بيوت الاموال بكل مرسى من مراسي المغرب لاعانة من بهابا
من جيش وطبجية وبحرية ، وللانعام عليهم بالرواتب والاعطية بصفة
منتظمة (28) .

هذا وتبين لنا المقارنة بين النسختين أن الزياني كثيرا ما كان يصف
في كليهما أحداث فترة تاريخية معينة بأسلوبين متغايرين تغايرا تتفاوت
أشكاله كما وكيفا .

فاذا ما قابلنا مثلا الجملة التي بدأ بها الفصل الخاص بقولية مولاي
إسماعيل فاننا نجد يقول في نسخة هوداس (ص 12) : « ولما مات الرشيد
بويح بمكناسة أخوه السلطان اسماعيل وكان بقصبة الموحدين القديمة التي
بمكناسة ، وأسس بها قصره » .

ويقول في النسخة السلاوية : « ولما مات الرشيد ابن الشريف بويح
السلطان اسماعيل بن الشريف بمكناسة اذ كان خليفة أخيه الرشيد بها ، فازلا
بقصبتها التي بناها الموحدون » .

واذا ما قارنا بين المعلومات التي أنهى بها الزياني تاريخه في كلتا
النسختين فاننا نلاحظ أن نسخة هوداس تنتهي بأخبار سنة 1228 هـ (1813
م) وأن نسخة سلا تنتهي بوصف ضاف لما امتاز به السلطان مولاي سليمان
من اخلاق طيبة وبجدول أنساب كآفة سلاطين الدولة العلوية الذين تولوا
الحكم بالمغرب الى آخر القرن الثامن عشر الميلادي .

من المحقق أن الزياني هو الذي كتب أصل كل من النسختين المذكورتين ،
ولكن ما هي يا ترى النسخة التي بدأ بها ؟ اننا نرجح أن نسخة هوداس هي
الاخيرة نظرا لكونها تنقسم « بالاختصار » الذي اشترطه المؤرخ على نفسه عند

(28) نجد هذه التفاصيل مثبتة في الجيش العرمم ج 1 ص 72 ، وفي الاستقصاء

ج 4 ص 117 ط القاهرة (المؤلف) - الاستقصاء ط الدار البيضاء ج 8 ص 61 (المعرب) .

ماقرر أن يجعل من **الترجمان** كتاب تاريخ عام يضم نبذا من تاريخ المغرب وعزم أن يخصص لتاريخ الدولة العلوية كتابه **البستان الطريف** . ويؤيد هذا ندرة النسخ المنقولة من الكتاب « الاصلي » الذي اختصره الزياني فيما بعد (29)، وتلك النادرة هي التي حملت ، حسب ما نظن ، المؤرخ أكنسوس على أن « يستقي » من **البستان** ، (أي في الواقع من النسخة الأولى من **الترجمان** فصولا طويلة من غير أن يذكر ، في غالب الاحيان « مرجعه » ولا اسم مؤلفه (30) .

ان الاطلاع على محتوى التاريخ المطول (31) الذي خصه الزياني للدولة العلوية يحملنا على ترجيح الاستنتاجات التي أوصلتنا اليها مقارنة نسختي **الترجمان** ، أي نسخة هوداس ، ونسخة سلا - فان نسخ ذلك التاريخ قليلة جدا بالمغرب ، وربما تكون أقل من نسخ **البستان** فالنسخة التي أطلعنا عليها تحمل عنوانين ، الاول : **البستان الطريف في دولة مولاي علي الشريف والثاني : الروضة السلিমانيّة في ذكر ملوك الدولة الاسماعيلية** ، ومن تقدم من الدول الاسلامية ويوهم هذا العنوان الاخير أن الكتاب لا يتضمن تاريخ الدولة العلوية فحسب ، بل يشمل أيضا تاريخ جميع الدول الاسلامية . بالإضافة الى ذلك فان المقدمة التي صدره بها ليست في حقيقة الامر الا

(29) رأينا بفاس وبالرباط نسخا مخطوطة مماثلة لنسخة هوداس (المؤلف) .

(30) يبدو أن النسخة التي رجع اليها المؤرخ الناصري ، عندما كان يدون كتابه الاستقصاء نسخة مماثلة لمخطوط سلا - (المؤلف) .

(31) أخبرنا المؤلف (ص 143 من كتابه - صلة تعليق 2 من ص 142) انه لم يتمكن من الاطلاع على نسخة مخطوطة من كتاب **البستان** الا مدة جد قصيرة ، وذلك أنه تسنى له ، وهو بفاس (مارس 1921) أن يستعير ، لليلة واحدة ، تلك النسخة من السيد احمد بن المواز ، سفير المغرب بمديرد سابقا وقال : « وتلك النسخة هي التي كنا صححها الزياني نفسه » ووردت ترجمة احمد بن المواز في كتاب الاعلام الفكر المعاصر بالعدوتين (ج 2 ص 28) (المغرب) .

تلخيصا جد موجز لكتاب **الترجمان** ، وهو عمل كان بإمكان الزياتي أن يستغني عنه (32) .

وعلى كل حال فإن تلك المقدمة تبين أن **البستان** لا يختلف في فحواه عن **الترجمان** وأن كان قسمه الخاص بالدولة العلوية أوسع شمولاً وأوفر مادة .

إن المقدمة المذكورة عبارة عن مجموعة من القوائم لاسماء كافة الملوك المسلمين الذين تقلدوا الحكم إلى أواخر الدولة السعدية، بيد أن القسم المتعلق بأخبار الدولة العلوية يتكون من ثلاثة عشر باباً وأربعة فصولاً وجامعة وخاتمة .

حل الاستاذ كـرول (GRAULE) ، سنة 1913 ، في مجلة العالم الاسلامي (33) ، محتوى **البستان الظريف** وما يتضمنه كل قسم من أقسامه من معلومات ويتضح من ذلك التحليل أن **البستان** يختلف عن **الترجمان** بكونه يشتمل على شذرات أدبية ، فثرية وشعرية ، إذ تحرى الزياتي أن يستهل كل باب من أبواب **البستان** طويلاً كان أو قصيراً ، بالكلام عن خلق ينهيه بإشارة تثبت أن ذلك الخلق امتاز به ، حسب نظره ، السلطان المخصص له ذلك الباب ، فهو مثلاً يقول في آخر كلامه عن العلم : ، ، ، وممن عظم العلم ، واكتفى به عن الملك مولانا علي الشريف « (34) ويقول في العقل :

(32) رجعت في هذا الشأن إلى دليل المؤرخ ثم إلى قسم المخطوطات بالخزانة العامة ، فوجدت تحت رقم : (د - 1577) مخطوطة تحمل عنوان **البستان الظريف** وتحت رقم (د - 1275) مخطوطة تحت عنوان **الروضة السليمانية** ولكن كتب ناسخها بآخرها « انتهى بحمد الله اللطيف كتاب « **البستان الظريف** على يد الفقير لمولاه الراجي مغفرته ورضاه الحسن بن محمد الحسني الاردبيسي المتوفي . = عام 1351 ، وبعد أن تصفحت المخطوطتين تبين لي أن استنتاجات الاستاذ ليعي بروفنسال مطابقة على وجه العموم للواقع وأن مؤلفات الزياتي متداخلة تدور مواضيعها حول محاور مماثلة لا تكاد طريقة عرضها تختلف إلا من حيث الاسهاب أو الاختصار . وتوضيح هذه القضية يقوِّف على دراسة دقيقة للكاتبين سأقوم بها في فرصة أخرى إن شاء الله . (المعرب)

(34) ص 21 من مخطوط **البستان** الموجود بالخزانة العامة ، تحت رقم : د 1577 (المعرب)

« ، فانظر الى كمال العقل كيف بلغ بالرشيد الغاية القصوى وعالج داء المغرب الى أن دان له الجميع » (35) ويقول : « ، وبالشجاعة أدرك السلطان اسماعيل ما أدرك وبلغ ما بلغ » (36) ، ويقول ، « ، وسبب فساد دولة السلطان أحمد بن اسماعيل والفشل ، انه لم يشاهد حربا قط ، الا دخل داره وترك الناس فوضى ، وهو في داره على الهوى » (37) ويقول في العفو : « ، وكان مولانا علي بن اسماعيل رحمه الله من أهل العفو والحلم ، متوقفا عن سفك الدماء ، فستره الله بذلك ولم يفتضح » (38) .

وبهذه الطريقة تسنى للزياني أن يضي على كل من سلاطين الدولة الذين ابرح لهم مأ يناسبه من أوصاف خلقية ولكن هذا النوع من الاستطرادات استثار ما كان كامنا من حسد في صدور الأدباء المعاصرين له ، فاذا عواقي الاوساط العلمية أنه عاطل من كل حلية أدبية وان المبدع الحقيقي لتلك المحسنات ، هو أبو عبدالله محمد بن ادريس الزموري العمروي الذي أصبح فيما بعد وزيرا للسلطان مولاي عبد الرحمان (39) . وهذه الدعوى ، في نظرنا خرافة لفقهاء أدباء من الحاقدين على مؤرخنا الذي كان حمل عليهم حملة نكراء ورماهم بالقصور ونكران الجميل ، ومن ذلك ما قاله عنهم في مستهل كتابه

(35) نفس المصدر ص 23 .

(36) نفس المصدر ص 27 .

(37) نفس المصدر ص 46 .

(38) نفس المصدر ص 57 (المغرب) .

(39) ذكر الزياني هذا الاديب في الفصل الاخير من البستان وأورد له قصيدة مطلعها :

مضى يتجلى ليل التهاجر بالوصل

ويرجع مجرى السود عنا الى الاصل ،،

وقال بهذه المناسبة : « هذه القصيدة من انشاء الاديب السيد محمد بن ادريس ابن

الحاج ، وكان في ابتداء أمره يستخرج لنا ما كنا نقيده في تأليف الترجمان و البستان و الفهرسة و العاصمي ، وكان ملازما لي في البيت ، يدي ويده الى الليل ،، مودة

ثلاثة أعوام وأنا أعطيه خمسة أواق في كل يوم ، ولا يخرج الا ممثلي الجراب من كل ما يدخل على من من الفواكه والغال ،، ثم قد قدم على هذه الايام بهذه القصيدة اثرائقة ،، فانها من غرر القصائد . ولذلك عرفت به أمير المؤمنين ، وأظنه يخلف مقام السيد حمدون ويقرب منه (المغرب) .

البيستان » ، ، وبقي علي خبر الدولة السعدية الموفقة الرشيدة ، ، لم يضع فيها أحد من أهل الوقت تأليفا ، ولا اعتنى بجمع فضائل ملوكها مشروفا ولا شريفا ، ، وعلمت أنه لم يبق بمغربنا من يعتبر ما يسدي اليه من الاحسان ويرى المكافآت عليه ولو بمجرد اللسان ، ، خصوصا من أهل هذه الطبقة الثالثة من الطلبة والكتاب الملازمين لتلك الاعتاب ، الذين جمعوا فيها الاموال والحدود والرباع والبساتين والضيايع ، وقادوا الدولة بلا رسن ، لكن أهل وقتنا كما قيل : « من أحيا شرار قوم أماتوه ، ومن سابق لثاما فاتوه ، ومن زرع السبائح أتلّف بدره ، ومن رفع (إخلاط جهلوا قدره » (40) .



الترجمة الكبرى : (41)

فرغ الزياني من تخريج كتاب **الترجمة الكبرى** في ثاني عشر المولد النبوي الشريف من عام (1233 هـ) (20 يناير 1118) ، وكان له من العمر إذ ذلك ست وثمانون سنة .

جمع الزياني في كتابه هذا أوصاف ما شاهده في رحلاته الثلاث من الامصار والبحار ، وأخبار من لقيه من السادات وذوي العلم والجاه بحيث يجوز لنا أن نعتبره فهرسة ورحلة ذات طابع جغرافي ، فهي شبه موسوعة لأنها تضم معلومات ضافية وجد متنوعة ، ويكفي للدلالة على ذلك أن نذكر عنوانه بأكمله وهو : **الترجمة الكبرى** من الامصار والمدن والقرى والقفار والبحار والجبال والانهار ، والعيون والمعادن والآبار وغير ذلك من عجائب خواص الحيوانات والاحجار وما يؤيد ذلك من التفسير والآثار (42) ونوازل الفقه وشواهد الاشعار ، .

(40) اقتطقت هذه العبارات من المخطوط الموجود بالخزانة العامة رقم : د 1577 - (المغرب) .

(41) أخبرنا المؤلف ، (ص 143 من كتابه) أنه أطلع على نسخة مخطوطة من **الترجمان** ومن **الترجمة** بفضل الفقيه المؤرخ ابن علي الدكالي السلوي ، وأطلع على نسخة مخطوطة من **الترجمة** حديثة العهد اعاره أياها السيد محمد بن عبد الله المراكشي الذي كان كاتباً بالسفارة المغربية بباريز ، ثم كاتباً بوزارة التعليم (المغرب) (x)

(42) لم يفهم المؤلف معنى لفظة « الانهار » المقصود منها هنا : « الكلام المروي أو السنة » ، ولذا يقال : « فلان من حملة الآثار » ، وقد ترجمها بكلمة *Ruines* أي « الخرائب » !! (المغرب) .

ان المواضيع المطروحة في الترجمانية جد متنوعة ومتفاوتة من حيث الاسهاب أو الايجاز الا أن مؤلفها لم يتبع في ترتيبها خطة محددة ولم يراع لها بسطها طريقة واضحة المعالم (43) .

وعلى كل حال فانه يمكننا أن نعتبر العناوين التي اتخذها الاستاذ سالمون في الفصل الذي كتبه عن الترجمانية وجعلها بمثابة فهرست لمحتواه (44) لاشك أن الزياني حرر فصول الترجمانية في ظروف مختلفة من حياته لسياسية والفكرية ، وخلال عدة سنوات لان مواد ذلك « الكشكول » لا يتييسر جمعها وتدوينها بطريقة فورية وفي غترات زمنية متصلة الحلقات واذا كان هو نفسه أخبرنا أنه انتهى من تخريج كتاب الترجمانية سنة 1233 هـ . فلاننا نلاحظ أنه ذكر فيه أحداثا وقعت سنة 1234 بل سنة 1235 هـ (1819 - 1821 م) .

أجل ، كل منا يعرف أن المؤلفات التي تصنف في هذه البلاد لا تعتبر قامة الا بعد موت مدونيها ، لان كل من كتب لا يغفل ، حتى من بعد تبليغ مـ مصنفه واخراج نسخ منه للقراء ، ان يسجل بهامش نسخته الاصلية ما قد يعثر

(43) قال الزياني في مقدمة الترجمانية أنه يقصد « الاخبار عن العالم برا وبحرا يوما تخله من الامصار والمدن والقرى والقفار ، والبحار والجبـال والانهار ، والعيون والآبار والحيوانات والاحجار ، وما يؤيد ذلك من التفسير والآثار ، ولي في كل مقام منها مقال ، وفي كل روض منها مجال ، حسبما ما يقتضيها الحال ، ويخطر على البال ، من نصوص قرآنية وتاويلات تفسيرية ، واحاديث نبوية وفتاوى فقهية ومواعظ صوفية ، وحجج قطعية ، وادلة معقولة ، وشواهد شعرية ، وضوابط معنوية ، واسامي لغوية ، ونسواد سروجية ، وقصائد عالية ، وما يناسب كل خبر ويؤيده ، ويعتمد عليه ويعضده ، وختمها بنصوص من التوراة والانجيل والفرقان للرد على اليهود والنصارى والصابئة والمجوس عبدة النيران حسبما ذكره بعض من تصدى لذلك من اهل العرفان ، ووقع عن الائمة الاجماع ، (العرب : عن الترجمانية الكبرى ، نشر وزارة الانباء الرباط ، سنة 1967 - ص 34) .

(44) مجلة المستندات المغربية Archives marocaines ج 2 ص 331 - وتلك العناوين هي : « وصف المغرب - الرحلة الى اسطنبول سنة 1200 هـ - وصف الاندلس - وصف اسطنبول وما فيها من آثار عمرانية - الرجوع : وصف الجزائر وتونس - الاقاليم السبعة - وصف مصر - الرحلة الى الحجاز ومكة - تاريخ قعاء ملوك الفرس - وصف البحار والجبـال - مؤلفات الزياني - الانبياء والرسـل - مدن العالم ابتداء من المغرب » (المؤلف) .

عليه من معلومات جديدة لها علاقة بموضوعه وكثيرا ما تكون تلك الاضافات الهامشية طويلة ومفيدة، وكدليل على شيوع تلك السيمما في المؤلفات المغربية يكفي أن نلقي نظرة على الصفحة رقم 111 المثبتة هنا (45) والمستخرجة من المخطوط المشار إليه سابقا والمحفوظ بخزانة المؤرخ الكريم السيد اتن علي الدكالي (X) .

فإن هذه الصورة تبين لنا أن الزياني رأى من الضروري ، بعد الفراغ من تخريج الترجمانة ، أن يضيف بخط يده ، وبهامش الصفحة المخصصة لوصف طرابلس وخرائب مدينة مسرارة حيث « تربة للشيخ الصالح أحمد زروق البرنوسي ، (المتوفى بها سنة 899 هـ 1493 م) ، ترجمة ذلك العالم وقد أخذها برمتها من كتاب ابن عسكر : دوحه الناشر (46) .

هذا ومن حيث التاريخ فإن كتاب الترجمانة يحتوي على معلومات تعد تكميلا لما ورد ، في هذا الصدد ، في الترجمان و البستان إذ نجد به تفاصيل مفيدة عن أحداث السنوات الأخيرة من عهد المولى سليمان ومنها الحركة الأدبية التي قادها هذا السلطان ضد آية أملو ، بغاة البربر ، وكان على رأسهم أبو بكر إمهاوش ، وهي حركة باءت بالفشل إذ انهزمت فيها جيوش العاهل المغربي وشقت ، أثرها ، عصا الطاعة عدة من القبائل التي كانت إلى ذلك الحين ، منضوية تحت لوائه .

من المحقق أن الزياني لم يصاحب السلطان في تلك الحركة وذلك نظرا لكبر سنه ، إلا أنه لم يستغف عن الغض من البربر ، أبناء أرومته ، وعن التنديد بهم لتجردهم من الاخلاق الحميدة وتدنسهم بالغدر والخذلان .

(45) هذه الصورة توجد بين صحيفتي 186 و 187 - من كتاب مؤرخو الشرف - ولم نر من الضروري إعادة نشرها لأن المؤلف أشار هنا إلى ظاهرة عادية قد لا يخلو منها مخطوط (المغرب) .

(X) توفي المؤرخ أبو عبد الله محمد بن علي الدكالي السلوي بسلا سنة 1364 هـ (1944 م) وقد ترجم له صديقنا الاستاذ عبد الله الجاربي في كتابه اعلام الفكر المعاصر بالعدوتين (ج 2 ص 177) (المغرب) .

(46) هذه الترجمة مثبتة ص 40/38 من الدوحة (ط فاس)

اننا نجد في الترجمانة أيضا اخبارا طريفة تتعلق بسياسة المولى
إسماعيل وحفيده سيدي محمد بن عبد الله الداخية وبحياتهما الخاصة كما نجد
فيها منظومة جديدة عن الدولة العلوية مغايرة للارجوزة التي ختم بها الفصل
لاخير من الترجمان (47) .

ان الزباني هو مؤرخ الفريد الذي اشتغل بالجغرافية اشتغاله بالتاريخ
ولا جرم أن الظروف التي اكتفت حياته هي التي يسرت له معرفة البلدان
والبحر الأبيض المتوسط ، الاسلامية منها وغير الاسلامية ، وان رحلاته
ثلاث الطويلة أكسبته عن تلك البلاد وسكانها معلومات قل من كان يلم بها ،
اذ ذلك ، من أبناء وطنه .

وبالاضافة الى ذلك فانه كان متيفظ الذهن تواقا للاطلاع ، ديدانه البحث
والتنقيب والاتصال بذوي المعرفة والتفوذ، فأتاح له تفتحه ان يؤلف كتابا يضم
من المعلومات الجغرافية ما لم يتسن لسابقيه ولا لمعاصريه ، أمثال العياشي
والغزال ، أن يضمّنوه كتبهم .

ليس من أهدافنا القيام بدراسة المعلومات الجغرافية التي يشتمل عليها
كتاب الترجمانة ، ولكننا نرى من المفيد أن نضع تحت نظر القراء صورة
فوتوغرافية « لخريطة البحار » المرسومة في النسخة المخطوطة الخلاصة بالمؤلف
نفسه ، وهي خريطة خطها بيمينه (48) واليكم وصفها بإيجاز : قسم الزباني
العالم (من الأعلى نحو السفلى الى سبعة أقاليم وقسم كل اقليم من اليمين الى
اليسار) الى سبعة أقسام : فالاقليم الاول يشمل السودان والمحيط والمحيط
الهندي ، والثاني : الصحراء والبحر الاحمر والجزيرة العربية والخليج

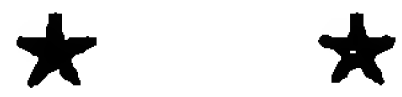
(47) من الممكن ان تكون القصيدة التي أشار إليها هنا الاستاذ ليفي بروفنصال هي
التي بالصحيفة رقم 419 من كتاب الترجمانة (نشر وزارة الانباء سنة 1967) والتي
مطلعها :

الشمس من مشرق تسعى لمغربنا
والبدر يتبعها بالغرب يكتمل (المغرب)

(48) طبع جزء من هذه الخريطة في كتاب الترجمانة الذي قامت بنشره وزارة الانباء
(ص 30 ، ط : 1967)

الفارسي والهند والصين ، والثالث : المغرب وأفريقية وطرابلس ومصر والشام وفارس وتركيا والصين ، والرابع الأندلس والبحر المتوسط والشام والعراق وتركيا ، والخامس : بلاد الروم وخليج الأديانتك (أدرياس) ، واليونان والمضايق التركية (أو خليج القسطنطينية) والجزيرة وبحر الخزر وبلاد الترك والفوت والسادس ، جزء من إنجلترا والقارة الأوروبية إلى البحر الأسود وتركيا الآسيوية ، والسابع : أيرلندا وباقي إنجلترا والدانمرك واسكلافونيا .

لاشك أن اشتمال كتاب الزياني على هذه الخريطة أثار استغراب القراء المغاربة لأنهم لم يألّفوا رؤية أمثال تلك الرسوم ، المظلم تخطيطها ، ومن المحقق أن الكثيرين منهم لم يفهموها (49) لأن علم الخرائط الذي اضطلع به وضعه الرحالة المسلمون الأقدمون مثل الإدريسي وابن سعيد وأبي الحسن علي المراكشي ، وحثوا على الاهتمام به ، كان في عهد الزياني علما مهجورا بل مدفونا في ثنايا الإهمال ، والدليل على ذلك أن نسخ الترجمانة القليل التي لا زالت محفوظة إلى الآن في المغرب لا تشتمل على الخريطة المذكورة والسبب ، حسب ظننا ، هو أن النساخ لم يستطيعوا أن ينقلوها بدقة وأمانة وليس من المستحيل أن تكون الخريطة المرسومة في نسخة الزياني الأصلية هي النموذج الوحيد المحفوظ حاليا بالمغرب ، وهذا مما يزيد قيمة ويستوجب الاعتناء بها (50).



إذا كنا نجد في الترجمانة عدة نصوص ، منها الطويلة ومنها القصيرة نقلها الزياني من كتب عربية قصد الاستفادة من فحواها ، والاستشهاد

(49) من النادر أن نصادف ، حتى في وقتنا هذا ، أدباء مغاربة لهم دراية كافية ودقيقة بالعلوم الجغرافية ، وإننا لنجد في بعض المكتبات الخاصة كتباً عربية عصرية عديدة في الرياضيات والفيزياء وحتى في الطب من الكتب المتداولة في المدارس العربية ولكن قلما نعثر فيها على كتب في الجغرافية والخرائط (المؤلف) .

(50) لم يتسن لنا أن نتحقق هل المؤلف صادف الصواب في ملاحظته هذه ، وقد ورد في شأن تلك الخريطة : في تاريخ الأدب الجغرافي العربي (ج 2 ص 771) ما يلي : « أن الزياني أراد ، أحياء تقليد قديم قد عفى عليه الزمن بالمغرب وهذه المحاولة تبجح لنا وكأنها مثقلة بالوهن بعيدة عن الاتفاق (المغرب)

بمضمونها فاننا نرى أنه لم يذكر في كتبه الاخرى مراجع كثيرة . فهو ، مثلاً ، لم يشير ، في القسم المنشور من كتابه **الترجمان** الى أكثر من مصدرين وهما : **محاضرات اليوسي (51) وتاريخ اليعمدي (52)** .

فمن أين كان اذن يستقي الزياني مواد مؤلفاته ؟ انه أثبت مصادر كتابه **الترجمان** في أوله ، وقد خصصنا لها لائحة ذيانا بها كتابنا هذا (53) ورتبناها كما رتبها الزياني نفسه . أي حسب الاماكن التي أطلع فيها عليها اذ منها مصادر وجدها بالمغرب ، وأخرى تسنى له الحصول عليها بقلمسان أو بالجزائر أو بتونس ، وأخرى قرأها بالقسطنطينية ، والمصادر التي تأتي له مطالعتها بالمغرب تتعلق بتاريخ العصور الوسطى وبأخبار ملوك الدولة السعيدية ، بيد أن تلك التي وجدها بالجزائر وتونس وتركيا تخص التاريخ العام إلا ثلاثة منها كان موضوعها انساب البربر ، ومؤلفوها سابق ابن سليمان المطاطي ، وهاني بن يصدور (54) الكومي وكهلان بن لؤي الاوربي (55) وقد أمد بهما خطيب مسجد العباد قرب تلمسان ، فكانت من أهم المراجع له عند كلامه على أصل القبائل البربرية المستقرة بالمغرب الأقصى .

هذا وأما المصادر التي استخدمها الزياني أثناء تحريره للفصول الخاصة بالدولة العلوية ، في كتابه **الترجمان** و **البستان** ، فانها قليلة جداً ،

(51) انظر **الترجمان** (طبعة هوداس - ص 9) .

(52) ذكره الزياني عند ما تكلم عن فرق الجيش الجديدة التي نظمها المولى اسماعيل (ص 16 من طبعة هوداس) ، وهو ابو العباس احمد اليعمدي ، وزير المولى اسماعيل ، وقد عرف به ابو الحسن علي ابن احمد المصباحي الزروالي في كتابه **سنا المهتدي** الى **مفاخر الميزبر** **أبي العباس اليعمدي** وهذا الوزير لم يؤلف تاريخاً وانما اهتم بالازمة الخاصة بسيد البخاري (عن الجيش العمومي - ج 2 ص 146) - (المؤلف) .

(53) الملحق رقم 1 .

(54) في **تاريخ ابن خلدون** (ج 6 - ص 177 - طبعة دار الكتاب اللبناني) ورد في التعليق الذي باسفل الصفحة : (مسرور) و (مصدور) و (يصدور) - (المعرب)

(55) كتب عن هؤلاء النسابة الثلاثة الاستاذ روني باسي في

ونحن لا نستغرب ذلك لأنه سبق لنا أن أشرنا أن مؤرخنا كان أول من اهتم بتدوين أخبار تلك الدولة بعدما لاحظ أنه « ، لم يضع فيها أحد من أهل الوقت تاليفا ولا اعتنى بجمع فصائل ملوكها مشروفا ولا شريفا (56) .

فاذا كان الزياني استقى من فصول نزهة الحادي الاخيرة بعض المعلومات المتعلقة بالملوك العلويين الاولين فان وظيفته في البلاط العلوي والمهام السياسية التي اقيمت به داخل المغرب وخارجه في عهد ملوك قدروا خبرته حق قدرها ، كل ذلك أتاح له الاستفادة من ذوي الاخطار والاطلاع عن كُتب على أحوال الدولة وتتبع أطوارها كما يسر له الرجوع الى الوثائق الرسمية المحفوظة في القصور المخزنية بفاس ومكناس مثل الرسائل والظواهر وأزمة الحسابات حسبما اعترف به هو نفسه في كتابه الترجمان (57) ، ولهذا كله فاننا نعتبر تاريخ الدولة العلوية الذي سطرته يد الزياني من المراجع العظيمة القيمة الجديرة بالتثويه وقد أعرب هوداس عن تقديره لها حيث قال : « فقيما يخص تاريخ الشرفاء لا يجوز لنا أن نعتبر الزياني ناقلا جماعا لا غير » (58) .

بقي علينا أن نعرف هل الزياني استطاع أن يتحاشى التحيز والغلو في تدوينه لأخبار السلاطين الذين كان يعيش في ظلهم .

يمكننا بادئ ذي بدء أن نؤاخذ على تركيزه تاريخ الدولة العلوية ، خصوصا منذ عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، على الأحداث التي كان هو من المشاركين فيها او من القابضين على بعض أزمة تطوراتها . نعم فاننا كثيرا ما نجد يستعمل صيغة « المتكلم » في اليستان وفي القسم الاخير من الترجمان كان يحاول بذلك أن يتباهى بما كان لواقفه من شأن وأن يفتخر بما كان يحظى به من قدر وجاه . وعلى

(56) انظر التعليق رقم 40 .

57 طبعة هوداس ص 29 من النص العربي .

(58) هوداس : مقدمة الترجمان ص 4 .

كل فان صراحته ، وهو يترجم لنفسه ، في التنديد بالمولى اليزيد وفي وصفه الصادق لما كان عليه من سوء الحال اثر المعاملة القاسية التي عامله بها ذلك السلطان ، ما يدعونا الى التفاضلي عن عجبه وتباهيه .

والجدير بالذكر أن الزياتي لم يعن بالتاريخ ابتغاء عطاء أو رجاء تقرب من نبي سلطان ، فانه لم يمل لتدوين الاخبار الا بعد اطلاعه ، وهو في ريعان الشباب على كناش من مخلفات جده النسابة علي ، كما ذكر لنا ذلك في مستهل كتابه الترجمانة ولم يفكر في تسجيل الاحداث المعاصرة ولا في تخصيص كتب لوصف احوال الدولة العلوية الا بعد أن انتهى من تحرير كتابه في التاريخ العام .

انه لم يتردد في تقديم كتبه الثلاثة المهمة الى السلطان المولى سليمان ولكن لم يكن عمله ذلك مشوبا بشائبة من التملق أو التزيد ، فان كتابه الاول الترجمانة ، يبين بوضوح أنه لم يكن من المؤرخين المرتزقة ، ويفيد الواقع أنه لم يكن ينتظر أن تبلغه أعماله التاريخية مرتبة أعلى من المرتبة الممتازة التي كان وصل اليها بفضل نجاحه في المجال السياسي .

ومن جهة أخرى فان مؤلفاته التاريخية الخاصة بالدولة العلوية ، كتلك التي تهم الدولة السعدية، تملأ النفوس اطمئنانا وارتياحا لانها تمتاز بالضبط والدقة ، سواء في عرض الاحداث أو في وصف الاماكن اذ نراه يشفع المعلومات التاريخية بذكر الارقام أو القوارىخ أو بتحديد الاماكن ، ولا يغفل عن التعريف بأسماء القبائل التي شاركت في حركته ، أو واقعة ، فان كتابيه ، الترجمانة و البستان ، مشحونان بالملاحظات الصائبة المتعلقة بالامكنة والواقع .

فالزياتي لم يهتم بالتاريخ السياسي بحسب ، بل كان يتوخى الدقة في وصف الظروف الملائمة للمعارك والثورات ويتحرى الصواب في وصف المنشآت الحضارية والاصلاحات الاجتماعية حاذيا في ذلك حذو سابقيه ، ابن القاضي

والافرائي: فأننا فراه يطلع قراءه على ما أدخل على بعض القطع النقدية المغربية من تغييرات ، ولا سيما « الموزونة » و « المثلقال » ، في عهد المولى الرشيد وعهد المولى اسماعيل (59) ، كما فراه يفتحي الضبط في تحديد التواريخ التي أقيمت فيها بعض المؤسسات العمومية ، وبالإضافة الى ذلك فان المعلومات التي زودنا بها في شأن البنايات الواسعة التي تضمها القصور المخزنية في العاصمة المكناسية ، حيث أقام مدة طويلة ، خير شاهد على تحريه الاستقصاء والتدقيق (60) .

وأخيرا فان كتبه التاريخية الثلاثة مظنة من أفيد المظان لمن يريد أن يضع تاريخا طبوغرافيا لمدينة فاس اذ يجد فيها تفاصيل غاية في الدقة عن البنايات والاصلاحات التي تتعلق بالمساجد والمدارس والقناطر والقصبات (61) .

ولكن الميزة الأكثر أصالة في مؤرخنا هي ، بدون شك علمه بشؤون أوروبا ، وذلك يبدو بكامل الوضوح في النسخة المخطوطة التي بين أيدينا من **الترجمان** وفي **البستان** اننا نلاحظ أنه يصف بشيء من الاطناب العلاقات المغربية التركية ولكن كثيرا ما يسطر قلمه نبذامقيدة عن السفارات الاجنبية التي وردت الى المغرب وعن البعثات الرسمية المغربية الموجهة لاوروبا مثبتا بذلك أنه على علم بتاريخ أهم دول أوروبا المعاصر وعلى اطلاع بالمواقع الجغرافية التي تهيمن عليها تلك الدول، ونحن لا نستغرب ذلك لاننا نعرف أنه

(59) **الترجمان المغرب** ص 11 (ط هوداس) (المؤلف) .

(60) انظر ما أورده الزياني في **الترجمان** (كراسة 11 من مخطوط سلا) عن البديع وعن القصور التي بناها المولى اسماعيل بمكناس ومن ذلك قوله : « ولقد شاهدت ضخامة بنائه بعد خرابه ونقل خشبه ورخامه في دولة أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل ووددت لو كان الفشتالي حيا وشاهد ما بناء السلطان الاعظم مولاي اسماعيل في قلعة مكناسة من الدور والقصور التي تزيد على عشرين اصغرها يشاكل القصر البديع ، وأوسطها أعظم منه وأكبرها لا يظهر البديع في زواياه ،،، » (المؤلف) .

(61) انظر مثلا ما ذكره الزياني عن البنايات التي أقامها المولى الرشيد بفاس **الترجمان** ط ، هوداس ص 9 - 12 (المؤلف) .

ركب البحر ، وهو يافع ، وسافر عبر شواطئ فرنسا واسبانيا الجنوبية وتسنى له أن يعرف كثيرا من المواقع وأن يتعلم قسطا وافرا من الكلمات والعبارات الفرنسية، ربما تدون ضعيفة الصلة باللغة الفرنسية أو الأسبانية، ولكنها متداولة في المراسي المغربية التي كان يتوارد عليها أفواج من البحرية المختلفة أجناسهم ولهجهم .

ومهما يكن فاننا لا نملك كتمان تعجبنا عند ما نجد، من بين المعلومات التي أوردها في القسم الخاص بالسعديين ، من المترجمان ، وصفا طويلا بعض الشيء، للحالة السياسية التي كانت عليها أوربا في أواخر فترة الحروب الدينية وتعرض الزباني لذكرها عند ما تكلم عن الثائر مولاي الناصر (62) وعن الاعانة التي وعد بها أحمد المنصور ملكة إنجلترا قبيل انكسار الاسطول الأسباني العظيم (63) .

ان هذه الاخبار ذات قيمة لا يستهان بها لان المؤرخين الغربيين كانوا لا يعرفون عن العلاقات السياسية المغربية الانجليزية ، في العهد السعدي ، إلا ما أفادتهم به الوثائق المحفوظة بدور المستندات الفرنسية والانجليزية والتي نشرت منذ عهد قريب ، (64) وبوجه خاص تلك الرسائل العديدة التي وجهها أحمد الذهبي للملكة اليزابيث والتي تبين أن تلك الملكة حاولت أن تبرم حلفا مع السلطان السعدي ليساندها ضد فيليب الثاني، ملك اسبانيا وليوفر للتجار الانجليز امتيازات خاصة في السوق المغربية .

(62) الامير الناصر بن عبد الله الغالب ، انظر ما ورد في هذا الشأن في **مناهل الصفا**

ط تطوان 1964 م ص 94 وما بعدها ((المغرب) ذ

(63) **الاسطول العظيم** (L'Invincible Armada) كان وجهه فيليب الثاني ، ملك اسبانيا،

سنة 1588 م ، ضد إنجلترا قصد أخذ الثائر من قتلة الملكة *Marie Stuart* والقضاء على اليزابات الاولى ، وغرق أكثر مراكب الاسطول وسط زوبعة بحرية ، (المغرب) .

(64) **المراجع غير المنشورة** لـ **هوكاستر** ، الجزء الاول من السلسلة الخاصة بإنجلترا

(المقدمة) (المؤلف) .

إن لم يكن الزياني هو الكاتب الوحيد الذي كان يعرف تفاصيل تلك العلاقات فهو على الأقل المؤرخ الوحيد الذي أشار إليها في مؤلفاته ، من غير أن يغفل ، بهذه المناسبة ، عن إبراز الدور الذي لعبه اذ ذاك المعاهل المغربي، أحمد المنصور الذي كاتب ملكة انجلترا ليخبرها أنه عازم على مساندتها بقطع جميع للعلاقات مع ملك اسبانيا ، مما تحتاج إليه من نطس وطح المبكرود ومعادن الخ (65) .

من المحقق أن الزياني وجد هذه القائمة الدقيقة من المواد المسموح بتصديرها ، ضمن رسائل رسمية تيسر له الاطلاع عليها ، ولكن من يا ترى زوده بالمعلومات الخاصة بالاحداث التي وقعت بأوربا في أواخر القرن السادس عشر ؟ فأننا قرأنا في النسخة التي بين أيدينا من الترجمان فصلا حافلا يتعلق بهذا الشأن ولم يمنعنا من ترجمته الا طوله ، وهو يشتمل على أخبار تشير إلى ما بذله فيليب الثاني ، ملك اسبانيا ، بعد وفاة الكردنال هنري خليفة دون سيستيان على عرش البرتغال ، من محاولات لضم تلك البلاد إلى مملكته . كما تشير إلى العراقيل التي وضعتها في طريقه الدولة الانجليزية ومنها العمل على غل قوة أساطيله البحرية وإلى الحالة الاقتصادية السيئة التي كانت عليها فرنسا في تلك الفترة وهكذا تكلم عن نشوء الصراع بين الكتلتين المسيحيتين ، الكاثوليكية واللوثيرية ، وعن مقتل هنري الثالث ، وجلس هنري الرابع على العرش بفرنسا .

لا ريب أن مثل هذه المعلومات المتأبقة للواقع التاريخي لا يمكن العثور عليها في المؤلفات المغربية الاخرى اللهم أن يكون قد أشار إليها بعض السفراء المغاربة من الذين وجهوا إلى اسبانيا ، وعلى كل حال فإن الزياني قد أدرك أن المغرب كان في كثير من فتراته التاريخية يهتم بما يحدث من قضايا ومن

(65) أشار المؤلف إلى مرجع هذه المعلومات ولكني لم اعثر عليها في نسخة الترجمان التي بقسم المخطوطات بالرباط (المغرب) .

أزمات في البلدان الأجنبية كما فهم كمؤرخ أنه ليس من الضروري أن يصحب فكر أسماء تلك البلدان ، في كتبه ، بالنعوت المحقرة الجارية بها العمل في المكاتب المغربية ، وهكذا نراه ، في هذه الحالة أيضا يعدل عما كان معتاداً عند الأدباء من أبناء وطنه ، ويتسم بسمات لها صدى طيب في نفوسنا .

أنه لن الممكن أن تكون معرفة الزباني بالشؤون الأوروبية ، وإن كانت معرفة سطحية ، سببا من الأسباب التي أفسدت سمعته في الأوساط الثقافية وجعلت الناس يحطون من قيمة مؤلفاته إلا أن تلك السمعة السيئة لم تنتشر إلا بعد موته لأن الموظفين الذين يعملون بجانبه يوم كان وزيرا وكانوا من غير شك يحسدونه ، ثم يكونوا يجردون على التنقيص من مؤلفاته أو الغض من قيمة أعماله وذلك نظرا لعلو مكانته عند السلطان ولقوة نفوذه في البلاط . فانه لم يكن يتردد في التصريح بما يخطر له من آراء وملاحظات مكتفيا ، في هذا الصدد ، باجتئاب ما يعكر على مخدمه صفو العيش ، ومن حسن حظه كان مخدمه السلطان مولاي سليمان المعروف بذكائه وحلمه .

فإن التقارير المختومة بها النسخ المخطوطة من الترجمانة تبين أن الزباني كان حتى في السنين الأخيرة من حياته ، مهيب الجانب مراعي الحزمة ، سيما أن كل أصحاب تلك التقارير يعدون من رجالات العلم والأدب (66) وكان محمد أكنسوس أحدهم ، وهو إذ ذاك من الحديث العهد بالعمل في البلاط السلطاني ، فانه كال الزباني الثناء بالمكيال الأوفى إلا أنه لم يمت مؤرخنا حتى قلب له ظهر المجن ، فلم يستح من انتحال صفحات عديدة من كتبه وضمنها إلى « جيشه » من غير إشارة إلى من كان رب نعمته ، بل لم يتورع عن تجهيله وحتى عن تكفيره .

(66) وهم السادة : سليمان الحوات ، حمدون بن الحاج ، محمد بن عامر المعوشي القاطلي ، ومحمد بن هنو اليازغي ، وأبو بكر بن إدريس المنجرة الحسني ، وأحمد زروق بن محمد بن صابر الجعفري وعبد الوود الانطيسي الشفشاوني وأحمد بن أبي نافع ، والعربي بن محمد الحمفاتي ، وأبو الفضل عبد الواحد بن أحمد التاودي ابن سودة وأخوه العباس ، وإدريس بن عبد الله الودغيري الإدريسي ، والعربي بن الهاشمي الزرهوني ، ومحمد بن الصادق العلمي بن ميسون ، ومحمد بن أحمد بناني ، ومحمد بن منصـور الشفشاوني ، وسعيد السوسي ، ومحمد بن العربي قصارة الانصاري ، أحمد بن عبد السلام بناني والطالب ابن سودة ، ومحمد بن أحمد أكنسوس السوسي (المؤلف)
== نصرت أكثر هذه التقارير في الترجمانة (ط الرباط سنة 1967)

أجل لا زال الزياني ، الى يومنا هذا ، يجرح بمثل هذه الوصمة لانه كان حاد اللسان لا يتأخر عن « الولوغ في الاعراض الجريئة » وعن التنديد بالصالحين والفضلاء .

الظاهر أن مبعث حقد المؤرخ أكتسوس : الذي كان من « أساطيين » الطريقة التجانية ، على مترجمنا هو أن هذا الاخير ترفع عن الانتساب الى تلك الطريقة والانتماء الى زاوية من « الزوايا » (67) .

وانه لمن حسن الحظ أن الاوربيين ما كادوا يطلعون على ذلك الجزء الضئيل من آثاره المنقول الى الفرنسية حتى قدروه ورأوا فيه المؤرخ الذي لم يبلغ بعد مبلغه أحد ممن أرخوا للدولة العلوية . فان المؤرخين المغاربة الذين تلووه في هذا المضمار ، وحتى نهاية القرن التاسع عشر لم يقدموا التوثيق اللازم والدقيق الذي كان يحرص عليه الزياني في مؤلفاته ، فان كل ما كتبه عن الأسرة العلوية ليس فيه كبير عناء الا بعد العصر الذي توقف فيه الزياني عن الكتابة ، أما كتاباتهم عن الفترة التي عالجها الوزير المؤرخ فليست الا « انتحالات » أو اقتباسات من مؤلفاته ، جعلت في قوالب مزوقة مثقلة بالمحسنات البديعة .



محمد أكتسوس

يعتبر محمد أكتسوس ، بالنسبة لسابقه أبي القاسم الزياني ، مؤرخا باهت اللون ، خطير الرأي : فهذا كاتب مغربي متفتح لمطالبات عصره ، وذلك مثال للعالم الجامد المتزمت .

لقد اضطلع كلاهما ، في البلاط المخزني ، بمهام ذات شأن ، الا أن أكتسوس لم ينفك ، طيلة حياته ، حذرا في أقواله وأفعاله ، متخذلقا في كتاباته ، وخصوصا التاريخية منها ، مع أنه لم يكتب التاريخ الا ليمدح ويتزلف .

(67) وردت ترجمة الفقيه محمد اكنسوس في كتاب القاضي الحاج احمد سكيـرج كشف الحجاب ومما قاله فيه « هو احد القائمين على ساق الجد في الذب عن حماها . (الطريقة) - ورد تهورات كل شنيع - (ص 328 ط 1962 م) (المغرب)

ان أكثر من ترجموا له عدوه شاعرا بارعا ، ودعوه : « أديب الغرب والسوس » ولكن لم يجمعوا على أنه من المؤرخين المهرة .

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد أكنسوس ، ينتمي الى إحدى القبائل السوسية العريقة ، قبيلة « ايدا وكنسوس » حيث ولد ، سنة 1211 هـ (1796 م — 1797 م) .

نعم عرف أكنسوس باسم قبيلته إلا أننا نجد أحيانا ، من يعرب ذلك الاسم فيقول ، الجنسوس أو الجنسوسي .

خصص له القاضي أحمد مكيرج النفاسي ترجمة تنم عما يمكنه له من عطف وتقدير (1) حلاه غيبا بالنسب القرشي الهاشمي الجعفري (2) المنتمي إليه شرفاء زاوية تمكروت ، ومنها أمه ، وهي كريمة الشيخ ابن ناصر .

اننا لا نعرف إلا النزر القليل عن طفولة هذا المؤرخ ولكن ليس من المستبعد أن يكون شب في حجر قبيلته لاننا نعرف أنه غادرها سنة 1229 هـ ، (1814 م) وتوجه الى فاس طلبا للعلم ، فأخذ عن مشاهير علمائها وأفاضل شيوخها كالعلامة الفقيه محمد بن عامر التادلي الذي كان مستشارا للسلطان سيدي محمد بن عبد الله وشيخا للسلطان المولى سليمان ، وكالشيخ حمدون بن الحاج ، والشيخ محمد بن أبي بكر اليازغي والشيخ أبي العباس أحمد بن التاودي ابن سودة ، والشريف أبي محمد عبد السلام الأزمي ، والعلامة أبي عبد الله محمد بن عمرو الزروالي ، والفقيه المنطقي أبي عبد الله محمد ابن منصور الشفشاوني .

(1) في كتابه كشف الحجاب عن تالقي مع الشيخ التجاني من الاصحاب (ص 318 — 378) (المؤلف) (و ص 328 ط 1962 — المغرب)
وترجم له كذلك ابن الموقت في السعادة الابدية ومحمد السائح في المنتخبات العبقريّة ، وأفادنا بتفاصيل عن حياته لم تنشر للسيد العباس بن ابراهيم المراكشي (المؤلف)

(2) يشك المؤلف في صحة هذا النسب ولم أر من الضروري أن أترجم ترجمة حرفية ما ذكره في هذا الموضوع ، سيما بعد ان قرأت في الكتيب الذي خصصه الاستاذ عبد الله كتون لهذا المؤلف ما يلي : « ربما زيد في نسبه الجعفري استفادا الى ما ذكره في تاريخه من أنه وجد آباءه ينتسبون الى سيدنا جعفر ، وأنه وان لم يقف على تحقيق ذلك فانو يتشبهت به فرارا ممن ادخلوا في حديث : « تبرء من نسب وان دق كفر » (المغرب)

كانت القرويين ، منذ عدة أجيال ، منبت أفواج من رجال الادارة المغربية، تلك الادارة التي ما فتئت، الى عهد قريب ، متمثلة في الوظائف المخزنية لا غير ومنها الوزارة التي أصبحت ، منذ أمد بعيد ، تستند لاصحاب القلم لا لاصحاب السيف ، والكتابة بالبناثق الديوانية التي كانت في غالب الاحيان ، تضم من المحررين أكثر مما تدعو اليه الحاجة .

اجتذبت الوظائف المخزنية الطالب أكنسوس ، كما اجتذبت ، من قبل ، الزياني وغيره من طلبة القرويين ، فعين كاتبا ولم يلبث أن بلغ منصب وزير. كان المغرب ، عهدئذ ، يعيش فترة اضطراب وفتن ، وكان السلطان المولى سليمان يجابه مشاكل معقدة عديدة من جراء خروج أهل فاس عليه وميلهم للمولى سعيد ، نجل المولى يزيد ، ومن جراء ما تفاقم من عصيان وتمرد ببعض المناطق المغربية الاخرى .

أرسل السلطان الوزير أكنسوس ، خلال تلك الفترة العصيبة ، في مهام سياسية تكلم هو عنها بشيء من التفصيل في كتابه ، وهكذا أخبرنا أن السلطان أوفده الى تطوان ثم الى القصر الكبير ثم الى سلا الخ ، ، وأنه كان يحظى بالحفاوة والتكريم حيثما حل وارتحل .

توفي السلطان مولاي سليمان في 13 ربيع الاول سنة 1238 هـ (28 نوفمبر 1822 م) ففقد أكنسوس بموته حاميه كما فقد منصب الوزارة إذ أن السلطان الجديد ، مولاي عبد الرحمان أبعده واستوزر مكانه رفيقه في الطلب ، محمد بن إدريس الذي سبق أن رأينا كيف أُلحق بالبلاط أيام وزارة أبي القاسم الزياني .

لما ولي المولى عبد الرحمان كان أكنسوس مقيما بمراكش الا أنه سرعان ما نهض للالتحاق بالموكب الملكي فوافاه بالقصر الكبير ، هس له السلطان وقربه ، وسأله عن سيرة سلفه السلطان مولاي سليمان ، ولكن تحركت مده الضغائن وعاكسته وشايات وسعايات تكلم عنها بأسهاب في جيشه ، فصرف عن المهام المخزنية الرسمية ، ومع ذلك ، بقي يتردد على البلاط من آن لآخر لينشد ما كان يدبجه من قصائد في مختلف المناسبات .

فانه ذكر في **الجيش** ان الوزير ابن ادريس استنابه سنة 1265 هـ
(1849 م) في نظم قصيدة في مدح الرسول (صلعم) كان السلطان عزم على
ارسالها الى المدينة المنورة مع ولديه المولى سليمان والمولى رشيد (3) .
ولما تربع السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان على عرش أسلافه نظم
لكنسوس قصيدة في رثاء السلطان الراحل وأخرى لتهنئة العاهل الجديد ،
وكلف ابنه عبد الله بالذهاب إلى مكناس لانشادها بين يديه ، وذكر في
الجيش أن تلك التهنئة حظيت باستحسان سيدي محمد بن عبد الرحمان
فأجزل له العطاء وتفضل عليه بحل سنية (4) .

قضى أكنسوس السنوات الاخيرة من حياته بمدينة مولاى الحسن وتوفي
عن عمر يناهز الثالثة والثمانين ، يوم الثلاثاء 29 محرم 1294 هـ (14
فبراير 1877 م) ودفن في اليوم التالي ، خارج باب الرب ، قرب
ضريح الامام أبي القاسم السهلي ، وحضر جنازته الجم الغفير من الناس ،
ولا زال قبره الى يومنا هذا مقصودا للدعاء والتبرك .

أسمى أكنسوس كتابه في التاريخ **الجيش العرمم الخماسي في دولة**
أولاد مولانا علي السجلطاسي (5) وهذا الكتاب لم يعرف خارج المغرب إلا في
السفنين الاخيرة مع أن المختصين في تاريخ افريقيا الشمالية ، من أهل الغرب ،
كانوا لاحظوا أن المؤرخ الناصري أورد منه ، في الاستقصا عدة نصوص
تتعلق بالدولة العلوية .

طبع **الجيش** بفاس سنة 1336 هـ (1918 م) في جزئين الا أن النسخ
التي تم اخراجها بالمطبعة الحجرية قليلة جدا ، وعنوانه يشير الى الطريقة
التي سلكها أكنسوس في كتابة التاريخ .

(3) أنظر القصيدة في الكتيب الذي خصه الاستاذ عبد الله كنون لأكنسوس في مجموعة
تكريات مشاهير رجال المغرب ص 31 ، (المغرب)

(4) **الجيش** ج 2 ص 64 .

(5) ألف أكنسوس بالإضافة الى **الجيش** كتابين في مسائل اسلامية أولهما **الجولب المسكت**
وثانيهما **الرد على رسالة البكاي** (المؤلف)

فهو يتمثل التاريخ الاسلامي في شكل جيش مركب ، ككل جيش عربي منظم ، من خمسة أقسام متميزة بعضها عن بعض ، مقدمة ، وجناحان وقلب وساقة ، « فالمقدمة في الأوليات ، وفي حقيقة الامامة العظمى وحكمها شرعا ، والفرق بينها وبين الخلافة وبين الملك ، والجناح الايمن في دول المشرق ، يشتمل على ذكر السيرة النبوية والخلفاء الراشدين ، والامويين ، والعباسيين ، والفاطميين والأتراك العثمانيين ، والجناح الايسر في دول المغرب : الادارسة ، وأمويي الاندلس ، المرابطيين والموحدين والحفصيين والمرينيين والسعديين ، ولكن بايجاز كالسابق ، و « القلب » في الدولة العلوية الشريفة ، وهي المقصودة بالذات من هذا « الخميس » والساقة في سياسة الملك واختصاصاته وأعوانه من وزراء وكتاب وغيرهم من كبار الموظفين .

الظاهر أن أكنسوس رتب كتابه هذا الترتيب الغريب ايبرر ذكره للتاريخ الاسلامي العام ولمسائل سياسية إلى جذب موضوعه الاساسي ، أي الدولة العلوية التي خصص لها أكبر قسط من مباحثه ، فذكر ملوكها ، ملكا ملكا وما وقع في عهدهم من حوادث ، رامزا في أقسام **الجيش** الخاصة والقلب والجناحين بألوية ورايات تحت كل لواء منها . وهو يقصد باللواء الدولة ، وبالراية الملك ، جاعلا لكل من تلك الرايات لونا يلائم حالة من نسب اليه وطريقة معاملته لرعاياه .

« فاللون الابيض يوصف به الصلاح والكمال ، والسواد يوصف به الثابت في سيادته وعزته ، والحمرة يوصف بها القوى الشهم مع خوف الافتتان بها ، والصفرة يوصف بها الفرح القصيب (كذا) مع اللهو المفرط ، والخضرة يوصف بها المعتدل الذي غلب عليه الخير والصلاح ، والزرقة عكس الاخضر ، والامتزاج بحسب مزاجه ، والغبرة يوصف بها مجتول الحال (6) .

لماذا يا ترى اختار أكنسوس هذه التعابير الرمزية التي لا تخلو من
التصنع السمج ؟ ان كان الزياتي ، استهل - ولكن في كتابه البسمان لا غير ،
كلا من الفصول المتعلقة بأخبار أمير أو سلطان ، بفذلكة جد موجزة لا يبرز ما
امتاز به من محاسن أو مساوي ، فأكنسوس لم يتخذ ذلك القرتيب الغريب
لتبرير استطرادات أدبية ، وإنما ليجعل منه اطارا ييسر له ايداء مهارته في
تجلية ، النسبة بين مختلف ألوان اللوية والرايات وحالات أهل ذلك اللون
ولونه « (7) وهكذا نراه عنوان الفصل الخاص بالمولى سليمان ، « الراية
الخضراء العالية ذات الاذيال البيض » والخاص بسلفه المولى اليزيد : « الراية
الزرقاء الكسيفة لمنظر الكويهة المخبر » .

ومن حسن الحظ فان أكنسوس لم يتوسع في مقارنات بين الاحوال
الالوان ، ولو فعل لكان أسلوبه عسير الهضم .

تناول أكنسوس تاريخ الدولة العلوية من أوائل نشأتها الى سنة 1282هـ
1865 م) أي عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان (8) . وكان له من العمر .
وقتئذ ، أكثر من سبعين عاما . وقد صرح في مطلع كتابه ، أنه أول عالم
يخصص للعلويين تاريخا جديرا بمنزلتهم الرفيعة وأنه تطوع لذلك بعد أن
تأكد من قصور أو عجز من سبقه في هذا المضمار ، ملاحظا أن ما كتبه الافراسي
عنهم في القسم الاخير من فزهة الحادي وعن المولى اسماعيل في كتيب
آخر « لا تشفي غليلا » وما كتبه القادري في الازهار الفدية « لا يغني فتيلة » ،
ولم يفته بهذه المناسبة أن يتعرض لذكر الزياتي
بسخرية اذ وصفه بالجهل وبأنه « كخرقاء وجدت صوفا » وزاعما أنه لم يزد ،
في بستانه على سلخ ما كتبه « ابن الحاج » في نفس الموضوع وهكذا
نراه يتناسى ما كان يبديه للزياتي من ولاء وتكريم يوم كان وزيرا بيديسه
الحل والعقد .

(7) الجيـش ط ج 1 ص 20 .

(8) فرع من تأليف الجيـش في 15 شعبان 1283 هـ (23 دجنبر 1866) (المؤلف) .

ان تقييم كتاب **الجيش** يقتضي ترتيبه الى قسمين ، اولهما يبدأ من نشأة الاسرة العلوية حتى حكم مولاي سليمان وثانيهما يتصل بحكم المولى عبد الرحمان وابنه سيدي محمد .

في القسم الاول اكتفى أكنسوس بانتحال ما ورد حول هذا الموضوع في كتابي سابقيه الافراني والزياتي : فثانه حشر وأدمج في جيشه الفصل الاخير من **نزهة الحادي** وقسطا وافرا من **البستان** ولم يذكر الا نادرا المصدر الذي أخذ عنه ، ولذا يجوز لنا أن نفرض انه لو ضاع **البستان** لتيسر لنا ان نتعزى عن فقدده لان الجزء الاكبر منه مثبت في **الجيش** .

وعلى العكس من هذا فان القسم الثاني من **الجيش** يشتمل على تاريخ فترة شهد أكنسوس أحداثها كممثل أو كمشاهد ، فهو اذن ذو قيمة تاريخية لا يستهان بها .

وضع أكنسوس هذا القسم على شكل « حوليات » وقد سلك فيه ، بنجاح لا ينكر ، طريقة استاذة الزياني مخصصا مقام الصدارة للاحداث السياسية والمواقف السلطانية والحملات التأديبية ، الخ ، و « الهامشيات » لتسجيل أخبار تتعلق بشخصيات بارزة قيد وفياتهم (9) وبتواريخ انشاء مؤسسات عمومية ، الشيء الذي يؤكد المامه بشؤون المغرب وبخطط حواضره .

ولكن يبدو أن أكنسوس يظل شاعرا معتزا بسعة باعه في ميدان القوافي اذ الانطباع الذي تتركه في النفس مطالعة القسم الثاني من **الجيش** هو أن المؤلف قد استعمل سرده التاريخي كوسيلة لايراد انتاجه الشعري وتسجيل القصائد المتعددة التي قدمها للسلاطين والامراء والوزراء الكبار والتي تبرر ملكته الراسخة في الفنون الادبية ، وتؤيد اعتباره من طبقة حمدون بن الحاج ، وابن الونان .

(9) وهكذا فراه بمناسبة فكره للوباء الذي كاد يكون من ضحاياها السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان ، يقدم لنا معلومات طريقة عن أسرة إدراك منيت عدة اطباء عرفوا بنجابتهم ومعالجتهم للملوك (المؤلف) .

وتتجلى هذه الخاصية في ما أثبتته في جيشه من عظيم التقدير لعبقريّة الكاتب اللبناني فارس الشدياق المسيحي المنبت الذي اختار الإسلام ديناً ، عندما اطلع على قصيدتين وجههما ذلك الأدب للبلاط المغربي ، مدح في أولاهما السلطان مولاي عبد الرحمان ، وفي الثانية الوزير محمد بن ادريس (10) ، فانه تكلم عنه بنوع من الاسهاب في القسم الثاني من تاريخه اذ رأى أن « ذلك من عجائب ما يروى » (11) .

ختم أكنسوس القسم الثاني من الجيش « ساقّة » بأن تناول فيها الكلام عن شؤون قد تبدو ، لأول وهلة ، خارجة عن الموضوع ، لانها تتعلق بما ينبغي أن يتحلّى به كل أمير من خصال حميدة . وقد استشهد ، في هذا الصدد ، بمجموعة مهمة من الاقوال اقتبسها من مؤلفات سابقيه من المؤرخين وأصحاب الموسوعات ، الا أن تلك « الساقّة » مليئة بملاحظات جد مفيدة لدارسي تطورات أنظمة الحكم بالمغرب في عهد الدولة العلوية : فان أكنسوس لخص فيها متطلبات الوظائف المخزنية من وزارة وحجابه وكتابة ، وسجل معلومات عن شخصيات شغلوا الصدارة في البلاط العلوي ، مثل الوزير أبي العباس اليعمدي والوزير أفندي العربي قدوس ، والوزير محمد بن ادريس ، والوزير الطيب بن اليمنى الا أنه حشر حول تلك المعلومات إستطرادات طويلة لا نرى لاي رادها من داع كتلك « المنظومات » التي قيلت في « معنى الكتابة وآلاتها » وفي « المکتوب فيه » وفي « المکتوب به » وفي « الكاتب وفي المکتوب اليه » إلخ (12) .

(10) ذكر الاستاذ ليفي بروفنصال ان فارس الشدياق مالطي الاصل ، والحقيقة أنه لبناني المسقط وعاش مدة في جزيرة مالطة اعتنق الاسلام في تونس سنة 1857 م (انظر دائرة المعارف الاسلامية ، النص الفرنسي ج 2 ص 819) (المغرب) .

(11) اليكم ما ورد في الجيش (ج 2 ص 31) في شأن هذا الاديب : « وبعد هذا وردت قصيدتان بديعتان بخط عربي رفيع في غاية ما يكون من النصاحية والسلاسة من نفائس الاشعار ، احبى القصيدتين في مولانا أمير المؤمنين المؤيد ، والاخرى في مدح وزيره الفقيه العلامة أبي عبد الله محمد بن ادريس ، وهما من انشاء نصراني بمالطة يقال له فارس الشدياق ، فكان ذلك من عجائب ما يروى ، ، وشأن الشدياق المذكور ودأبه وعادته ستجداء ملوك المسلمين باشعار ، ومدائحه العجيبة فادرك بذلك أموالاً طائلة ، وله مكانة عند كل دولة ، ، (المغرب)

(12) ج 2 ص 159 وما بعدها (المغرب) .

لما أخرج كتاب الجيش المعروف للقراء لم يحمدا من لدن رجال الادب بما كان ينتظره له مؤلفه من التقدير ، بل أدى الى عرضه على علماء فاس ليبدوا رأيهم فيه ، وذلك لان أكنسوس تجراً فيه ، تملقا للاسرة الحاكمة على الغرض من شأن السلاطين الادارسة ، وهم مؤسسو دولة الاشراف الاولى بالمغرب ، وأبدى فيه نوعاً من الحقد على فاس عاصمة الشمال المغربي ، لحزازات شخصية بقي أثرها في نفسه منذ أن حبس فيها وكاد يلقي بها حتفه في عهد مولاي سليمان فضلاً عن أنه وقع ، بمناسبة عرضه لقائمة مراجعه التاريخية ، في أوهام ، وارتكب أخطاء لا يتغاضى عن مثلها علماء وطنه ، أولئك العلماء المشهورون بالبراعة في التعرض بالنقد « للجزئيات » ، ألم يسم كتاب الاقراقي في ترجمة المولى اسماعيل ، ولم يطلع عليه ، **الظل الظليل** وعنوانه الحقيقي **الظل الوريث** ؟ (13) ألم يذكر ، من بين مراجعه التاريخية مؤلف أحمد الجراوي المراكشي **صفوة الادب راعما** أنه يشتمل على أخبار الموحدين ، وهو في الواقع ، ديوان شعر على شكل **حماسة أبي تمام البحتري** ؟ (14) وأخيراً ألم يجعل **القرطاس** اسماً لمؤلف **الانيس المطرب** وذلك عند ما استشهد بمعلومات مقتبسة من هذا الكتاب في الصفحة 39 من **جيشه** أورد فيها بالحرف : « قال **القرطاس** في كتابه **والقرطاس** لقب لمؤلف الكتاب المعلوم ، نبهنا عليه لأنه يظن أنه اسم ووصف للكتاب » ؟ (15) .

(13) طبع هذا الكتاب سنة 1382 هـ (1962 م) بالرباط (المطبعة الملكية) بتحقيق الاستاذ عبد الوهاب بن منصور ، وعنوانه الكامل : **روضة التعريف بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف** .

وورد ذكر هذا الكتاب في **دليل مؤرخ المغرب** (ج 1 ص 152 ، رقم 364 - بالعنوان التالي : **روضة التعريف** ، او **الظل الوريث** في **مفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف** (المغرب) .

(14) أشير الى هذا الكتاب في **دليل مؤرخ المغرب** (ج 2 ص 422 رقم 1940) و « انه ألف للسلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن الموحدي » (المغرب) .

(15) كيف يا ترى وقع أكنسوس في هذا الخطأ وقد سبق له (ص 4 ج 1 من **الجيش**) ان ذكر **القرطاس** من جملة التواريخ التي اهتم أصحابها بدولة معينة حيث قال : « ، ، ، وأما فيما يخص قوماً أو جيلاً باعيانهم أو دولة معينة دون غيرها فكثير كابن الرقيق في دول افريقية ، وابن حيان المؤرخ في الدولة الاموية بالاندلس ، ، ، وكتاب **القرطاس** في دولة الادارسة ، ، ، ؟؟ » (ص 4 ج 1 من **الجيش**)

أجل فلم يكد هذا الكتاب يصل الى القراء حتى صار « عرضه لسهام
المنتقدين » الى حد أن طبعه بفاس في السنوات الاخيرة أثار ضده من جديد
في بعض الاوساط الثقافية المغربية ، ألوانا من السخط والتعريض تفوق ما كان
يوجه اليه من قذف وشتم بالعاصمة الادريسية في الفترة الاخيرة من حياته ،
نظرا لاستخفافه بتاريخ تلك الحاضرة ، ولما كان يتسم به من عجرفة وتبجح
سخيف .

ولا شك أنه لو لم يشتغل بالتاريخ لبقى متمتعا بين مواطنيه بالسمعة
الطيبة التي اكسبتها آياه براعته في ميدان الشعر والقوافي .

وفيما يخصنا ، نحن المستشرقين ، فانه ينبغي لنا أن لا نبالغ في تقدير
ما للجيش من قيمة تاريخية . فان كان من الضروري لدارس تاريخ
المغرب ، وبالخصوص تاريخ القرن التاسع عشر الميلادي ، أن يرجع اليه ، فان
عليه أن يفعل ذلك بكثير من الحذر والتثبت لان افتتاحه ، بدون استحياء
للكثير مما تضمنته كتب الافراني والزياني ، كاف لجعلنا غير مطمئنين اليه .

فان كتابه لا يخلو من امارات التملق للامراء العلويين ويؤكد ذلك ما
تعمده فيه من التحريف والتأويل الزائف (16) ، وبالإضافة الى ذلك لم يشسر
الا اشارات خفيفة لاحداث تاريخية مهمة مثل الحرب التي نشبت سنة 1860 •
بين المغرب واسبانيا .

ولكن من الواجب علينا ، بعد ابداء هذه الملاحظات ذات الشأن ، أن نعترف
أن للجيش ميزة لا يستهان بها وهي كونه أول مصدر مكتوب لتاريخ ملكيين
من ملوك الدولة العلوية ، وهما مولاي عبد الرحمان وإبنه سيدي محمد (X)

(16) واليكم نموذجا من ذلك ، فان الافراني ذكر في نزهة الحادي (ص 113) : « ...
ان السلطان احمد المنصور لما اكمل قصره البديع ودعا الناس لوليمة اكماله ، وكان يطوف في
القاس بغير حجاب ، فوالى رجلا سالعا من المجانيب ، فجاءه وباسطه ، فقال له : « كيف
رأيت دارنا يا سيدي فلان ؟ فقال له : « اذا تهدمت صارت كدية من التراب ! » فاضاف اكنسوس
الى هذا الخبر (ج 1 ص 43 من كتابه) ما يلي : « فقال له الذهبي ، ومن يهدمها ؟ فقال :
سلطان عظيم من شرفاء تافيلالت ، فكان مصداق ذلك على يد مولاي اسماعيل ، فانه هدم
قصر البديع ، » (المؤلف)

(X) ذكر المؤلف في تطبيق ص 212 ان القاضي العباس بن ابراهيم اخبره سنة تحرير
لكتابه هذا انه مشغل بتأليف تراجم لاعلام مدينة مراكش وانه سيقترجم فيه لابي عبد الله
محمد بن احمد اكنسوس ، واخبره ايضا ان كتاب الجيش تعرض لعدة ردود منها كتاب
الطابع المنحوس في الرد على اكنسوس للعالم على بن طاهر المدني مسقطا الفاسي مسكنا ،
وكتاب الفتوح القدوس في الرد على اكنسوس لاحمد اليكاي ، وكتاب الحسام المشرقي لقطيع
لسان الشاب الجعفري الناطق بالحرفات الجعسوس ، سيء الظن الجعسوس ، للعالم الحاج
المربي المشرقي .

محمد الضعيف (17)

تقدم أن أشرفنا ، في فصل سابق ، أن مؤلف محمد الضعيف يعد من لدن الأدباء المغاربة مظنا لاعنف الانتقادات التي وجهت لأهل الحل والعقد من رجال الدولة العلوية .

وصاحب هذا المؤلف هو أبو عبد الله محمد بن المرباط عبد السلام بن أحمد بن محمد الضعيف الرباطي ، المولود برباط الفتح في العقد الأخير من شهر ربي للحجة 1165 هـ (بين 29 أكتوبر و 8 نوفمبر 1732 م) . وهناك جلس في حلقات الفقيه الذائع الصيت محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الجليل الرباطي دفين أبي الجعد ، والحافظ الشيخ أحمد بن عبد الله الغربي المدفون إلى الرباط حيث اشتغل بخطة العدالة .

بالرباط قرب ضريح مولاي ابراهيم ، ثم قصد قاسا للاخذ عن شيوخها ورجع بدأ اسم الضعيف يشتهر كناظم لقصائد في الملحون ، لازال إلى الآن يتغنى ببعضها في الرباط وسلا ، ومن جملتها قصيدتان أحدهما في وصف الربيع والآخرى في الشطرنج (18) .

لا ندرى ما الذي دفع به إلى كتابة تاريخ بلاده بل على الأصح ، تاريخ الدولة العلوية منذ نشأتها إلى عهد المولى سليمان .

(17) ورد في تعليق للمؤلف ما يلي : « في منتصف سنة 1921 أخبر أحد قسامة مدينة من المدن المغربية ، أنه ظهر ، بقاس ، مؤلف تاريخي وردت فيه تفاصيل عن أسرته قاهتم بالحصول عليه ليأخذ نسخة منه ، وهذه النسخة هي التي تسنينا الاطلاع عليها ، بل الاطلاع على كراسة منها تشتمل على أخبار مولاي اليزيد ، ، ، هذا وقد أفادنا السيد محمد بن علي الدكالي بالمعلومات المتعلقة بترجمة الضعيف .

(×) ذكر في فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزنة العامة (ج 2 ص 135 ط 1958) تاريخ الضعيف ، إذ توجد هناك ثلاث نسخ منه ، وينفخ هذا المرجع معلومات عن حالة النسخ وعن المؤلف ومن اهتم بترجمته (المعرب)

(18) ذكره الاستاذ عباس بن عبد الله الجراري في كتاب القصيدة من بين الزجالين الذين عرفوا بالرباط الا أنه قال : « وقفنا من شعره علي قصيدة في مدح الرسول عليه السلام (ص 684 / ط الرباط) (المعرب)

لم يضع لكتابه عنوانا خاصا وقد استهله باخبار تتعلق بتقلص ظل الدولة السعدية والزاوية الدلائية ثم ذكر الاحداث التي واكبت ظهور الدولة العلوية وإصفا في شكل حوليات وصفا جد موجز ما وقع في عهد كل سلطان وخاتما الكلام عنه بذكر الصفات التي امتاز بها أيام حكمه .

لقد ركز بطبيعة الحال ، اهتمامه على ما جرى في مسقط رأسه ، رباط الفتح وفي جارتها ، مدينة سلا ، وفي الحاضرة الادريسية .

ومما لا شك فيه أن كتابه ، ان تسنى الاطلاع عليه قد يكون جد مفيد لمن يريد أن يعرف معرفة مرضية لإحالة التي كانت عليها مدينة الرباط في الفترة الاولى من العهد العلوي وكذا التحويلات التي توالى فيها منذئذ الى أن أصبحت العاصمة الادارية للمملكة المغربية .

هذا وقد أكد لنا أن كتاب الضعيف يشتمل أيضا على « وفيات » لطائفة من أعيان الرباط الذين قضوا نحيبهم في ثنايا المدة المؤرخة أحداثها ، ومن بينهم والد المؤلف نفسه المتوفى بالرباط في الثاني والعشرين من جمادى الثانية 1182 هـ (3 نونبر 1768 م) .

إن تاريخ الضعيف لا يزيد ، حسب اقوال كثير من الادباء المغاربة على كونه نسخة موسعة شيئا ما من كتاب وضعه رباطي أندلسي الاصل ، وهو الحاج محمد المسناوي مورينو الذي كان موقتا بالمسجد الاعظم في الرباط ومات بها سنة 1207 هـ (1792 / 1793 م) وانفرد مؤرخا بإكماله ومواصلة تسجيل الاخبار الى سنة 1233 هـ (1817 / 1818 م) وعمره آنذاك ثمان وستون سنة ، ولا يعرف هل عاش بعد ذلك مدة طويلة .

من المحتمل أن يكون تاريخ الضعيف من المراجع النافعة الا أنه من الضروري أن ينظر بكثير من الحيطة الى بعض الاخبار التي بين دفتيه ، وهي اما موضوع ، واما يتعذر الان التثبت من صحتها .

ومهما يكن فان هذا الكتاب ليس مظنة أخبار تاريخية وكفى ، بل يحتوي بالاضافة إلى ذلك على قصائد في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) قيل لنا انها لاحد أترابه من أبناء مسقط رأسه ، وهو محمد الأمين بلمينو .

وختاما فان القسم الذي أطلعنا عليه من هذا الكتاب يبين بوضوح أن صاحبه لم يكن يتحاشى فيه استعمال الكلام « الزنقوي » وأنه لم يأت فيه بمعلومات يمكن أن تعد طريقة بالنسبة لمحتوى مؤلفات معاصريه أو بوجه خاص مؤلفات الزباني .



الدر المنضد

لمؤلف مجهول

نختم هذه القائمة من الكتب القليلة التي اهتم أصحابها بتاريخ الدولة العلوية إلى عهد مولاي الحسن ، بذكر مؤلف ، من سوء الخط غير تام وعنوانه **الدر المنضد الفاخر فيما لابناء علي الشريف من المحاسن والفاخر (15)** .

فهو ، كما قلنا ، تاريخ مجهول المؤلف ، يحتوي على أخبار الدولة العلوية منذ نشأتها ، وقد وعد صاحبه ، في المقدمة التي استهل بها ، بأنه سيعتري في فيه وصف أطوارها إلى زمانه هو ، وإن يحليه بتراجم الاعلام من رجال السياسة أو العلم والصلاح الذين اشتهروا في تلك الاحقاب .

ان القسم الموجود لدينا الآن من **الدر المنضد** يثبت فعلا أنه كتاب تاريخ وتراجم ، اذ هو في شكل حوليات أجمل فيه ما وقع ، عاما فعاما ، من أحداث سياسية ومن وفيات أعيان أشجع اسماءهم بتحليات تعرف ما كان لكل منهم من مزايا وقضائل .

(19) اطلعنا على قسم مخطوط منه (ستون ورقة) - الشيخ محمد بن علي الدكالي السلاوي (المؤلف)

(x) ذكر في دليل مؤرخ المغرب (ج 1 ص 148) منسوباً لابي عبد الله محمد بن عبد القادر الكلالي الشهير بالكرودي المولود سنة 1216 هـ (1801 م) والمتوفى سنة 1268 هـ (1851 م) ، ، ، ويقع الموجود منه في نحو الخمسة عشر كراسة ، يوجد بالخزانة العامة تحت عدد 1554 ، (المغرب)

وهكذا تكلم عن نسب العلويين ثم عن مؤسس الدولة مولاي محمد الشريف وترجم للرجالات الذين ماتوا في عهده ، وانتقل الى ذكر العهود التالية وما تم فيها من أعمال وما سجل من وفيات حتى بلغ ترجمة المولى اسماعيل .
لم يزد ، فيما ذكره من تراجم ، على ما ورد في **نشر الثاني** سواء من حيث الترتيب أو من حيث المضمون ، والمحقق أنه هو الذي نقل عن القادري صاحب **النشر** ، لأنه مؤخر عنه كما سنبينه فيما يلي :

فإن المراجع المذكورة في **الدر المنضد** تتيج لنا أن تقدر أن مؤلف هذا الكتاب كان يعيش في النصف الاول من القرن التاسع عشر الميلادي ، فإن آخر من ذكرهم من أصحاب تلك المراجع هو مؤرخنا أبو القاسم الزياتي ، حيث لم يذكر من بينهم أكنسوس ولو مرة واحدة فأننا نستخلص أن **الدر المنضد** ألف فيما بين 1833 و 1866 م (X) .

إن مقابلة التواريخ تتيج لنا أن نرجح أن مؤلف هذا الكتاب هو أبو عبد الله محمد بن عبد القادر ابن أحمد الكلالي المعروف بالكردودي الادريسي النسب المتوفى بفاس في الحادي عشر من شهر رمضان 1268 هـ (29 يونيو 1852 م) ومهما يكن من أمر فأننا لا نجد في كتاب **الدر المنضد** إلا معلومات مماثلة ، في غالب الاحوال ، لتلك التي في **نزهة الحمادي** و **نشر الثاني** . ولذا لا نرى أي داع لاطالة الكلام عنه (20) .

(20) ألف هذا الكاتب بالإضافة الى تاريخ الدولة العلوية فهرست ، وشرح تصييدة في فائدة القاموس وكذا مقدمة ألفية ابن مالك ، وعن شيوخه أبي الفتح محمد التهامي حمادي الحمادي المتوفى بالرباط في الحادي عشر صفر 1241 هـ ، ، ، ، وتكر صاحب سلوة الانفاس أنه لما توفي دفن خارج باب الفتوح قرب ضريح يوسف الفاسي ، (المؤلف)

أصحاب التراجم

كتب المناقب وتراجم الاسر الشريفة ورجال العلم

بيننا في مستهل هذه الدراسة الاسباب التي أدت بالكتاب ، منذ القرن السادس عشر الميلادي ، الى الاهتمام بالسير والتراجم اهتماما لم يسبق له ، من قبل ، مثيل .

إن الاعتناء بهذا اللون من الآداب بدأ يتجلى منذ أن تربع سلاطين الدولة العلوية الاولون على العرش المغربي ، وذلك في حين أخذ فيه الاقبال على تأليف الكتب المخصصة للتاريخ الصرف يتضاءل ويخمد .

أجل ، فاننا قلما نجد أسرة شريفة أو طائفة صوفية ، وقلما نسمع بشيخ اشتهر بالصلاح أو بالعلم ، لم تسجل أخبارهم في كتاب من كتب التراجم العامة أو الخاصة .

إن هذه الانطلاقة الجديدة في مجال التراجم والسير كان لها عدة أسباب قد تبدو متباينة ولكنها ، في حقيقة الامر منراطة ومتكاملة ، منها الحركات المضادة للغارات المسيحية التوسعية ، وظهور قادة متسمين بالتقوى والصلاح تصدوا للجهاد ومقاومة المعتدين من الكفار ، وكذا ما تجلى ، في الميدان الفكري والروحي ، من نشاط وحيوية ، نتيجة تأثر أعيان علماء ، وأعلام طحام أئقياء ، وزعماء من الاسر الشريفة الاصل الكريمة المنبت .

وتلك المجموعات من كتب التراجم هي التي نود أن نتكلم عنها هنا ، إنها ، والحق يقال لا تستوجب كلها اهتماما ذا بال ، إذ أن بعضها اندثر أثرها فوراً بعد موت أصحابها ، ولم نتمكن من الحصول عليها بعد كثير من البحث والتقصي ، في حين أن أغلب المؤلفات التي لم تحترمها يد الاهمال والضيااع كانت من المراجع الاساسية أن اعتنوا بتدوين التراجم في فترتنا التاريخية هذه .

والجدير بالذكر ، في هذا الصدد ، أن كتاب سلوة الانفاس ، وهو من المخازن الحديثة العهد في مجال التراجم ، أشار الى عدد كبير من المراجع ذلت الشأن في الموضوع ، ولذا يمكننا أن نعتبر تجريدها كافيا لوضع قائمة تكاد تكون شاملة لكل ما يفيد الباحث والدارس في هذا المضمار .

ان هذه « القائمة » قد اعتمد عليها منذ سنوات السيد روني باسي ، وهي التي سنبني عليها أبحاثنا في التراجم المغربية .
ان المراجع المذكورة في مؤلف الشيخ الكتاني قد تبدو قابلة للتصنيف ، اذ منها ما خصص لآخبار صلحاء أفذاذ ، وما اشتمل على مناقب طوائف معينة من الصالحين أو بيوت خاصة من الشرفاء ، ومنها كذلك كتب اعتنى أصحابها بتراجم علماء ذاع صيتهم وسارت بذكرهم الركبان ، أو تراجم رجالات ولكن اختلفت مجالات أعمالهم وتباينت أسباب شهرتهم .

قد يتبادر الى الذهن أنه من المعقول أن نصنف هذه المراجع حسب مواضيعها لتدرس كل مجموعة على حدة ، ولكن هذا التصنيف ليس بلامر اليسير اذ من شأنه ان يؤدي الى التكرار وان يعجز تقييم ما جادت به قريحة كل من الكتاب ، سيما واننا نادرا ما نعثر على مؤلف اعتنى صاحبه بموضوع محدد ، أو اتخذ اطارا قار المعالم لتدوين أخبار فئة خاصة ، أو للتعريف بأسرة معينة ، فان أكثر المؤلفين وصفوا في كتاب واحد مظاهر متنوعة تتعلق بخصائص أشخاص أو بانساب أسر ، أو بمزايا عالم ، أو بمناقب ولي ، فهم في نفس الوقت مؤرخون ومترجمون ونسابون الخ ، ،

وبالإضافة الى ذلك فان بالمغرب أسرا عريقة كالفاسيين والقادريين ، اهتم رجالاتها في فترات متتالية ، ومنذ عدة عصور ، بتحرير التراجم والفهارس ، ومن شأن دراسة عمل كل واحد من أولئك المؤلفين على حدة ، أن يحول دون التقييم السليم والضبط القويم .

لهذا كله آثرنا أن نقبع ، في دراستنا لمختلف كتب التراجم الترتيب الزمني ، معتبرين ، فيما يخص كل مؤلف ، تاريخ حياته ، ومترجمين له بإيجاز وذاكرين بشيء من التفصيل ، خصائص أصحاب المؤلفات ذات القيمة .

أنظرة عابرة على أصحاب التراجم المؤلفة قبل القرن السادس عشر الميلادي

ان أشهر أصحاب المؤلفات المخصصة للتراجم عاشوا في القرن السادس عشر والاحقاب التي تلتها ، ولم يتمثل الشكل الحقيقي لهذا النوع من الكتب الا بظهور **دوحة الناشر** لابن عسكرو ، وبظهور معاجم الاعلام التي اعتكف على تدوينها ابن القاضي ، فالافراني ، فالقادي الخ ، ،

الا ان هؤلاء لم يكونوا هم المبتدعين في هذا المضمار ، لان كتب التراجم عرفت بالمغرب ، وبالمشرق منذ القرون الوسطى ، ومنها نماذج فرضت نفسها واستوجبت الاعتراف بحيرية المعتنقين بها .

فلنلق نظرة عاجلة على بعض ما خلق لنا أولئك السباقون من مؤلفات .

ان أقدمها حسب الظاهر ، هو كتاب **التشوف الى رجال التصوف** فهو يحتوي على تراجم أولياء من الصوفية ينتظمون الى العالم الاسلامي بصفة عامة والى المغرب الأقصى بصفة خاصة ، وقد ألفه عالم من اقليم قادلة ، اسمه أبو الحجاج يوسف بن يحيى بن عيسى بن عبد الرحمان القادلي المعروف بابن الزييات .

كان هذا العالم معاصرا للولي المراكشي أبي العباس السبتي ، وقصد ولي خطة القضاء بئاحية رجاجة حيث توفي ، سنة 627 أو 628 هـ (1129 م) 1130 م) حسب ما أخبرنا به أحمد بابا عن الحضري .

ومن المحتمل أن يكون عالما هذا شفع كتاب **التشوف بكتاب أخير** ضمنه تراجم طائفة من صلحاء المغرب خطوا ، في عصره ، بالتقدير والاحترام (1)

(1) طبع كتاب **التشوف** سنة 1958 م ، وقد اضطلع بتحقيقه وضبط محتواه الاستاذ أدولف نور الذي كان اذ ذاك أستاذا بالمعهد المغربي للدراسات العليا بالرباط (المغرب)

اهتم ، بعد ذلك بسنوات ، بموضوع التصوف عالم آخر من قبيلة ابن الزيات نفسها ، وهو أبو زيد عبد الرحمان بن اسماعيل التادلي ، العمري ، الزمراني ، الصومعي ذالف ، حسبما ورد في سلوة الانفاس ، (ج 3 ص 357) ، كتاب التشوف في معرفة أهل التصوف (2) .

وراج اثر ذلك كتيب خصصه أحمد بن ابراهيم بن أبي محمد صالح لذكر مناقب جد أبيه وأسماء : **المنهاج الواضح في تحقيق كرامات أبي محمد صالح (3)** . ونحن ، ان كنا لا نعرف شيئاً عن المؤلف (4) ، فاننا نعرف أن الولي أبا محمد صالح كان من تلاميذة أبي مدين دفين العباد ، القرية المشرفة على تلمسان (5) ، وأنه توفي في 25 ذي الحجة 631 هـ (20 شتنبر 1234) ودفن برباط مدينة آسفي .

في القرن الثامن الهجري ألف أبو محمد عبد الحق بن اسماعيل بن أحمد بن محمد بن الخضر يوسف البادسي الخزرجي الغرناطي كتاباً في صلحاء الريف عنوانه **المقصد الشريف والمنتزع اللطيف في ذكر صلحاء الريف ولدينا** الآن نسخة خطية منه سجل في آخرها أن البادسي قرأه ، بجامع القرويين ، على الشيخ عبد المهيم بن محمد الخضرمي (6) في شهر ربيع الاول سنة

(2) لم يذكر الاستاذ أدولف نور ، في مقدمة **التشوف** هذا الكتاب ضمن القائمة التي أثبت فيها عناوين المؤلفات التي دونت في موضوع **التصوف** إلا أنه أثبت فيها اسم تادلي آخر وهو أبو العباس أحمد ابن أبي القاسم بن محمد الصومعي التادلي صاحب كتاب **المعري في مناقب الشيخ أبي يعزى**

ورود في دليل المؤرخ (ج 1 ص 257) مايلى :

تشوف الراغبين الى السادات الكرام المتصوفين لابي زيد عبد الرحمان بن اسماعيل بن ابراهيم الصومعي التادلي من رجال القرن التاسع ، ، ، (المغرب) .

(3) ذكر في **دليل المؤرخ** تحت رقم 887 (ج 1 ص 225) مع التصريح بأنه طبع على الحروف بمصر أخيراً (؟) (المغرب).

(4) ترجم له في تاريخ آسفي وما اليه (القسم الثاني ص 4) ومما ورد في الترجمة « هو الشيخ الفقيه الدراكة ، ، ، ولد بثمر الاسكندرية وبها نشأ ، جال في البلاد الشرقية ، ، ، له كتاب **المنهاج الواضح** في مجلد ممتع ، ، ، (المغرب) .

(5) انظر في هذا الشأن مقال المنشور في مجلة **الاصالة** (ع 26 سنة 1975) وعنوانه « ابو مدين القوث دفين تلمسان » (المغرب) .

(6) ورد في **روضة الفسرين** أن عبد المهين الحضرمي كان كاتباً بديوان السلطان المريني ، أبي الحسن ، وأنه توفي بتونس سنة 749 هـ 1349 م (المؤلف) .

722 (20 مارس / 18 ابريل 1322 م) وهذه الاشارة تيسر لنا ضبط تاريخ تأليف **المقصود** (7)

يشتمل **المقصود** على نحو الاربعين ترجمة تتعلق بصلحاء مدفونين بالريف ، ذلك الجزء الشمالي من المغرب ، الذي يمتد ، حسب قول المؤلف ، من سبتة الى تلمسان ، وأكثر أولئك المترجم لهم في **المقصود** لم تذكر أسماءهم بعد ، ويبدو أنهم اليوم دخلوا في طي النسيان وأصبحوا لا يذكرون حتى في القبائل التي ينتسبون اليها ، اللهم الا أبا اسحاق ابراهيم البطل الكبداني والظاهر أن سبب هذا النسيان هو أنهم لم يكونوا يتقنون اللغة العربية وان شهرتهم لم تتجاوز المنطقة التي عاشوا فيها .

هذا وانا لا تتوفر على معلومات كافية عن أبي عبد الله محمد الحضرمي الذي ألف ، في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري ، كتابين ، أحدهما في صلحاء المغرب اسماء **السلسل العذب والمنهل الاحلى** (8) وثانيهما في اعلام مدينة سبتة وعنوانه : **الكوكب الوقاد فيمن حل بسبتة من العلماء والصلحاء** **والعباد** (9) .

(7) نش الاستاذ جورج كولان كتاب **المقصود** الى اللغة الفرنسية، سنة 1926 م ونشره مع مقدمة مفصلة وتعليق مستوعبة في مجلة **المستندات المغربية** واهتم الاستاذ ج ، أحمد عبد السلام البوعياشي بتحليل هذا الكتاب ، التي ما زال مخطوطا وذلك ضمن الجزء الاول من مؤلفه **حرب الريف التحريرية ومراحل النضال ط** ، طنجة سنة 1975 - ص 143 وما بعدها) ، وفي توقع في تقييم هذا المرجع النفيس وتوضيح ما يشتمل عليه من فوائد اجتماعية وثقافية الخ ، تثبت ثقافة الآراء التي كانت للاستاذ ليفي بروفنسال ، (سنة 1921) ، في قيمة مضمون **المقصود** ومؤلفه (المغرب) .

(8) ذكر في **سلسلة الانقاس** (ج 3 ص 358) وعنوانه الكامل : **السلسل العذب والمنهل الاحلى المرفوع للخلافة العزيزية الذي لا تزال مناقبها على مر الدهور تتلى فسي سلك من تحلى سلكهم في الاربعين من الجيل ، ، جيل قاس ومكناسة وسلا ، ونملك نسخة خطية منقولة من نسخة أخرى كانت بخزانة صاحب **سلسلة الانقاس** ، (المؤلف).**

(x) وذكر في **دليل المؤرخ** ، تحت رقم 171 ، باسم **السلسبييل** لابي عبد الله محمد بن أبي بكر عبد المهيمن الحضرمي ،، قدمه لسلطان وقته أبي محمد عبد العزيز بن أبي الحسن المريني المتوفى سنة 774 هـ (1372 م) ،، يقع في نحو الثلاثة كراريس توجد منه نسخة ،، بخزانة القرويين تحت عدد 713 ضمن مجموع ،، (المغرب).

(9) **سلسلة الانقاس** ج 2 ص 298 ، في ترجمة محمد الدريج الانطلسي (المؤلف).

فالسلسل (!) كتيب قدمه ، كما يدل على ذلك عنوانه الكامل ، للسلطان المريفي عبد العزيز بن أبي الحسن الذي ولي الملك سنة 767 هـ (1366 م) وتوفي بتلمسان سنة 774 هـ (1371 م) : ذكر الحضرمي في هذا الكتيب مناقب أربعين صالحا تحلى سلوكهم في الأربعين من جيل فاس ومكناسة وسلا » وقد رتبهم على ثلاث طبقات مخصصا أولاهما لاشهرهم بالفضل والصلاح وعلى رأسهم ولي مدينة سلا ، ابن عاشر ، السخي حظي لمؤلف بمجالسته في زاويته وذلك في فاتح رجب عام 763 هـ (16 أبريل 1362 م) .

وظهر في القرن الثامن الهجري ، كتاب ائمة العينين ونزهة الناظرين في مناقب الاخوين أبي زيد وأبي عبد الله الهزميرين ، لابي عبد الله محمد بن عبد الله بن تحيلات الهزميري المراكشي (10) .

تكلم المؤلف عن مناقب مؤسسي الزاوية الهزميرية الانماقية ، الشيخين أبي زيد وأبي عبد الله ابني الشيخ عبد الكريم الهزميري .

لننا نجهل عنه كل شيء ، وكتابه ككتاب إلبادسي لا يشتمل على فوائده تاريخية ذات شأن ، اذ قسمه الى أبواب عشرين خصص أكثرها لوصف الاولياء وكراماتهم وما نقل ، عن الثقاة المشاركة ، من أقوالهم وأفعالهم . نختم هذه العجالة عن كتب التراجم المؤلفة بالمغرب قبل القرن السادس عشر الميلادي ، بالاشارة الى مؤلف خصص لتدوين أخبار مدينة فاس وعنوانه جني زهرة الآس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس .

اننا لم نقف على هذا المؤلف ، الذي دون بعد كتاب القرطاس ، ويحتوي حسب ما قيل لنا على معلومات جد قيمة تتعلق بتاريخ العاصمة الادريسية العمراني الى نهاية دولة بني مرين . وعلى تراجم لطائفة من الصلحاء والاولياء ومؤلفه ابو الحسن علي الجزنائي (11) .

(10) ذكره صاحب فليس المؤرخ تحت رقم 666 ، وقال : « لخصه في الاعلام في ترجمة أبي عبد الله محمد المذكور » ، (ج 3 ص 182 الى 192 من الطبعة الاولى) (المغرب).

(11) نشر كتاب زهرة الآس في الجزائر سنة 1923 مع ترجمة فرنسية لافريد بيل ، ثم أعيد طبعه بالمطبعة الملكية بلرباط سنة 1387 / 1967 بتحقيق الاستاذ عبد الوهاب بن منصور .

ب - أصحاب التراجم في القرن العاشر

الهجري (1495 - 1592 م)

ابن غازي (12)

في مستهل القرن السادس عشر الميلادي، قضي بمدينة مكناس، أو مكناسة الزيتون، كما كانت تسمى اذ ذاك، أحد أبنائها الافذاذ للقيام بتدوين اخبارها والتعريف باوصافها، وهو فقيه المغرب وعالمه، الذائع الصيت، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني المكناسي مولداً، الفاسي اقباراً. ولد بمكناس سنة 841 هـ (1437 م) في عشيرة تنتسب لبني عثمان أحد بطون قبيلة كتامة الهبطية وكانت استقرت بمكناس منذ عدة أجيال.

تعلم بمسقط رأسه ثم قصد مدينة فاس لاكمال معارفه، فأخذ عن طائفة من الاعلام ذكرهم في فهرسته: **التعلل برسوم الاسناد بعد انتقال أهل المنزل والناد**، وأشهرهم أبو الفرج محمد بن محمد الاموي الفاسي المعروف بالطنجي وأبو عبد الله محمد بن بن قاسم القوري اللخمي الفاسي، وأبو عبد الله محمد بن الحسين الاورابي المعروف بالصغير. وكان ممن اجازه الفقيه التلمساني ابن مرزوق الكفيف المتوفى بتلمسان سنة 901 هـ (1495 - 1496 م) لم يلبث ابن غازي أن أصبح، أعلم أهل عصره، ومبرزاً في كافة المعارف الاسلامية.

لما عاد الى بلده اسفحت اليه الخطابة وتصدر للتدريس الا انه حدث شذآن بينه وبين والي مدينة مكناس، أبي عبد الله محمد الحلو الوطاسي، فرحل الى فاس، عام 891 هـ (1486 م) واستوطنها، فرشح لخطبة فاس الجديد ثم للخطابة والامامة والتدريس بجامع القرويين وتفرّد برئاسة الهيئة العلمية حتى لقب بشيخ الجماعة.

(12) ترجم لابن غازي:

ابن عسك، دوحه الفاشر، 36 - 37، المنجور فهرس، 20 - 21، ابن القاضي جذوة الاقتباس، 203، أحمد بابا، نيل الابتهاج، 359 ابن عيشون الشراط، الروض الماطر الانفاس، 106، الكتاني، سلوة الانفاس، 2: 73-77، محمد السائح المنتخبات العبقريّة، 22، كزيري، (ببليوغرافيا) ص 17، رقم 30 و ص 23 رقم 57، بنشوب، روايات البخاري، 111 رقم رقم 11، الاجازة، ق، 52. انظر أيضاً ترجمة منقولة عن الوئشريس في ص 29 من طبعة فاس (1326) لكتاب الروض الهتون.

وكان يتردد على دروسه ، بجامع القرويين وبمنزله بحي البليدة ، جسم
غفير من أكابر الطلبة ومشاهير العلماء، منهم عبد الواحد من أحمد الوثشريسي،
وأبو العباس أحمد بن محمد من موسى الصنهاجي الدقـون
وأبو الحسن علي بن موسى بن هارون المطغري ، ومحمد شقرون بسن
أحمد بن أبي جمعة المغراوي الوهراني ، وأبو القاسم بن علي بن محمد ابن خجو
الحساني ، وأحمد بابا ، إلخ .

شارك ابن غازي في عدة غارات ضد النصارى وحضر مواقف كثيرة . قال
ابن عسكر ، انه خرج في آخر عمره لقصر كتامة قصد الالتحاق بجيش السلطان
أبي عبد الله محمد الوطاسي الذي كان يحاول إسترجاع ثغر أصيلا من يـد
الكفار ، فمرض ورجع لفاس فلقى في عقبة المساجين ، بحوز فاس ، الشيخ
الولي أبا محمد الغزواني مسلسلا مقيدا ، وكان السلطان الوطاسي إعتقله في
تلك السفارة . فسأله ابن غازي الدعاء ، وانصرف متألما مما فـل بذلك الولي ،
ورأى في ذلك نذيرا بقرب أجله ، فعلا فانه توفي في نفس اليوم بفاس ،
عشية التاسع من جمادى الاولى 919 هـ (13 يـليور 1513 م) ودفن بمقبرة باب
الحمراء في حومة الكفادين ، واحتفل بـجنازته احتفالا عظيما حضره السلطان
ووجوه دولته وجماعة من العلماء والفقهاء والاعيان .

يعد الروض الـهتون من الكتب التي ألفها ابن غازي في العقد الاخير من
حياته ، وهو كتاب صغير الحجم الا أنه مشحون بالاشارات التاريخية
واللمحات الجغرافية والانتوغرافية. فانه وصف فيه « مسقط رأسه ومحل أنسه
موجزا الحديث عن أطواره التاريخية منذ أن كان الرومان مـسيطرين على سهول
تلك الناحية وهضابها ، ومبيناً بوضوح كيف تقلصت أكثر الحارات والقـرى
التي كانت منتشرة في جنوب جبل زرهون لتحل محلها مدينة مكناسة التي
أنشأها الموحدون .

جزأ المؤلف **الـروض** إلى ثلاثة أقسام : الاول لوصف الآثار والغراسات
والانهار والثاني لذكر الاحداث التاريخية، والثالث للتعريف بالرجال .

في القسم الاول يتجلى ما كان لابن غازي من معرفة واسعة بالمعالم والمواقع وان كنا لا نستطيع أن نؤكد ذلك نظرا للحلة الجديدة التي أبرز فيها المولى اسماعيل مدينة مكناس عندما وسع رقعتها وبنى مرافقها ليجعلها عاصمة لملكه .

وفي القسم الثاني أوجز تاريخ مكناس الى عهد بني وطاس ، بيد أنه في القسم الاخير أفادنا بمعلومات لا بأس بها عن اشتهر بمكناس في العصر الوسيط ، من العلماء فذكر لنا مثلاً أبنا عبد الله محمد ابن احمد بن أبي عفيف الذي مات غريقاً قرب اسواحل التونسية ، ووالد جده محمد ابن جابر الغساني صاحب الارجوزة **نزهة الناظر** التي استقى منها نتفا من أخبار مكناس .

وختم ابن غازي كتابه ، بالحديث عن بعض البيوتات المكناسية ، ومنها أسرة الزغابشة التي ينتمي إليها أبو الخطاب سهل بن القاسم بن عبد الله بن حماد بن محمد زغبوش ، وهو صاحب تقييد كان ضمنه بعض أخبار مكناس واستفاد منه ابن غازي ، فنقل منه نصوصاً ، وهذا الذي جعل بعض العلماء من الغرب يعتبرون **الروض** نسخة طبق الاصل من التقييد المذكور محتجين بما يمتاز به أسلوب **الروض** من بساطة ، خلافا لما اتسمت به ، في هذا الشأن ، كتب ابن غازي الاخرى ، ولكن من اللازم أن نتحفظ في اطلاق هذا الحكم : فان الموضوع المطروق في **الروض** يستوجب الوضوح والسلاسة في الانشاء ، وهذه السمة المميزة لاسلوب هذا النوع من التأليف لا تسمح لنا بتحديد عمل كل من ابن غازي وابن زغبوش .

ومهما يكن من أمر فان **الروض** يضم قدراً لا يستهان به من الفوائد التي لم نتعود العثور عليها في المؤلفات المغربية التي طرقت فيها نفس المواضيع .

هذا وان الابيات الشعرية القليلة المستشهد بها في **الروض** ، تضيفي عليه لونا من الطرافة يستحسنه حتى القراء الغربيون ، فانهم مثلاً لا يستنكفون

من تحبيذ مضمون البيت المذكور في القصيدة المنسوبة للسان الدين بن الخطيب
والذي شبه فيه جبل زرهون ، ببربري اختفى في غابة من التين والزيتون
وذلك حيث قال :

جبل تصاحكت البروق في جـوه و جرت عذاب مياهه بعيون
لغافها هو ببربري نافذ في لوحه ، والتين والزيتون
وأيا كان المؤلف الحقيقي للروض الهتون فإنا نرى من العـدل
لستنكار الحكم القاسي الذي سجله الاستاذ هوداس في شأن هذا الكتاب
وذلك بمناسبة نقله قسطا منه إلى اللغة الفرنسية .

ان فهرست ابن غلازي الذي أسماه بالفتل والذي أتمه يوم الجمعة 18
رجب 896 هـ (28 مايو 1491 م) يشتمل أيضا على تراجم لتسويقه ووصف ما
كان لهم من قدر في ميداني التدريس والتأليف ، فهو خلاصة للإجازات التي
حظي بها ، وقد ختمها بثبت للكتب التي دونها (13) .

ان دراسة محتوى هذا الفهرست ، وكذا فهرسة الشيخ المنجور أمر
حنفي لمن يريد في المستقبل أن يشرع في وضع قاموس مشاهير المغرب
الاقصي (×) .

18) واليك أسماء تلك الكتب ، مرتبة حسب تاريخ تدوينها (وقد حقت أسماءها عن
الانحاف ج 4 ص 9)

1) انشاد الشريد من ضوال القصيد (تكلم فيه عن الشاطبية)

2) منية الحساب

3) شرحها المسمى بنية الطلاب (4) امتاع ذوي الاستحقاق ببعض مراد الرازي وزوائد أبي
اسحاق (حاشية الفية ابن مالك) (5) الجامع المستوفى بجداول الحوفي ، (6) تحرير المقالة
في نظائر الرسالة ، (7) تفصيل عقد الدرر - (8) امداد بحر القصيد ببكري أهل التوليد
(ذيل للخرجية) - (9) ايناس الإقعاد والتعريد (عن الانحاف) وفي التعليق : ايناس الاقصاد
والتعريد .

والتعريد - (10) المسائل الحسان المرفوع الى حبر فاس والجزائر وتكلمسان ، (11) نظم فواصل
المقال - (12) شرحه ، (13) التعلل - (14) الروض الهتون ، (15) شغل الغليل في حمل مقفل
خليلا ، (16) تكميل التقييد وتحليل التعقيد على المدونة وللمؤلف كتب أخرى ورد ذكرها في
المراجع المترجم له فيها وهي : (17) حل مشكل كلام ابن عرفة في مختصره ، (18) نظم مشكلات
الرسالة (19) حاشية على البخاري ، (20) المطلب الكلي في محادثة الامام القلي ، (21) نظم مراحل
الحجاز - (22) شرحه - (23) ارشاد الحبيب الى مقاصد حديث الحبيب - (24) اسعاف السائل
في تحرير المقاتيل - (25) الدلائل - (26) كليات (في مسائل تتعلق بالفقه المالكي) - (27)
أرجوزة (في قراءة القراءة)

(×) لقد استفدت كثيرا من ترجمة هذا الفصل من كتاب الانحاف ومن كتاب الروض الهتون
الذي حققه واشرف على طبعه ، بالمطبعة الملكية، سنة 1964 م مؤرخ المملكة الاستاذ عبد الوهاب
بن منصور .

أبن عسكر (14)

يعتبر كتاب **دوحة الناصر** (15) (X) من الكتب الواجب وضعها في
طليعة قائمة المؤلفات المخصصة لمناقب الاولياء والصالحين .

إن مؤلف ، أبا عبد الله محمد بن علي بن عمر بن حسين بن مصباح ،
المشهور بابن عسكر ، لم يتحر فيه ذلك النوع من الاستيعاب الذي اتسمت به
أكثر مؤلفات من اقتفوا أثره في هذا المجال ، إلا أنه كان أول من شفع وصف
مناقب الاولياء الذين ذكرهم في كتابه ، بمعلومات تتعلق بسلوكهم في الحياة
الدنيا .

ينتمي ابن عسكر الى أسرة ادريسية ، اذ كان أحد أجداده ، عسكر بن
خالد بن عمر بن ادريس ، من حفدة مؤسس حاضرة فاس ، وكانت أمه ، عائشة
بنت أحمد ، من نفس السلالة الشريفة ، وكانت ، بالإضافة الى ذلك ، من أهل
الخير والصلاح (16) .

إننا لا نعرف عن حياة ابن عسكر إلا ما ذكره عن نفسه في **الدوحة** أنه
ولد سنة 936 هـ ، (1529 / 1530 م) بشفشاون ، وهي ذلك الحصن الحصين ،
الرابض وسط جبال شمال المغرب الشامخة والذي اشتهر أبطاله بغاراتهم على
معقل الكفار الساحلية .

من المحقق أن ابن عسكر شب وقلبه مفعم بأشد الكراهية لعبدة إصليب ،
نظرا لكونه ربي في رباط كانت تتوارد عليه من جميع أطراف البلاد الافواج تلو
الافواج من المجاهدين ، ولأن أباه ذاق آلام الاسر ، اذ وقع في أيدي الأعداء
وسيق الى طنجة حيث قضى مدة في غياهب « مطمورة » مظلمة (17) .

14) ترجم لابن عسكر :
الافرائي ، **نزهة الحاني** ، 76 ، الناصري ، **الاستقصا** ، 3 : 38 بروكلمان ،
الادب العربي ، 2 : 455 هامش 1 ، باصي ، (بيبليوغرافيا) ص 32 رقم 85 ، كوديرا ،
(ليبروس) ، 372 - 373 ، ط ، وير ، **شيوخ المغرب** . 295 - 296 ومواضع متفرقة
أخرى ، هيوارت ، **الادب العربي** ، 384 .

15) طبعت **الدوحة** بفاس سنة 1309 ، وحورها
الانجليزية ، ونقلها الى اللغة الفرنسية الاستاذ دكرول سنة 1913
(المؤلف) (X) وقد طبع سنة 1396 / 1976 بتحقيق الاستاذ محمد حجي (المغرب) .
16) ابن عسكر **الدوحة** ص 19 - 29 ومحمد المهدي الفاسي **ممتع الاسماع** ، ص 91
- 92 - (المؤلف)

تعلم في مسقط رأسه ثم تجول في ناحية « جبالة » متنقلا من قبيلة الى أخرى ، وهكذا زار عدة مرات ، بجبل بني حسان من بلاد غمارة ، الزاهد أبا القاسم ابن خجو (18) وصحب ، ببني زروال الشيخ عبد الوارث اليطوتي (19) وبتفروت الشيخ أبا القاسم الحساني (20) وبتطوان ، عام 964 هـ ، القاضي محمد الكراسي (21) .

كان يقطع الاوعار والاهاد ممتطيا نعليه ، يعاشر كل من يتعرف عليه خلال رحلته وكثيرا ما كان يبيت في المساجد القروية .

في سنة 967 (22) قضى مدة قصيرة بفاس ، ولم يلق عصا التسيار الا سنة 967 هـ (1559 - 1560 م) عندما عينه السلطان مولاي عبد الله الغالب بالله قاضيا ومفتيا بمدينة قصر كمامة (القصر الكبير) وناحيتها الساحلية (23) .

عناك التحقت به والدته وكانت غادرت شفشاون اثر نزاع احدثم بينها وبين قائدها ، محمد بن راشد .

وبعد وفاتها في الثاني عشر من ذي القعدة 969 هـ (14 يوليوز 1562 م) (24) رحل ابن عسكر قاصدا جنوب المغرب ، فشق ناحية تامسنا ، وزار البريجة (الجديدة) ثم مراكش حيث مكث ستة أشهر كارعا من حوض علم التصوف ، ثم توجه نحو فاس وهناك استقفا ، بجامع القرويين ، من دروس العالم أبي عبد الله محمد بن عمر المختاري .

18) الدوحة ص 13

19) الدوحة ص 5

20) الدوحة ص 17

21) الدوحة

ص 17 (وقد ترجم له الاستاذ عبد الوهاب ابن منصور أرجوزته عروسة المسائل فيما لبني وطاس من الفضائل مع حواش جد مفيدة) المطبعة الملكية 1383 (1963 م) (المغرب)

22) الدوحة (ص 47)

23) الدوحة (ص 22)

24) ذكر في موقع الاسماع ص 91 أنها ، دفنت خارج باب سبقة ، وقبرها هناك

مشهور والفاس يستشفون بترابه (المغرب) .

وفي سنة 975 هـ (1567 - 1568 م) ولاء السلطان القضاء بشفشاون
وترغة وقبيلة غمارة مع الإقامة بمسقط رأسه . استقر مدة بمركز وظيفت
ثم ذهب الى زحجوكه بقبيلة رهوفة الا أنه لم يلبث أن لقي بعض المضايقات
فاضطر الى توديع شفشاون متوجها نحو العاصمة الادريسية ولما وصلها حط
الرحل بحي الطالعة .

اثر موت السلطان مولاي عبد الله رشحه خلقه . محمد « السلوخ »
للاشراف على القضاء ولكن لما انلزم « السلوخ » أمام عبد الملك المعتصم بالله
ابن محمد الشيخ لم يرد أن يخذله ، بل رافقه الى الجزيرة الاسبانية وعاد
وأياه في اذيال الجيوش البرتغالية التي عبرت البحر للاستيلاء على الاراضي
المغربية ، فلقى حتفه في معركة وادي المخازن ووجد بين جيف النصارى طريقا
على شماله ومستديرا للقلبة ، فلمز بالكفر الا أن ولد شيخه أبي محمد عبد
الله اهبطي اعتذر عنه بأبيات منها :

وان يكن أتى لفتب ظاهر

فقلبه عن الشكوك طاهر

وهو بشيخه الزكي معتصم

وحبله من حبله لم ينفصم

رأيت في النوم ذا بشارة

وهيئة حسنة وشارة (25)

يستخلص من هذا العرض السريع ان ابن عسكر عاش عيشة غريبة
الاطوار . أما كتابه **دوحة الناشر لحاسن من كان بالمغرب من مشايخ**
القرن العاشر فانه متوسط الحجم الا أنه يتسم بسمه قوية من الاصاله .
يتضح من عنوانه ان ابن عسكر خصصه لتسجيل مناقب من كان بمغرب
القرن العاشر الهجري من مشايخ .

(25) عن كتاب الاعلام للقاضي عباس بن ابراهيم المراكشي (ج 4 ص 175 - الطبعا

الاولى) (المغرب) .

ان الاعلام الذين ترجم لهم لم يكونوا كلهم علماء ولكن كانوا كلهم من أهل الصلاح والبركة ومن التابعين لطريقة الشيخ محمد بن سليمان الجزولي ، صاحب الشيخ القطب أبي الحسن الشاذلي : ويعد ابن عسكر ، في هذا الصدد المؤرخ الاول للحركة الجزولية بالمغرب .

ليس من أغراضنا هنا ان ندرس تطورات المدرسة الجزولية ولا ما تفرع عنها من طوائف صوفية منذ أن زرع بذورها الامام أبو الحسن الشاذلي تلميذ القطب الشهير ، مولاي عبد السلام بن مشيش .

نعم فان تاريخ الطوائف الصوفية المغربية ما زال محاطا بكثير من الغموض ، ودراسته ما زالت متوقفة على تقصي النصوص وعلى فحص مستوعب للوثائق المحفوظة في مختلف المستودعات .

فالكتاب الذين تكلموا عن تلك الطوائف اهتموا قبل كل شيء بوصف ما كان لأكابر رجالها ، وبالأخص الجزوليين منهم والقادريين من نفوذ ومسا أبدوه من مساندة لهذه الاسرة الحاكمة أو لتلك .

فهم اذن فعلوا ذلك بصفاتهم مؤرخين . ونحن لن نخرج بهم ، في دراستنا هذه ، عن ميدان التاريخ السياسي ، ولذا لن نتعرض لتقييم مؤلفاتهم بصفته مصادر لتأريخ التصوف المغربي الذي هو في واقع الامر منبثق عن التصوف الشرقي .

خصص ابن عسكر كتاب **الدوحة** لذكر مناقب مشائخ ينتسبون للطريقة الجزولية الا أنه أسبغ عليها حلة أصيلة أكسبتها كثيرا من الحيوية . انه ، باقتصاره على تراجم مشائخ القرن العاشر الهجري ، جعل لمؤلفه اطارا زمنيا واضح المعالم ، ويبدو أنه رتب كذلك تلك التراجم حسب المناطق الجغرافية بادئا بمن نشؤوا أو دفنوا بالشمال المغربي بل بفاحية « جبالة » حيث ولد القطبان مولاي عبد السلام بن مشيش وأبو الحسن الشاذلي ، وحيث تغذى هو نفسه قسطا من حياته .

أننا لا نجد في الدوحة الا نورا قليلا من المعلومات التاريخية ذات الطابع السياسي الصرف ، يمكن أن نعتبرها فلتات قلم ، والظاهر أن ابن عسكر لم يذكر بعض التفاصيل عن نشاط الملوك السعديين الاولين الذين عاصروهم (26) الا ليشير الى مساوئهم، ويسجل « الرشقات اللسانية » التي كان يوجهها اليهم المجاذيب من حين لآخر ، وهذه الظاهرة تثبت لنا أنه ، لما شرع في تأليف كتابه لم تكن سلطة السعديين قد استتبت بعد ، وإن ضالة نفوذهم يومئذ هي التي أتاحت له ان يرخي العنان لقلمه لابتداء معاييبهم وبالخصوص معاييب أبي عبد الله محمد لاشيخ ، أخذ عليه « اضطهاده للزوايا » (27) .

ان الإشارات التاريخية التي يمكن استخلاصها من كتاب ابن عسكر ليس لها الا قيمة نسبية ، لأنها لا تنقسم بالدقة من حيث ظروفها الزمانية والمكانية . فهو مثلا عاش بقطوان مدة ومع ذلك نلاحظ انه لم يحدد اسم مسجد كان لقي قربه أحد المشايخ، بل اكتفى بان قال « مسجد بشرق المدينة » (28) كما نلاحظ أنه لم يكن يرى بأسا في عدم ضبط تواريخ الوفيات وقد اعترف هو نفسه عرضا وفي الفقرات الاخيرة من كتابه، بقلة أهمية ذلك الضبط حيث قال : « وقولي في ترجمة كل واحد انه توفي في العشرة الفلافية فلم أقل في السنة ولا في الشهر لعدم التحقيق بتعيين اليوم والشهر والسنة ولعدم الاعتناء وفقد المعتقين » (29) الا أنه لم يشاركه في هذا الرأي أحد من المؤلفين الذين جاؤوا من بعده .

(26) انه مثلا تكلم في الدوحة (ص 69) عن السفارة التي وجهها السلطان مولاي عبد الله الغالب بالله ، سنة 980 هـ لسلطان تركيا ، وفي ص 77 ، بمناسبة ترجمته لمفتي مراكش ، تكلم ، بایجاز عن اغتيال السلطان محمد الشیخ ، قرب جبل درن في طريق تارودانت (المؤلف) .

(27) الدوحة ص 64

(28) الدوحة ص 35

(29) الدوحة ص 91.

قال ابن عسكر في فقرة من **الدوحة** انه ألف كتابه في أواسط العقـد
التاسع من القرن العاشر ، أي حوالي سنة 985 هـ وكان اذ ذاك بفاس ، ونحن
نعرف أنه لقي حتفه في السنة التالية وهو في صفوف أعداء بلاده .

ماذا كان موقف العلماء بالنسبة **للدوحة** ؟ يبدو أن سو خاتمة صاحبه
لم يحل دون تقدير ذلك العمل الفكري ، وهو ، في الجملة ، جدير بالتقدير
لخلوه من شوائب الادعاء وحب الظهور .

انه يحتوي على تراجم رجال سرعان ما أسدلت عليهم حجب النسيان ،
غير أنه من البين أن ابن عسكر تكلم عن محاسنهم بصدق وبنية خالصة ووصف
كرلماتهم وصفه من عاينها واستفاد من بركاتها وآمن بفعاليتها
وهذا لإيمان الذي لا يمازجه أي رياء هو الذي يجعلنا
نتساءل لماذا لم تحفظه من همزات الشيطان المرید الذي أغواه وساقه نحو
نهاية مؤلمة ؟ (X) .

(X) ان مثل هذه السخرية الرخيصة لا تليق باستاد يدعي النزاهة ولا سيما في حق
رجل اعتبره هو من ذوي النية الخالصة (المرعب)

كتب التراجم المؤلفة

في القرن الحادي عشر الهجري (1592 - 1689 م)



عبد الواحد السجلماسي (1)

هو الشريف الحسن بن العلوي النسب، الفلالي المنشأ ، عبد الواحد بن أحمد ابن محمد السجلماسي .

كان من جهابذة أهل الحديث في عصره ، وولى الكتابة في ديوان الوزير السعدي ، أبي عبد الله محمد بن عبد القادر بن محمد الشيخ ، إلا أنه ما عثم أن اعتزل الكتابة للتدريس في جامع الشرفاء بمراكش وللخطابة والافتاء أخذ العلم بقاس عن الشيخ الصالح أبي نعيم رضوان الجنوي الفاسي ، وعن المنجور ، أجازة مراسلة عدة علماء شرقيين ، منهم العالم القاهري الجليل ابراهيم العلقمي والفقير المالكي المصري محمد بن محمد محب الدين الفيشي . وأجاز هو المؤرخ ابن القاضي .

حضر المجالس الادبية التي كانت تقام بمحضر السلطان أحمد المنصور ، وشاررك لديه ، في مساجلات ومناظرات فحظي بالتقدير والتكريم .

ذكر أشياخه في فهرس سماه الالهام ببعض من لقيته من علماء الاسلام وتوفي بمراكش يوم الخميس 25 رجب 1003 هـ (5 ابريل 1595) فدفن قرب ضريح القاضي عياض (2) .

(1) ترجم له ابن القاضي في جفوة الاقتباس (ص 270) ومحمد العربي الفاسي في مـرآة المعاسن (ص 186) والامرائي في صفوة ما انتشر (ص 41 - 42) ، والقادي في نشر الثاني (ج 1 ص 14) وفي التقاط الدرر (كراسة 2) وابن الوقت في السعادة الابدية (ج 1 ص 75) ، وابن شنب في الاجازة فقرة 313 (المؤلف) .

(2) له ايضا حاشية على شرح المرادي على الفية ابن مالك ، و شرح على مقصورة الكوني ، وعدة قصائد في مدح أبي العباس أحمد المنصور (المؤلف) .

الصومعي التادلي (3)

تكلم صاحب التشوف بشيء من الاسهاب عن الولي الصالح أبي يعزى المتوفى سنة 572 هـ (1177 م) والمدفون بتاغية ، في منتصف الطريق التي بين الرباط وقصبة تادلا : وقد ارتفع صيت ذلك الولي الى حد أن الكاتب لـيون الافريقي ردد في كتابه وصف افريقييا أصداءه ، مستفيدا من الترجمة التي خصصها له ابن الزيات (4) .

تناول كاتب آخر ، تادلي النسب أيضا ، الكلام عن مناقب دفين تاغية، فخصص له كتابا كاملا توجد نسخة خطية منه بالمكتبة العامة (رقم 387) وعنوانه الكتاب المعزى في مناقب أبي يعزى .

وصاحب هذا الكتاب هو أبو العباس أحمد بن أبي القاسم بن محمد بن سالم بن عبد العزيز الشعبي الهواري الصومعي التادلي المولود حوالي سنة 920 هـ (1514 م) .

كان متبحرا في العلوم الإسلامية ، وله قدم راسخة في «طريق القوم علما وعملا» . أسس ببلدته ، الصومعة ، «زاوية» انقطع فيها لانواع الطاعات . لما انتظم الامر لالسلطان أحمد المنصور افتدبه للتدريس في جامع الكتبيين بهراكش ، فترك بعض بنيه بالزاوية وتفرغ للوعظ والاقراء ، وقد استجاره عدد من العلماء ، منهم أبو العباس أحمد المقرئ صاحب فصح الطيب (5) .

ألف أكثر من ستين كتابا ورد أسماء بعضها في نشر الثاني (ج 1 ص 86 و 87) ، وكان مولعا باقتناء المؤلفات وجمعها في خزائنه التي كان يضرب المثل بكثرة محتوياتها .

(3) ترجم له اليوسي في المحاضرات (ص 104) والقادي في نشر الثاني (ج 1 ص 84 وفي النقاط الضرر (كراسة 4) وباصي في الابحاث الجبلوغرافية ص 20 رقم 48 (المؤلف)

(4) انظر كتاب ماسينيون المغرب في السنوات الاولى من القرن السادس عشر (ص 97) (المؤلف).

(5) ذكره في كتابه ، روضة الآس العاطرة الانفسان في ذكر من لقيته من اعلام الحضرتين براكش وفاس (المطبعة الملكية سنة 1964 م) (المغرب) .

توفي بمسقط رأسه في الايام الاولى من ربيع الاول 1013 هـ (آخر يوليوز

1604)

انتهى من تأليف كتابه المعزى في 9 شوال عام 1000 (19 يوليوز 1592 م) وقد ضمنه سبعة فصول متفاوتة في الطول، تكلم فيها عن نسب أبي يعزى وعن حياته ومناقبه وأتباعه ، وقد استفاد من هذا الكتاب مترجمون جاؤوا بعده مثل الافرائي والكتاني (6) .



الفاسيون الاولون

ضرب ابن عسكر صفحا عن ذكر شيخ من أشهر شيوخ الطريقة الجزولية، وهو أبو المحاسن الفاسي (7) ويبدو أن ذلك الاغفال المتعمد ناتج عما يكون قد وقع بين الرجلين من وحشية .



أبو المحاسن يوسف الفاسي

أجل فان أبا المحاسن يوسف بن محمد بن يوسف الفهري الاندلسي القصري الفاسي كان من أشهر الأئمة في العلمين ، الظاهر والباطن ، وليس أدل على ذلك من وفرة الكتاب الذين اعتنوا بالكلام عما امتاز به من مواهب وخصائص، وهو أحد جلود أسرة من أعرق أسر حاضرة فاس وأمضاها نفوذاً ، أمدت المغرب ، منذ القرن السادس عشر الميلادي بعدد عظيم من العلماء والقضاة ورجال السياسة .

أبو المحاسن أندلسي الاصل ، ينتمي الى أسرة بني الجد الفهرية .

هاجر آل الفاسي ، حوالي سنة 880 (1485 م) من مدينة مالقة

موطنهم بالاندلس ، والتحقوا بفاس .

(6) الصفوة ص 228 و السلسلة ج 3 ص 259 (المؤلف).

(7) لاحظ ذلك كرول عندما ترجم دوحة الفاشر الى الفرنسية (المؤلف).

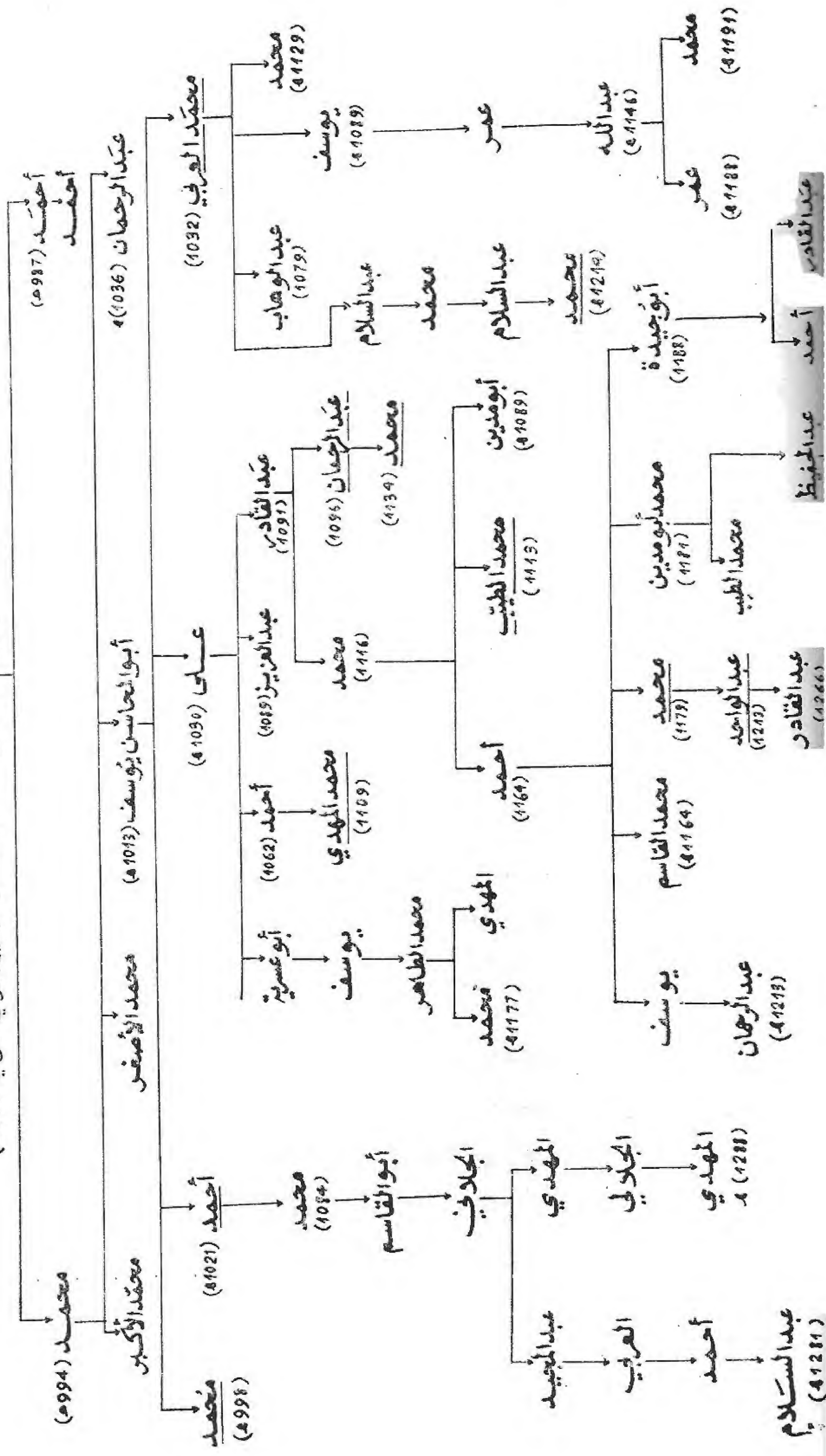
بسم الله الرحمن الرحيم

وَضَعُ خَطَّيْهِ اسْمَاءُ امْرَأَتِ ابْنِ مَرْجَانٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عبد الرحمان : (جاء من الاندلس لفاس ، توفي : 887هـ)

أبو الخجاج يوسف: (القصر الكبير؛ توفي حوالي 920 هـ)



في تلك السنة أوردى الطاعون بأخوين لابي الحجاج يوسف ، جد أبي المحاسن فغادر العاصمة الادريسية واستوطن القصر الكبير ليشتغل بالتجارة، وهناك أصبح معروفا بالفاسي .

كانت مدينة القصر عهدئذ مركزا هاما للتبادل التجاري نظرا لكونها من تغور المغرب الاسلامي ولقربها من البلدان الساحلية التي كانت بيد النصارى . ولد أبو المحاسن بالقصر سنة 938 هـ (1540 - 1541 م) ولما بلغ سن الطلب أخذ يتردد على فاس للجلوس في حلقات العلم ، وفي سنة 988 هـ (1580 م) استوطن فاسا بصفة نهائية ، وأسس بحي القلبيين ، قرب «رأس الجنان» زاوية تعرف الآن بزاوية سيدي عبد القادر الفاسي ، ويخبرنا صاحب نزهة الحادي (ص 75 من 6 ط هودايس أنه شارك في معركة وادي المخان في صفوف المسلمين 986 (1518) .

توفي في 18 ربيع الاول 1013 هـ (14 غشت 1604 م) ودفن في المقبرة التي خارج باب الفتوح .



أحمد الفاسي

كان لابي يوسف ، يوم وفاته ، ثلاثة أبناء ، كان اثنان منهما خير خلف لخير سلف ، أولهما أبو العباس أحمد المولود بالقصر الكبير في السادس من ذي الحجة 971 هـ (15 يوليوز 1564 م) حفظ القرآن الكريم في الختمة الاولى ، ثم حفظ عن ظهر القلب صحيحي البخاري ومسلم ، فلقب بالحنافظ ، رحل الى فاس ، صحبة عمه ، فأخذ عن علماء أجلاء كالمحقق أبي عبد الله محمد بن يوسف الزياتي ، والشيخ الامام أبي زكرياء يحيى السراج ، وقاضي الجماعة ، الشيخ الامام أبي العباس أحمد المنجور، وقاضي الجماعة أبي مالك عبد الواحد الحميدي ، والشيخ العلامة ابن القاسم بن سودة المري ولازم أخيرا الشيخ أبا عبد الله ابن قاسم القصار الذي أجازة في « جميع ما يصح له وعنه روايته » .

وأخذ عن والده التصوف ، فأشرقته عليه أنوار اليقين « وعن أبي بكر
الدلائي بزاويته ، وكان ، طول حياته ، حسن السمات ، مستقيم السلوك ،
لا يخاف في الحق لومة لائم ، بحيث إنه لما فاوض السلطان ، الشيخ ابن
المنصور ، علماء فاس في قضية ثغر العرائش حين أراد تسليمه للأسبـان
وكان هو من جملتهم ، أثر الرحيل عن مدينة فاس ، فارا بنفسه من الفتنة
وتوجه ، مع أسرته ، نحو مدينة القصر الكبير ، فالتجأ إلى جبل أبي زيري ،
بقبيلة مصمودة ، ووافاه الاجل المحتوم بذلك المهجر في 21 ربيع الثاني
1021 هـ (21 يـيه 1612 م) فدفن هناك

ألف الشيخ أحمد الفاسي عدة كتب ، ذكرها أخوه الشيخ أبو عبد الله
محمد العربي في فهرسة خصصها له ، ومن تلك الكتب ، شرح المشريشية
في السلوك ، و شرح العمدة لعبد الغني المقدسي في الأحكام ، وحاشية على
صغرى السنوسي ، و الدرر الحسان في الكلام على ليلة النصف من شعبان ،
وشرح في حاشية شرح مسلم ، الا اننا لا نرى ، من بين تلك المؤلفات المنح
الشافية في الاسانيد اليوسفية (8) وتوجد النسخة الاصلية منه في خزانة
أحد الخواص بفاس ، وذلك التأليف عبارة عن ترجمة والده أبي المحاسن ،
وضمنها سلسلة شيوخه في التصوف ، وقد استفاد منه صاحب سلوة الانفاس
ناسبا آياه الى أحمد الفاسي (ج 3 ص 360 ، سطرا 2) .

(8) ذكر هذا الكتاب صاحب دليل المؤرخ (رغم 1229) تحت عنوان : المنح الشافية بالاسانيد
اليوسفية مبينا أنه يقع في نحو ثلاثة كرايس وتوجد نسخة منه بالخزانة الفاسية (المغرب)

أبو حامد محمد العربي الفاسي

والابن الآخر المشهور من أبناء أبي المحاسن يوسف ، هو أبو عبد الله
أبو حامد محمد العربي ، .

ولد بفاس في 6 شوال 988 هـ (14 نومبر 1580) ، وقد تفرغ هو كذلك
لطلب العلم ، وكان من جملة شيوخه ، والده وأخوه أحمد السالف الذكر ،
وعمه العارف الفاسي ، والشيخ القصار ، والشيخ أبو الطيب الزياتي ،
والشيخ أحمد الزياتي ، والقاضي الحميدي ، والعالم يحيى السراج ، والشيخ
أبو الحسن علي بن عمران ، والشيخ أبو عبد الله المري (من الميريا) .

وكان فقيها متضلعا في الشريعة والعلوم العربية أخذ عنه عدد وافر من
الطلبة منهم أبناءه الأربعة وابن أخيه عبد القادر الفاسي .

خرج من فاس مقتديا بأخيه ، وتجول في جميع أنحاء المغرب ثم استقر
بتطوان فلم ينشب أن فاجأه حماه في 14 ربيع الثاني 1052 هـ (12 يوليوز
1642 م) وبعد سنتين من وفاته ، نقل جثمانه الى فاس ودفن بجانب ضريح
أبيه في مقبرة باب الفتوح .

ألف **مرامد المعتمد في مقاصد المعتمد وتلقيح الازهوان**
بتنقيح البرهان والطالع المشرق من أفق المنطق ، و **أرجوزة في**
النحو على غرار الآجرومية ، و **عقد الدرر في نظم نخبات الفكر و شرحه**
وقصيدة في الذكاة وشرح الشقراطية ، و **التأليف في أحكام اللغيف** ، و **انظام**
في فنون علمية .

ومن المؤلفات التي مات دون اتمامها **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ**
أبي المحاسن وهو يشتمل على أقسام ثلاثة ، الاول خاص بالشيخ ، والثاني
أدويه وبأجداده وأحفاده ، والثالث بأصحابه . وهكذا نرى أبا عبد الله محمد
عربي الفاسي يفتل الينا ، بكيفية مفصلة الاحداث التي واكبت حياة ابيه ، ثم
يتعرض لأخبار كل من تربطه وشيخة بالشيخ أبي المحاسن . ولهذا كله تعد
المرآة من أفيد المظان للتراجم . فانها تطلعنا على ما كان يجري حول مؤسس

الزاوية الجزولية الجديدة من نشاطات في المجالات العلمية والروحية ، وما كلن يقوم به العلماء المنتسبون اليها من رحلات وأسفار للجلوس بين أيدي العلماء المعتبرين ، وأعلام التصوف المشهورين .

فإن **سـرّاة** تعكس بعض الظلال السياسية من العهد السعودي ، ولا سيما ما وقع ، بعد موت أحمد المنصور من اصطدامات بين خلفائه وبين الطوائف الدينية ذات النفوذ ، ولذا كان ذلك المؤلف من أهم المصادر لصاحب **تـرّهة الحادي وللقادري في حوارياته** إذ يوجد بها ، بالإضافة الى النص الكامل لحزب الشاذلي ، المعروف بالحزب الكبير ، ولندعوات المشيشية ، معلومات عن وضعية الماربيين في مساجد فاس ، وأخبار مفصلة شيئاً ما عن معركة وادي المخازن ، وعن الفتن التي انفجرت بفاس في بداية القرن السابع عشر الميلادي ، وكذا تاريخ مجمل لمدينة القصر الكبير .

ومن جهة أخرى فإن **السـرّاة** تشتمل على فهرسة المؤلف محمد العربي الفاسي ، فهي اذن مظنة لاخبار وافرة عن عدة مشايخ من الاسرة الفاسية وبوجه خاص ، عن الشيخ أبي المحاسن ومركزه العلمي والاجتماعي .

لذلك فإن الكثير ممن ترجموا للمؤلف ذكروا أن محتوى كتاب **السـرّاة** المتداول الآن ليس الا جزءاً ضئيلاً من المؤلف الذي كان عزم على تدوينه .

وكيفما كان الامر فإن كلا من **السـرّاة** ومن الكتاب الضائع الذي ألفه ، حسبما أشرنا اليه قبل ، أبو العباس أحمد الفاسي ، يعد خاتمة الكتب ، وهي جد طويلة ، التي ألفها أفراد من العائلة الفاسية ، وحتى أدباء لا ينتسبون اليها ، وتخص مؤسس للزاوية الشاذلية بفاس .

والسـرّاة تعتبر أكثر تلك الكتب فائدة ، علي الأقل بالنسبة اليها .

ابن القاضي بصفته مترجما

سبق لنا أن تكلمنا عن المُنْتَقَى الْمُقْصُور على مآثر خلافة المنصور وبيننا قيمته التاريخية الضئيلة بالنسبة لإنشاء الدولة السعدية ، إلا أننا نعتبر كتابيه **درة الحجال و جذوة الاقتباس** المخصصين للتراجم ، أعظم فائدة وأغزر نفعا (9).

فكتاب **درة الحجال في أسماء الرجال** يحتوي على تراجم لمشاهير من المغرب ومن الشرق ، كأن ابن القاضي أراد أن يجعل منه تكملة **لوقيات الأعيان** ، وقد استفاد لهذا الغرض من المعلومات التي حصل عليها أثناء زيارته لمصر والجزيرة العربية .

بدأ تحرير هذا الكتاب في شهر رجب سنة 999 هـ (25 أبريل 1591 م) ولم يفرغ منه إلا بعد عدة سنوات .

إنه مرجع لا يستغنى عنه حتى في عهدنا الحالي وإننا لنأمل أن يعتنى بطبعه ولو بالمطبعة الحجرية (10) إلا أن أهميته ، فيما يخص تاريخ المغرب السياسي منه والأدبي ، لا تعادل أهمية كتاب ابن القاضي الآخر **الخصائص** بمشاهير المغرب .

أجل فإن جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس ، حسب المفهوم من عنوانه ، مخصص لتراجم أعلام العاصمة الإدريسية .

كتبه ابن القاضي بمراكش ، قاعدة الدولة السعدية التي طالما تغنى بمحاسنها من غير أن ينسى أن مدينة فاس ، مسقط رأسه ، لم تبرح مركزا عظيما للعلوم الإسلامية بالمغرب ، والظاهر أنه عزم ، وهو بعيد عنها على تدوين **الجذوة** للإشادة بفضائلها ، والتقوية بمفاخرها .

(9) لابن القاضي ثلاثة كتب أخرى صغيرة في التراجم هي : **نقطة الفرائد من لفاظه حلو الفوائد** ، (تنمة لوفيات ابن قنفذ القسنطيني) و **منظومة أعضاء المنظومة** ابن الخطيب رقم **الحلل** وفهرسة عنوانها **رائد الصلاح** (المؤلف).

(10) طبع بفاس سنة 1309 هـ (المؤلف). وطبع بالرباط بتحقيق الاستاذ علوش سنة 1986 ثم بتونس سنة 1971 في ثلاثة أجزاء (المغرب) .

لم يفته وهو من رجال البلاط السحري الاذكىاء ، أن يجدد ، في مستهل **الجذوة** اقراره بفضل أحمد المنصور واعترافه بجميله اذ على يديه كان خلاصه من القراصنة الذين كانوا أسروه في عرض البحر ، الا أنه ، لحسن الحظ، لم يكن ، في ذلك المجال ، من المسهبين .

أوضح ابن القاضي ما عزم على تسجيله ب**الجذوة** فقال : انتقيت أن أذكر أولا المدينة ومحاسنها وما اختصت به ، ثم بعد ذلك أذكر على ترتيب حروف المعجم ملوكها وعلماؤها وأعلامها وما لهم من نظم وتاليف ومن أخذ عنهم ، سواء كانوا من الغرباء انقادمين عليها أو من أهلها (11) .

الجذوة تضم فعلا ما « انتقى أن يذكره » وتقسم الى قسمين : التمهيد « وقد فصل فيه القول في بناء مدينة فاس وذكر خططها » وقسم التراجع . والتمهيد جد مهم أعاد فيه للاذهان ما ورد من أوصاف فاس في **روض القرطاس** وفي **جنا الأس** ، وبين ما دخل على معالمها من تغييرات منذ تأسيسها الى عصره معتنبا لا بتوضيح معاني أسماء الأماكن فحسب ، بل حتى يذكر الخطباء الذين توالوا على منبر جامع القرويين الى سنة 1003 هـ (1594 - 1595 م) وهي السنة التي ألف فيها كتابه .

وصف الحالة التي كان عليها في أيامه ، جامع القرويين وجامع الاندلس وصفا شاملا ، وإننا للأسف غاية الاسف لكونه لم يعتن نفس الاعتناء بوصف مرافق تلك المدارس الجميلة التي شيدها المريثيون بفاس والتي كانت ، من دون شك ، في عهده ، ما زالت مصونة الرباع .

ويمكن أن يقسم معجم التراجع الى قسمين : قسم تاريخي خاص بتراجع الملوك ، والثاني أدبي خاص بتراجع رجال الفكر .

(11) منقول من مقدمة **الجذوة** (ط دار المنصور) بالرباط سنة 1973 (المغرب) .

فالتراجم الملوكية مطولة شيئاً ما الا أنها لا تكاد تفيدها بأكثر مما نجده
في شرح درة السلوك أي الصفات الإخلاقية وتاريخ الوفيات ، ولوائح
الوزراء وبعض الكتاب والقضاة . وأما تراجم العلماء فانها مدققة ومركزة
تعكس صورة صادقة للحركة الفكرية في أزهر فترات تاريخ الدولتين ، المرفية
والسعدية .

وأسلوب الجذوة أسلوب خال من التعقيد والغموض ومن المصطلحات
الصوفية ، بحيث يبدو أن مؤلفه كان يرغب عن التوغل فيما كان شائعا في
عصره من المجادلات حول التصوف والعلوم الباطنية .



أحمد بابا (12)

اهتم أحمد بابا بتراجم الرجال ، سائرا في ذلك سيرة ابن القاضي الا
أنه اقتصر ، بصفته فقيها ، على التعريف بالفقهاء الذين تلالا نجومهم في
آفاق العلوم الإسلامية .

أحمد بابا سوداني الأصل ، معتز بالانتساب لبلاده لا ينبغي بها بديلا ،
الا أن المغاربة يعدونه من علماء المغرب الأقصى نظرا لمتانة الوشائج التي
تربطه بهذه البلاد .

(12) ترجم لاحمد بابا :

هو نفسه في فيل الابتهاج ، 79 - 80 ، كفاية المحتاج . الانراني نزهة الحادي ،
97 - 98 ، صفوة من أنتشر ، 52 - 55 . القادي ، نشر الثاني ، 1 : 151 ، النقاط
الحر ، 11 و 12 و . المحبي ، خلاصة الاثر 1 : 170 . السعدي ، تاريخ السودان ، 35 ،
218 ، 244 . الناصري ، الاستقصا ، 3 : 63 . بروكلمان ، الادب العربي ، 2 : 466
- 467 . بنشيب ، الاجازة ، ف . 94 ، دائرة المعارف الإسلامية ، 1 : 196 . ومصادر
أجنبية أخرى .

هو أبو العباس أحمد بابا بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيمت التكروري السوفي ، الصنهاجي العرق ، ولد بقرية أروان بضواحي مدينة تنبكتو في 21 ذي الحجة عام 963 هـ (26 أكتوبر 1556) . كانت عشيرة الاقيت تسكن بالعاصمة السودانية وتتمتع بمكانة اجتماعية مرموقة . ومما يؤكد لنا أن أجداد أحمد بابا توارثوا بها خطتي الامامة والقضاء طيلة القرنين الخامس والسادس عشر الميلاديين (13) .

أقبل على طلب العلم ، منذ المرحلة الاولى من حياته ، فأخذ عن أبيه ، وعن جده وعن الفقيه السوداني الشهير محمد بن محمد التنبكتي المعروف ببغيح (14) ، فلم يلبث أن أصبح من صدور الفقهاء المالكية . وكان مولعا باقتناء الكتب بحيث كانت مكتبته الخاصة تضم أكثر من ألف وثلاثمائة مؤلف .

لاشك أن أحمد بابا لم يكن ليدخل المغرب لو لم تضطره الظروف السياسية التي اكتنفت فتح أبي العباس أحمد المنصور السعدي للسودان . وبالفعل فإنه أرغم وعشيرته على الخروج من تنبكتو ، منبت عزهم وجاههم ، إذ أُلقي عليهم القبض في مستهل سنة 1002 هـ وحملوا الى مراکش على ظهور الجمال مصفدين في الاغلال . وأثناء هذه الرحلة سقط أحمد بابا عن ظهر الجمل فاندقت ساقه .

وصلوا الى العاصمة السعدية في أول رمضان من السنة المذكورة (24 مايو 1594 م) ، فاستقروا هناك في حكم الثقافة الى أن انصرم أمد المحنة ، فسرخوا في الحادي والعشرين من رمضان سنة 1004 هـ (19 مايو 1596 م) .

ولما مثل الفقيه السوداني ، اثر تسريحه من السجن ، بين يدي المنصور وجده يكلم الناس من وراء حجاب ، وبينه وبينهم كلة مسحولة على طريقة خلفاء بني العباس ، فامتنع أحمد بابا من مخاطبته وقال له : « ان كانت لك حاجة في الكلام فانزل الينا وارفع عنا الحجاب » ففز المنصور ورفعت الاستار واذا ذاك استنكر أحمد بابا أشد الاستنكار ما فعل به وبعشيرته (15).

(13) ترجم لجماعة منهم في نيل الابتهاج .

(14) ترجم له في الفكر الاسلامي ج 4 ص 105 (المغرب).

(15) انظر نزهة الحامي (طبعة هوداس) و الاستقصا

تصدر أحمد بابا ، مدة اقامته الاجبارية بمراكش ، للتدريس بجامعة الشرفاء حيث أخذ يحدث ويشرح الفقه المالكي ، ورغم لكثرة لسانه فان الطلبة كانوا يتزاحمون حوله ومنهم علماء مشهورون مثل قاضي مراكش أبي القاسم بن أبي النعيم الفساني (16) وهو كبير ينيف على السقين ، وأبي الحسن علي بن عمران السلاسي (17) وأبي عبد الله محمد الرجراجي المعروف بالبوعبدلي قاضي مراكش ، والمؤرخ ابن القاضي ، وكان يقوم بالافتاء الا أنه لم يقبل أن تسند اليه رسميا خطة الافتاء لئلا يظن أنه قبل الاقامة بمراكش عن طواعية ورضى .

اشتهر في جميع الاوساط الثقافية المغربية. وقال هو عن نفسه : « اشتهر اسمي في البلاد من سوس الاقصى الى بجاية والجزائر وغيرها » .

بقي أحمد بابا بمراكش حتى وفاة المنصور ، وخلفه زيدان هو الذي آذن له ولكافة السودانيين المثقفين في العودة الى وطنهم . وكانت وفاة أحمد بابا بمسقط رأسه ، بتتبكتو في 6 شعبان 1036 هـ (22 ابريل 1627 م) .

ترك ما يزيد على الاربعين مؤلفا ، أكثرها في الفقه المالكي ، وبعضها في العبادات وفي النحو ، كما ترك كتابين في التراجم ، **نيل الابتهاج و كفاية المحتاج و نيل الابتهاج بتطريز الديباج** كان في حقيقة الامر تكملة لكتاب ابراهيم ابن فرحون **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** وقد ترجم فيه لطائفة مهمة من فقهاء المالكية المغاربة والسودانيين : ولخصه فيما بعد في **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج** .

فرغ أحمد بابا من كتاب **الابتهاج بمراكش** في 7 جمادى الاولى 1005 هـ (27 دجنبر 1596 م) ولاشك أنه كان يحزر فصوله وهو في حالة الثقف . ومهما يكن فانه سجل فيه فضائل فقهاء مغاربة ، ومنهم من كانوا معاصرين

(16) كان قاضيا بفاس ، اغتيل سنة 1032 هـ (1623 م) ترجم له ميارة في **الدر الثمين والافراني في نزهة الحادي والقادي في النشر** (المؤلف)
(17) كان قاضيا بفاس ، مات مسموما سنة 1018 هـ (1609 م) (المؤلف) .

له . ومما يدل على نبيله وصفاء سريرته أنه اعتمد على مراجع لا شبيهة في مغربيته كفهرسة **ابن غازي** ، ومؤلفه **الروض الهمداني** و **فهرسي المنجور** وعبد الواحد السجلماسي ، ويجوز لنا أن نقول أنه تعدد اخراج عن الاطار التي جعله لكتابه والادال عليه عنوانه ، فذكر علماء مالكيين لم يكونوا من المختصين في الفقه ، ولكن اشتهروا بتضلعمهم في فنون أخرى . هذا واننا نجد في معجمه حتى تراجم بعض اكابر صلحاء المغرب اقتبسها من مؤلفات سابقيه مثل ابن الزيات .

ولهذا كله فان **الفيل** يعتبر من أهم المصادر المغربية المتعلقة بالتراجم، لانه يكمل كتب التراجم التي وضعها سابته وخصوصا معاصره **ابن القاضي** ولذا نرى أن أحمد بابا جدير بأن يسجل اسمه ضمن المؤرخين غير المباشرين في المغرب أواخر القرن السادس عشر الميلادي .



المرابي (18)

أبو العباس أحمد بن موسى المرابي الاندلسي ، المتوفى سنة 1034 هـ (14 أكتوبر 1624 - 2 أكتوبر 1625) قام بتأليف في سيرة الصالح الورع رضوان الجنوي أسماء : تحفة الاخوان ومواهب الامتنان في مناقب سيدي رضوان وتلكم فيه عن مناقب شيخه أبي نعيم رضوان بن عبد الله الجنوي الفاسي (19) .

توفي أبو نعيم سنة 991 هـ (1583 م) . كان من فطاحل علماء آخر القرن العاشر الهجري ، مشهودا له بالصلاح والاستقامة ، وأصله من جنوة ، قدم منها والده وكان نصرانيا فاسلم وتزوج باسلامية من يهود المغرب أسلمت كذلك وحسن إسلامها .

كان المرابي من مريديه الى أن مات ، ثم من مريحي أبي المحاسن يوسف الفاسي . وبالإضافة الى التحفة فانه نظم عدة قصائد دينية المشرب .

(18) ترجم له الانراني في الصفوة (ص 125) والقادري في النشر (ج 1 ص 149) وفي النباط الحر (ص 11) والكتاني في السلوة (ج 2 ص 261) (المؤلف) .

(19) وردت ترجمته في الجذوة (ص 153) و ممتع الاسماع (ص 86) ، وفي الروض العاظم الانقاس لابن عيشون الشراط ، وفي الصفوة (ص 6) و النشر (ج 2 ص 225) (المؤلف) .

وفي الاعلام (ج 3 ص 227) ط الرباط ترجمة مستفيضة له (المغرب)

أحمد وعلي السوسي (20)

أبو العباس أحمد وعلي ومحمد (أي ابن علي بن محمد) السوسي البوسعيدي الهشتوكي الصنهاجي ، كان عالما وصالحا . ولد بسوس حوالي سنة 990 هـ (1582 م) ، تعلم بمسقط رأسه ثم رحل الى مراكش حيث أخذ عن أحمد بابا الذي صافحه وأجازه ، وعن القاضي أبي القاسم ابن أبي النعيم الغساني ، ثم قصد حاضرة فاس ونزل بالمدرسة المصباحية حيث بقي الى أن وافته منيته .

أخذ بالحاضرة الادريسية عن أبي محمد عبد الواحد ابن عاشر مؤلف **المرشد المعين** ، وعن أبي زيد عبد الرحمان بن محمد الفاسي . اشتهر ، مدى حياته ، بالصلاح والتقشف مقتصرا على الضروري في الأكل والشرب . ولا يتبلغ الا من قرصة كان يعجنها بيديه ويجعلها في النار ولم يكن له ثوب واحد كان يغسله بيديه .

ولما مات (في 15 ذي القعدة 1046 هـ (10 ابريل 1637م) دفن بالكفادين في قبر كان هو حفره لنفسه .

ورغم زهده وتحاميه من أن تنسب له خصوصية فانه ألف تأليف شهيرة منها **بذل النصيحة في فضل المصافحة** التي ذكر فيه أشياخه وأورد فيه مقتطفات في الورع والوعظ والايقظ والتذكير باحوال الآخرة وقد أورد صاحب **النشر** ، في ثنايا كلامه عن هذا الرجل الصالح ، بعض تلك المقتطفات وهي تتعلق بمختلف صفات العلماء الحميدة . (ج 1 ص 171) .

(20) ترجمته في **لاروض العاطر الانفاس** (ص 105) و **الصفوة** (ص 68) و **النشر** (ج 1 ص 171) و **النقاط الحرة** (ص 15) و **السلوة** (ج 2 ص 85) (المؤلف).

وترجمه ابن ابراهيم في **الاعلام** (ج 2 ص 111 الطبعة الاولى) والحجوي في **الفكر السامي**

ج 4 ص 110 (المعرب) .

الجلالي (21)

أورد القادري نصا تاريخيا طويلا نسبه لفقيه معاصر له وهو ابراهيم بن عبد الرحمان بن عيسى الجلالي .

ولد في قبيلة بني ورياغل ، بعدوة وادي ورغة اليمنى ، ولما يقع قصد فاسا ، وهناك اشتهر ، حوالي 994 هـ (1586 م) وتوفي سنة 1047 هـ (1637 - 1638 م) .

لم يعرف من مؤلفاته الا عنوانان اثنان ، وهما يتسمان بلون من التكلف اذ أسمى أحدهما تنبيه الصغير من الولدان على ما وقع في مسألة الهارب من الهذيان لدعي الفتوى آء جليان (22) و المسألة الامليسية في الانكحة المنعقدة على عادة البلاد القريسية وانه لمن المؤسف اننا لم نتمكن من العثور على الكتابين المذكورين سيما وأن صاحب نشر الثاني استقى منهما معلومات دقيقة .



النتمارتي (23)

ترجم الافراني في الصفوة لعالم سوسي ، خلف ديوان شعر و فهرسة اسمها الفوائد الجمة باسناد علوم الامة . وذلك العالم هو أبو زيد عبد الرحمان بن محمد النتمارتي المغافري الورداني مولدا ومدفنا ، والمتوفى حوالي 1070 هـ (1659 - 1660 م) .

(21) ترجم له في السلوة (ص 123) و النشر (ج 1 ص 173) و التقاط الدرر (ص 15) (المؤلف) .

(22) ورد ذكره في دليل التورخ (ج 1 ص 199) تحت رقم 770 ، وقال مؤلف الدليل « يوجد بخزانة الكتاني بفاس التي نقلت الى الخزانة العامة بالرباط ، تحت رقم 571 (المغرب)

(23) ترجم له في الصفوة (ص 155) (المؤلف) .

ونكره المرحوم المختار السوسي في سوس العالة (ص 181) وترجم له الاستاذ محمد ابن عبد الله الورداني محقق كتاب ايليخ قديما وحيثما ص 2 في التعليق 7، ونكر أنه وقع العثور على ديوان شعره بالمكتبة الملكية (المغرب).

أخذ العلم عن أبيه وعن يحيى الوقاد القلمساني ، وولي القضاء والافتاء بمسقط رأسه .

يستفاد من النصوص المنقولة في **فزهة الأحادي** أن مؤلف التتمارتي كان يشتمل على « فوائد جمّة » تتعلق بتاريخ أزهر عهود الدولة السعدية ، وبتاريخ تارودانت عاصمة سوس .

يعد هذا الكتاب في حكم المفقود ولا يوجد له أثر حتى في تارودانت (24)، والغريب أن القادي أهمل ترجمته مع أنه كان من شيوخ المرغيش الآتية ترجمته .



محمد ميارة (25)

من المصادر التي اعتمد عليها الكتاني عند تأليفه **الصفوة** كتاب للشيخ محمد ميارة عنوانه **الدر الثمين** وهو كتاب في الفقه لا في التراجم ، إلا أن المطلع عليه لا يلبث أن يجد فيه قدرا وافرا من الاشارات المتعلقة بالحركة الفكرية السائدة في عصر مؤلفه ، وكثيرا من المعلومات ذات الطابع التاريخي الصرف . وهذا هو الذي جعلنا نذكر هذا الكاتب بجانب أصحاب كتب التراجم المغربية .

ولد أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة بفاس في الخامس عشر من شهر رمضان 999 هـ (7 يوليوز 1591) وبها أخذ عن شيوخ اشتهروا بالمعرفة والاستقامة والصلاح كابن عاشر ، والعارف الفاسي ، وابن القاضي ، والمقري وأبي الحسن علي بن القاسم البطيوي ، وابن أبي النعيم الفساني ، ومحمد بن عبد الوهاب الدكالي ، ومحمد البوعناني الإدريسي .

(24) أخبر الضابط الفرنسي جستينار أنه عثر على هذا الكتاب كما ذكر من جملة مراجع كتاب إيليغ وأنه معروف ، وقال صاحب **دليل المؤرخ** (رقم 1412) : « تقع في مجلد وسط رتبها على أربعة أبواب ، كتاب مشهور مفعم بالتراجم بقلم حسن ، توجد عند الاخ المختار الموسوي » .

(25) ترجم له في **الصفوة** (ص 140) و **النشور** (ج 1 ص 135) و **الصفوة** (ج 1 ص 165)

كان أبو عبد الله ميارة من أكابر العلماء وأساطين الفقهاء ، كرس حياته للتدريس والتأليف ، وكتبه متداولة ، عليها إقبال عظيم في حلقات العلم ، وأشهرها شرحه الكبير للمرشد المعين على الضروري من علوم الدين المسمى بالدرر الثمين والمورد المعين وقد فرغ من تأليفه سنة 1044 هـ ثم صنف ملخصا له بعد ذلك بأربعة أعوام .

توفي بفاس في 3 جمادى الثانية 1072 هـ (24 يناير 1662 م) ودفن بدار قرب الدرب الطويل (28) .



المرغيثي (27)

ولد أبو عبد الله محمد بن سعيد المرغيثي السوسي بسوس سنة 1007 هـ (1598 - 1599م) وعاش بمراكش . كان من المتبحرين في العلوم الإسلامية ومن المشتغلين بعلمي الحساب والفلك .

تعلم بفاس وبمراكش حيث أخذ عن ابن عاشر ، ومحمد العربي الفاسي ، وأبي محمد عبد الله السجلماي ، ومحمد الجنان الاندلسي ، وأبي القاسم الفشتالي الغول ، وعيسى السجلماي ومحمد القاملي ، وأحمد السالمي .

استوطن العاصمة السعيدية وولى بها الامامة . وفي سنة 1088 هـ (1672 م) قضى مدة طويلة بالزاوية الدلائية وهناك ناول اليوسي اجازة أثبت نصها الكامل في نشر المثاني .

(26) مؤلفات ميارة الأخرى هي : زبدة الاوطان في اختصار الخطاب و شرح تحفة ابن عاصم و شرح لامية الزقاق المسمى تحفة الاصحاب والرفقة ببعض مسائل الصفة و فيل لندهج الزقاق عنوانه تكميل المنهج الى اصول المذهب المبرج وشرح له ، وحاشية على البخاري اسمه معين القاري لصحيح البخاري و نصيحة المقترين في الرد على ذوي التفرقة بين المسلمين (المؤلف) .

(27) ترجمه في الصفوة (ص 177) و النشر (ج 2 ص 37) و النقط الحذر (33) و خلاصة الانر للمحبي (ج 3 ص 472) و السعادة الابدية لابن الموقت (ج 1 ص 138) (المؤلف) وترجم له الاستاذ محمد حجي في : الزاوية الدلائية (المغرب)

توفي في الثمانين من عمره بمراكش في السادس عشر من ربيع الثاني عام 1089 هـ (7 يونيو 1678 م) ودفن بجانب قبر شيخه السجلماسي .

اشتهر المرغيثي في المغرب بنمظومته في التوقييت المسماة المقنع في علم أبي مقصرع التي ما زالت ، متداولة لدى الموقتين بجميع مساجد الحواضر المغربية .

له مؤلفات أخرى كثيرة أهمها فهرست الفوائد المزرية بالموائد وهي كشكل علم وأدب ، تشتمل على تراجم وعلى فوائد طريفة تتعلق بخصائص مجتمعه و ببعض أوصاف إعيان البلاط السعدي وبعض الادوية وعلم الجداول . وكلها معلومات ما فتئت تعتبر ، في الأوساط الثقافية جدرة بالاهتمام .



العباشي الرحالة (28)

ألفت رحلة العباشي في القرن السابع عشر الميلادي وقد ترجم ، منذ مدة ، قسم منها الى اللغة الفرنسية (29) وطبعت في جزئين بفاس ، على المطبعة الحجرية سنة 1316 هـ .

سبق أن أشرنا إلى أن تلك الرحلة ليست الا قائمة لمجموعة من مساهير الاعلام ، اذ أن القسم الجغرافي منها لا يتعدى بيان المسالك والمنازل ، وهو في حقيقة الامر دقيق الضبط ، جدير بالدراسة حتى في أيامنا هذه ، وإن كان مؤلفنا لم يقصد من رسمه الا إطلاع القراء على مدى الاعتناء بالعلوم الإسلامية في الاقطار التي مر بها .

(28) ترجم اليوسي في المعاصرات ، والاقراني في الصفوة والقادي في النشر والانتقاص والحضيكي في المنقلب ، وفي دائرة المعارف الإسلامية من الطبعة الفرنسية (المغرب)

(29) قام بذلك العمل Berbrugger - Motylinsky
المراجع المذكورة في دائرة المعارف الإسلامية (المغرب)

ليس من الصعب الايام بأطوار حياة العياشي لانه هو نفسه أقادنا
بتفاصيل عنها في مختلف مؤلفاته .

هو أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي . ولد ، في آخر
شعبان 1037 هـ (4 ماي 1628 م) ، بقبيلة آيت عياش المستقرة قرب تافيلالت
وقرأ هناك على أبيه الذي كان يشرف يومئذ على فرع للزاوية الناصرية ، ثم
قصد رباط وادي ردعة فأخذ عن الشيخ أبي عيد الله محمد ابن ناصر ، الطريقة
الصوفية ، وانتقل الى فاس حيث تلقى العلم عن خطيب جامع الاتدلس حمدون
الابار ، وعن الشيخ محمد ميارة ، والعالم عبد الرحمان بن القاضي ، وبصفة
خاصة عن الشيخ الذائع الصيت عبد القادر الفاسي الذي اجازه في منتصف
شعبان 1063 هـ (يليوز 1653 م) (30) .

قضى عدة سنوات من عمره في اشرف متنقلا من مصر الى آخر ، وهكذا
جاور الحرمين ، وزار القدس والقاهرة فلقى العلماء وأخذ عنهم وألقى دروسا
ومن الائمة الذين جالسهم واستفاد منهم في المشرق ، الشيخ علي الاجهوري
(ت : 1066 م) والشيخ أبو مهدي التعالبي (ت : 1080 هـ) والشيخ أبي
اسحاق الشهرزوري الشعراني (توفي بالمدينة 1101 هـ) .

للعياشي تأليف مختلفة منها منظومة في بيوع ابن جماعة و شرحه ،
و تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية ، وتوليف في « لو »
الشرطية ، وكتاب الحكم بالعدل والانصاف لرفع الخلاف فيما بين فقهاء
سجلامة من الاختلاف ، و اقتباء الاثر بعد ذهاب أهل الاثر ، و تحفة الاخلاء
باسانيد الاجلاء .

توفي شهيد الطاعون في 10 ذي القعدة عام 1090 (13 دجنبر 1679) .
انا لن تطيل الكلام عن رحلة العياشي ماء الموائد لانها تشتمل على
معلومات تهم بلادا اسلامية أخرى بالاضافة الى المغرب . فهي موسوعة في علم
الشريعة وفي التصوف . ولذا رأينا من الضروري ألا نغفل هذا المؤلف المغربي
ذا السمعة الطيبة والشهرة المحدودة عند بني وطنه .

(30) أورد تقسما من الاجازة صاحب النشر (ج 2 ص 49 - 53 وهي الاجازة التي نقلها
الى اللغة الفرنسية الاستاذ ابن شنب ، وعرف بالشيوخ المذكورين فيها ، (المؤلف) .

عبد القادر الفاسي وابنه عبد الرحمان

لم يكد أعلام البيت الفاسي الاولون يموتون حتى تلالات نجوم علماء من حفدتهم ، سرعان ما طبقت شهرتهم الحاضرة الادريسية وطار صيتهم إلى جميع انحاء المغرب .

فعبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي ، حفيد أبي المحاسن ، اشتهر بفاس كرئيس نشيط للزاوية الجزولية وكامام وقته وحجة عصره في العلوم الاسلامية ، ويعد ابنه عبد الرحمان ، بالنسبة لسكان فاس ، من اكابر الامجاد الذين أنجبتهم حاضرتهم .

لم يكن الشيخ عبد القادر من المؤلفين لكتب التراجم ، ولكن شهرته بالمعرفة والحداية هي التي حدت بالكتاب أن يعتفوا بترجمته ، ومع هذا فإنه لم يؤلف كثيرا وإنما ترك آثارا جد قليلة ، منها أجوبة مسائله وفهرسة سجل فيها اسفاده في رواية الحديث وفي علم التصوف ، قيد فيها بعض المعلومات عن أشياخه وهي في حقيقة الامر ، وثيقة فصل فيها ظامكان أوجزه في الاجازة التي أجاز بها أبا سالم العياشي ، والتي حللها وشرحها الاستاذ ابن شنب في مؤتمر المستشرقين الدولي الرابع عشر .

ولد عبد القادر الفاسي في القصر الكبير ، في 2 رمضان 1007 هـ (1599 م) ، وبه قرأ على والده ثم رحل الى فاس طالبا للعلم سنة 1025 هـ (1616 م) فاستقر في المدرسة المصباحية وأخذ العلم ، بتوجيه أخيه جده العارف الفاسي ، عن عمه محمد العربي الفاسي الذي أجاز له في كل ما يجوز له روايته باللفظ والخط ، وعن القاضي أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني ، وأبي مالك عبد الواحد ابن عاشر ، وكان أيضا من جملة شيوخه أبو الحسن علي بن زهير السجلماسي وأحمد المقرئ ، ومحمد الجنان .

ولما امتلا وطايه قفل راجعا الى مسقط رأسه الا أن لصوصا سطوا عليه وأخذوا أمتعته فعزم على الاستقرار بفاس لنشر الطريقة الشاذلية ، وتصدر للتدريس والإرشاد ، متمسكا بالسنة ، ورعا ، زاهدا ، راسخ القدم في العبادة ونوافل الخير .

توفي في 8 رمضان 1091 هـ (2 أكتوبر 1680 م) ودفن بخولته في حي القلقلين ، ولا زال قبره ، الى اليوم ، مزارا من أعظم المزارات .

وأما ولده أبو محمد عبد الرحمان فإنه لم يعيش بعده إلا خمس سنوات ، اذ توفي في 16 جمادى الاولى عام 1096 هـ (20 ابريل 1685 م) ، وكان مولده بفاس في 17 جمادى الثانية عام 1040 (21 يناير 1631 م) .

هو مفخرة البيت الفاسي ، كانت له مشاركة في علوم شتى تدعمها حافظة نادرة حتى ان أباه كان يلقبه « بسيوطي عصره » ، ورغم أنه لم يعمر طويلا فان المترجمين له يكادون يجمعون على أنه خلف أكثر من مائة وسبعين مؤلفا أو تقييدا في مختلف العلوم من طب وفلك وتاريخ وفقه مالكي ، وله نظم في **العمل الفاسي** متداول الى يومنا هذا في حلقات التدريس ، وقد ذكر فيسه المسائل التي جرى العمل بها في الاحكام الشرعية مراعاة للاعراف والظروف .

خصص الشيخ عبد الرحمان الفاسي قسما مهما من مؤلفاته للتراجم ، من جملتها فهرسته واربعة كتب عرف فيها بعلماء من أهل بيته وهي : **ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن والشيخ المجذوب** ، وأنيسة المساكن في أبناء أبي المحاسن ، وتحفة الاكابر في مناقب الشيخ عبد القادر « يعني أبيه » و **البستان الزاهر في أخبار الشيخ عبد القادر « يعني »** كذلك أباه . ومن مؤلفاته أيضا **ابتهاج البصائر فيمن قرأ على الشيخ عبد القادر و أزهار البستان في مناقب الشيخ عبد الرحمان (أي المجذوب)** وكتيب بدون عنوان في مناقب سيدي محمد بن عبد الله بن معن الاندلسي (المترجم له في **متع الاسماع** .

ونرى من الضروري أن نشير الى مؤلف من مؤلفات الشيخ عبد الرحمان الفاسي يدل على براعته في نظم الارجيز التعليمية وهو : « كتاب الاقنوم في مباديء العلوم ، الذي يمثل شبه دائرة المعارف المغربية » في القرن السابع عشر الميلادي ، اذ ضمنه التعريف بمباديء نحو المائة وخمسين « علما » واستوفى حدودها في مائتين وواحد وثمانين مقطوعة من بحر الرجز .

يشتمل **الاقنوم** على معطيات طريفة في الانساب المغربية ، وعزم مجمل القبائل المنبثة في الايالة الشريفة .

والفصل الخاص بالتاريخ ، وهو التاسع والخمسون ، يحتوي على سبعة وتسعين بيتا ، عرف بالتاريخ في بيت واحد قال :

« علم ملوك المسلمين والدول ومن تولى بالتوالي وانعزل »

ثم أتى بعده بتواريخ ضمنها في « جمل » و « عباررات » للدلالة على وفيات أعلام من عهد الخلفاء الراشدين الى عهد الدولة السعدية ، وليست ، بالنسبة لنا ، ذات فائدة كبيرة .

ألف الشيخ عبد الرحمان الفصل الخاص بالتاريخ قبل فصول الكتاب الاخرى ، وكان اتخذ له عنوانا خاصا وهو : **زهر الشماريخ في علم التاريخ** ، وكثيرا ما نجد الافراني يذكر في **المنزهة شرحا للزهر** ، وقد نقل منه في نفس الكتاب نصوصا قليلة الا أن قيمتها تثير تأسفنا على فقدان ذلك الشرح ، وعلا، جهلنا لاسم مؤلفه . ومن الممكن ان يكون المؤلف والشارح هو عبد الرحمان الفاسي ، ولكن لا نجزم بذلك (31) .

(31) ذكر صاحب **فايل المؤرخ** ، **زهرة الشماريخ** (رقم 1821) المطبوعة بفاس حوالي 1340 هـ (1922 م) وورد تحت رقم (1822) ما يرجع ان الشارح هو الناظم أي الشيخ عبيد الرحمان الفاسي (المعرب).

اليوسفي (32)

عاصر الشيخ عبد الرحمان الفاسي ، عالم ، يضاهيه شهرة ، وهو أبو علي الحسن اليوسفي الذي حظي في المغرب بشعبية واسعة حتى إن ضريحه أصبح مزارا من المزارات المقصودة للترحم والتبرك .

كان مولعا بالادب ، متجرا في النثر والشعر ، الا أنه لم يلبث أن صار مشهورا له بالصدارة في الفقه ، وبالنشاط الثمر في المجالات الروحية . ولد عام 1040 هـ (1630 - 1631 م) بقبيلة آيات يوسفي المنبثقة بطونها في جنوب فاس ، بضواحي صفر و متابع نهر ملوية .

لما طر شاربهُ أخذ يتردد على الزوايا والربط المغربية المشهورة طلبا للمعرفة ، وهكذا قضى سنوات من عمره في سجلماسة وفي احواز درعة وفي مراكش قبل أن يلتحق بالزاوية الدلائية التي كانت اذ ذاك من أشهر مراكز الحياة الدينية والفكرية ، وبقي بها الى أن أمر السلطان مولاي الرشيد بتخريبها سنة 1079 هـ (1668 م) .

أخذ اليوسفي عن عدد وافر من العلماء الاجلاء ، نجد أسماءهم وتحليلاتهم بفهرسته ، وكان منهم الشيخ أبو بكر بن الحسن التطارفي ، والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن علي بن الطاهر السجلماسي الحسني (ت : 1089 هـ) والشيخ عبد العزيز بن بد الرحمان الفيلاي (ت : 1096 هـ) والشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد التجموعي (ت : 1088 هـ) والشيخ أبو مهدي عيسى السجقاني (1062 هـ) والقاضي أبو عبد الله محمد المزوار المراكشي

(32) توجد مطومات عنه في كتابه المحاضرات وفي فهرسته ، وترجم له في الصفوة والنشر والسلوة الخ ، ، (المؤلف)

وعرف به ، الاستاذ محمد حجي في كتابه الزاوية الدلائية ، كما اعتنى بدراسة مؤلفاته والتعريف بالحركة الادبية في عصره المراقب المدني قديما والاستاذ حاليا بباريس جاك بارك وذلك في كتاب باللغة الفرنسية عنوانه اليوسفي (المغرب) .

(ت : 1065 هـ) والشيخ ابو محمد عبد الله محمد ابراهيم الهشتوكي ، وأخيراً
الشيخ الصالح محمد الناصر ، وشيخ الزاوية الدلائية محمد الم رابط بن محمد
الدلائي ، وقد أجازوه بطلب منه ، الشيخ عبد القادر الفاسي ، وأجازوه كذلك
المرغيتي .

كان أبو علي عالماً مشاركاً واسع الإطلاع غزير المعرفة ، يحفظ عن ظهر
القلب دواوين الشعراء أبي تمام والبحتري وأبي العلاء المعري الخ ، ، ،

جاء إلى فاس في منتهى شهر محرم 1079 هـ (يوليوز 1668 م) صحبة
الدلائيين الذين نقلوا إليها بعد تخريب راويتهم ، فتصدر للتدريس بجامعة
القرويين .

والظاهر أن اليوسي الذي لم يتلق معارفه بالعاصمة الادريسية لم يحظ
بالتقدير من لدن علمائها ، وهذا هو الذي حمله على مغادرتها قائلاً :

ما أنصفت فاس ولا أعلامها

علمي ولا عرفوا جلاله منصبني

لو أنصفوا لصبوا إلى كما صبا

راعي سفين إلى الغمام الصيب

قصد مراكش وهناك ألقى دروساً بمسجد الشرفاء ، ثم خرج حاجاً ، وعاد
إلى فاس في شهر شوال 1095 هـ (11 ستنبر / 9 أكتوبر 1684 م) فمكث
بها مدة معرباً عن آرائه بكامل الصراحة ، وتتمثل تلك الصراحة بصورة
واضحة في الرسالة الطويلة التي وجهها للسلطان المولى اسماعيل عندما أقدم
على تجريد القبائل البربرية من السلاح (33) .

حج حجة ثانية سنة 1101 هـ وبعد عودته الى وطنه وافاه أجله في 15 من ذي الحجة 1102 هـ (10 شتنبر 1691 م) فدفن بأرض أسلافه ، في تمزنت قرب صفرو ولا زال قبره الى عهدنا هذا مقصد الزوار.

ان مؤلفات (34) اليوسي تقل عددا عن مؤلفات معاصره الشيخ عبد الرحمان الفاسي الا أنها لا تقل عنها أهمية ، فديوانه ، وبصفة خاصة داليته في مدح محمد بن ناصر يثبت براعته في قرص الشعر ، وكتاب القانون (المطبوع بفاس عام 1310) ، المعجم بأرائه في مختلف العلوم الاسلامية ، وضع من دون شك لمساهمة الاقنوم ذلك الارجوزة العظيمة الشأن التي نظمها عبد الرحمان الفاسي للتعريف بمبادئ العلوم .

ولكن كتاب المحاضرات هو أفيد كتب أبي علي اليوسي ، فانه لم يسلك في تأليفه الطريقة المتبعة في تحرير الفهارس ، ولكن سجل فيه تقايد وذكريات وملاحظات ،، من غير أن يراعي في ذلك أدنى ترتيب موضوعي أو زمني ، فأننا لا نجد فيه الا معلومات يسيرة عن تسلسل أسانيده ، ولكنه يحتوي على فوائد جمة ، وجد نافعة عن المجتمع الثقافي المغربي في القرن السابع عشر الميلادي ، ذلك المجتمع الذي كانت تحتد فيه أحيانا خصومات طائفية أو تعصبية . وكان ، مع ذلك يفيض حيوية ونشاطا في المجالات الفكرية .

بدأ اليوسي كتاب المحاضرات سنة 1095 هـ (1684 م) وكان اذا ذاك بجنوب المغرب . ولذا خصصه لتسجيل ما بقي عالقا بذاكرته من نكت طريفة وأمثال سائرة وقطع شعرية لها علاقة بنشاطاته الثقافية .

فهو ليس معجم تراجم ولكنه يتضمن معلومات دقيقة لا تعد ، عن علماء وصلحاء المغرب ، ويمكننا أن نقول أنه من الكتب القليلة التي خصصها عالم مغربي للمعارف الدنيوية .

(34) اليكم قائمتها : زهر الاكم في الامثال والحكم ، نفائس الدرر على شرح المختصر (للسنوسي) منهج الاخلاص من كلمة الاخلاص ، القول الفصل في الفرق بين الغاية والفصل ، أو الفرق بين الذاتي والعرضي ، المحاضرات ، الديوان ، القانون في ابتداء العلوم القصيدة الدالية في مدح ابن ناصر وشرحها ، الكوكب الساطع بشرح جمع الجوامع (لم يكمله حاشية تلخيص المفتاح (لم يكمله) الفهرست وبعض الرسائل والاجوبة المؤلف .

كتب المتراجم المؤلفه

في القرن الثاني عشر الهجري (1689 - 1785 م)



محمد المهدي الفاسي (1)

هو أبو عبد الله محمد المهدي بن أحمد بن علي بن أبي المحاسن يوسف الفهري الفاسي، ولد بالقصر الكبير في آخر رجب 1033 هـ (17 ماي 1625) (2) أخذ بمسقط رأسه عن أبيه وعن خاله محمد الفاسي (3) ثم انتقل إلى فاس حيث أخذ عن عمه الشيخ عبد القادر الفاسي، وعن الشيخ حمدون المزوار، ولم يلبث أن أصبح راسخ القدم في العلوم الإسلامية.

اشتهر بالورع والعبادة وبترفعه عن قبول الهدايا التي كان يوجهها له السلطان مولاي الرشيد. وكان من أعلام الطريقة الجزولية، إذ تضرع في التصوف على يد الشيخ الصالح سيدي محمد بن محمد بن عبد الله بن معن الاندلسي، والشيخ الزاهد أبي الفضل قاسم بن قاسم الخصاصي الاندلسي الفاسي (4). وتتلذذ عليه عدد وافر من أفراد الأسرة الفاسية.

كان يقضي جل أوقاته في العبادة والتدريس والتأليف توفي بفاس ليلة 9 شعبان 1109 هـ (20 فبراير 1698 م) ودفن بضريح جد أبيه يوسف الفاسي.

(1) ترجم في الصفوة (ص 211) و النشر (ج 2 ص 160) و الصفوة (ج 2 ص 136) (المؤلف)

(2) في 19 رجب حسب الافرائي، وفي 27 حسب القادري (المؤلف)

(3) عين قاضيا بمكناس ثم ولي الافتاء والخطابة في القرويين، توفي سنة 1084 ص (1673 م).

(4) توفي في 19 رمضان 1083 هـ، ترجم له في الصفوة (ص 171) و النشر (ج 2 ص 9) في الروض العاطر الانفاس (ص 64) الخ،،، وخصص له القادري مؤلفا عنوانه الزهر الباسم (المؤلف)

خلف عدة مؤلفات أكثرها في التراجم ، وأسيرها **ممتع الاسماع** في أخبار الجزولي والتباع ومن لهما من **الاتباع** (المطبوع بفاس سنة 1305) وهو عبرة عن تاريخ الحركة الجزولية بالمغرب ، في شكل سلسلة من التراجم لاشهر رجالاتها وفي مقدمتهم ، بالطبع ، أبو عبد الله محمد بن سليمان الجزولي وأبو فارس عبد العزيز التباع ، أجمل فيها أخبارهم وما كان لهم من شأن في ميادين الورع والاحسان .

وصل المهدي مجمل هذا المؤلف بكتابين آخرين صغيرين ، في نفس الموضوع : **الالمام ببعض من لم يذكر في متع الاسماع و تحفة أهل الصديقية** بإسنانيد الطائفة الجزولية الزروقية الذي تكلم فيه عن أحمد زروق (5) مؤسس الطائفة الصوفية المتفرعة عن المدرسة الجزولية .

وخصص كتابين آخرين للتعريف بجدة أبيه أبي المحاسن وهما **الجواهر الصافية من المحاسن اليوسفية و روضة المحاسن الزهية** بهآثر الشيخ أبي المحاسن البهية وكتيبا ثالثا للتعريف بشيخه محمد بن عبد الله معن ، وعنوانه **عوارف المنة في مناقب سيدي محمد بن عبد الله محيي السنة** (6) .

يعد أبو عبد الله محمد المهدي أحد أساطين الاسرة الفاسية ، نظرا لمتنسه و غزارة عمله ، ولاهمية الدور الذي قام به لصالح الطائفة الشاذلية في القرن السابع عشر الميلادي ، بحيث ان أحمد الوزير الفاساني رأى ، فيما بعد ، أنه جدير بترجمة خاصة توضح فضائله وتخلد ذكره .

(5) ترجم له ابن عسكر في **الدوحة** (ص 38) وابن القاضي في **الجذوة** (ص 64) وأحمد بابا في **نيل الابتهاج** (ص 71) ومحمد العربي الفاسي في **مراة المحاسن** (ص 192) والعياشي في **الرحلة** (ج 1 ص 96 و ج 2 ص 378) وابن مريم في **البستان** (ص 45) والكتاني في **السلسلة** (ج 3 ص 183) الخ (المؤلف)

(6) ومن كتبه في الفنون الاخرى : ثلاثة شروح (كبير وصغير ومتوسط) لدلائل الخيرات وداعي الطرب في اختصار انساب العرب و العقد المنفرد من جواهر مفاخر سيدنا ومولانا محمد و سبط الجواهر الفاخر من مفاخر النبي الاول والآخر و كفاية المحتاج من خبر صاحب التاج واللواء والمعراج و شفاء الغلة و انقشاع السحابة عن حكم الشكر أو المنة وتنزيه الصعابة و الحرة الفراء في وقف القراء و معونة الناسك بالضروري من الناسك و اللمعة الخطيرة في مسألة خلق أفعال العباد الشهيرة - (المؤلف)

القادريون

ظهرت بفاس ، خلال هذه الفترة ، أسرة أخرى ، كريمة المحتد ، أنجبت طائفة ذات شأن من العلماء والفقهاء والمعتنين بالقراجم ، وهي أسرة « القادريين » التي لا زالت الى يومنا هذا كثير من أفرادها يعيشون بالحاضرة الادريسية .

تنتمي هذه الاسرة الى الشرفاء الحسفيين ، حفدة الحسن بن الامام علي - (كرم الله وجهه) - ويتصل نسبها بالولي الكبير المولى عبد القادر الجيلالي (او الكيلاني) دفين ببغداد .

هجر أحد اسلافهم ، وهو أبو عبد الله محمد ، غرناطة واستقر بفاس في أواسط القرن الخامس عشر الميلادي (7) .



محمد العربي القادري

ولد أبو عبد الله محمد العربي بن الطيب بن محمد الحسن القادري (8) بفاس في 6 رجب 1056 هـ (18 غشت 1646) وهناك أخذ عن الشيخ الحافظ عبد القادر الفاسي . والشيخ الصالح محمد المهدي الفاسي ، صاحب مهتـع اسماع والشيخ الشهير أبي علي الحسن اليوسي ، وما عثم أن بدأ يتعاطى للعلوم الصوفية بين يدي عدة أشياخ ، منهم أحمد بن عبد الله معن ، السابق الذكر ورفيقه الى الديار المقدسة ، وقاسم الخصاصي المشار اليه سالفاً ، وأبو العباس أحمد بن محمد بن ادريس الحسني القادري اليمني الصاعدي المتوفى بفاس سنة 1113 هـ (1701 م) .

(7) المراجع : الدر السني (ص59) لعبد السلام القادري ، و نتيجة التحقيق (ص12) للدلائي ، وكتاب الاستاذ كوراستقرا الشرفاء بالمغرب ، ص 20 (المؤلف)

(8) ترجم له في الدر السني (ص 62) و نتيجة التحقيق (ص 20) و النشر (ج 2 ص 158) و السطوة (ج 2 ص 354) الخ (المؤلف)

توفي بفاس في آخر شهر محرم 1106 (20 شتنبر 1694) ودفن خارج باب الفتوح بجانب قبر أبي المحاسن الفاسي .

يمتاز محمد العربي القادري بكونه أول من اهتم بتاريخ الفرع المغربي من الشرفاء القادريين ، فخصص تأليفا صغيرا غير معنون للكلام عن أشهر منهم بفاس ، ولخص تحفة أهل الصديقية ، المذكورة آنفا ثم أضاف معلومات جديدة الى ما كتبه صاحبها ، محمد المهدي الفاسي عن أتباع الجزولي وأحمد زروق ، وأسمى ملخصه الطريقة في اختصار التحفة (9) .

وسنرى ، بعد قليل ، أن عددا من العلماء المغاربة يذكرون أنه صاحب معجم مشاهير مدينة فاس المنسوب عادة الى ابن عيوش الشراط .



عبد السلام القادري

وأما أخوه عبد السلام فانه اشتهر ، قبل كل شيء بدراسة أنساب الشرفاء المستقرين بفاس ، مهما كان الفرع الذي يربطهم بالشجرة النبوية ، وبالإضافة الى ذلك فانه خلف دراسات لا يستهان بها ، في السير والتراجم .

هو أبو محمد عبد السلام بن الطيب القادري (10) المولود بفاس في 10 رمضان 1058 هـ (20 شتنبر 1648) وفي 10 صفر 1058 حسب ما ورد في العرف العاظم ، وبها تضيع في العلوم ، مواظبا على الحضور في حلقات الشيخ عبد القادر الفاسي وابنيه محمد وعبد الرحمان ، واليوسي، وأبي محمد العربي الفشتالي (المتوفى بفاس سنة 1092 هـ) وقاضي فاس الجديد أبي الفضل أحمد بن الحاج المرداسي السلمي (ت : 1109) وتخصص في علم الانساب حتى أصبح لا يثيق له فيه غبار ، ولا يضاهيه فيه ثان .

(9) توجد نسخة منها بالخزانة العامة تحت رقم 407 (المؤلف)

(10) ترجم له في الدر السني (ص 62) وفي النشر (ج 2 ص 162) و السلوة (ج 2 ص 348) و الدر البهية للفضلي (ج 2 ص 192) الخ (المؤلف)

زار عدة مرات أضرحة الصالحين ، وكثيرا ما تردد على مدفن مولاي عبد السلام ابن مشيش للتبرك والاعتاظ .

وفي آخر عمره قصد المناطق السوسية للوقوف بمزارات الاولياء ، ثم عاد الى فاس فوافاه بها أجله في 13 ربيع الاول 1110 (19 شتنبر 1698 م) ودفن ، خارج باب الفتوح ، قرب مرقد أخيه محمد العربي .

خلف عدة مؤلفات يتعلق أهمها بالانساب وبتراجم الصالحين (11) مثل **المقصود الاحمد في التعريف بسيدنا عبد الله أحمد** (أي شيخه معن الاندلسي) و **نزهة الفكر في مناقب الشيخين سيدي محمد وولده سيدي أبي بكر** (أي مؤسس الزاوية الدلائية وابنه) .

يعد كتابه **الدر السني في بعض ما بفاس من أهل النسب الحسن** أهم ما ألف في أنساب شرفاء فاس، اذ هو أول دراسة نثرية شاملة للعترة الشريفة المستوطنة بفاس ، وهي تعرف بالشرفاء والمنتسبين الى الحسن السبط وعبد الله الكامل من أبنائه ادريس ومحمد النفس الزكية وموسى الجون ، فالاولون هم الادارسة ومنهم الجوطيون (أي الطاهريون والشبهيون والعمرانيون والظالبيون الغالبون والديباغيون وشرفاء عقبة ابن صلوان - او الكتانيون -) والعلميون (الشفشاونيون والريسونيون والرحمانيون والحيانيون) ، وأما نسل محمد النفس الزكية فهم شرفاء سجلماسة أو فيلالة أي فرع الدولة العلوية ، وأحفاد موسى الجون هم القادريون . هذا ولم يفت مؤلفنا أن يشير الى الشرفاء الحسينيين ، وهم قليلون ، لا يوجد منهم بالمغرب إلا الصقليون والعراقيون الذين وفدوا من الاندلس ، وهكذا ختم

(11) أما مؤلفاته الاخرى فان أكثرها أراجيز تعليمية منها : (1) نظم مختصر السنوسي في المنطق - (2) احكام المعروف من احكام الظروف و (3) نظم فوائد الاعراب و (4) الرجز المحتوي على مسائل مختصر السنوسي و (5) ديوان ، (6) مصابيح الاقتباس في مدائح أبي العباس و (7) شرح سورة الاخلاص و (8) معونة الاخوان بمعرفة أركان الايمان والاسلام والاحسان و (9) النسيم المعبق في توجيه الخلاف الوارد في المنطق و (10) ذخيرة الاكتساب فيمن يدخل الجنة بغير حساب و (11) أرجوزة تقيم الافراح بتنعيم الارواح و (12) تنبيه المعرضين عن آيات السماوات والارضين و (13) اداع الحقوق في ابدال الفروق و (14) وسيلة السالكين بالعارفين الكاملين و (15) منهج الرشاد في لامية الاسناد و (16) رجاء الاجابة في البصريين الصحابة و (17) أرجوزة : نيسل القربات باهل العقبات و (18) اغائة اللفنان بمسانيد أولي العرقان . (المؤلف).

بذكرهم الاسر الكريمة المحتد، القاطنة بالمغرب ، مبينا منزلة كل فرع بالنسبة للشرفاء الذين بيدهم أزمة الحكم .

ونلاحظ أنه لم يتعرض لذكر الشرفاء السعديين وأنه تكلم بايجاز ، ومن غير افراط في المدح ، عن تاريخ تربع العلويين على العرش المغربي .

اهتم القادري بنسب الطائفة الشريفة التي ينتمي اليها ، في تأليفه **العرف العاظم فيمن بفاس من أبناء الشيخ عبد القادر** وخصص لفرع الشرفاء العراقيين مؤلفا آخر عنوانه **مطلع الاشراق في الاشراف الواردين من العراق** كما نظم قصيدة تحتوي على مائة وأربعين بيتا : **الاشراف على نسب الاقطاب الاربعة الاشراف** وهم : عبد القادر الجيلالي ، وعبد السلام بن مشيش ، وأبو الحسن الشاذلي و سليله أن الجزولي ، وضمتها أسماء بعض حفدتهم .

ان الكتب المذكورة صغيرة الحجم ، والظاهر أن الكتاب الاخير الذي شرع في تأليفه للتعريف بمشاهير المغرب في القرن الحادي عشر الهجري وأسماء نزهة النادي وتحفة الحادي فيمن بالمغرب من أهل القرن الحادي كان من المتوقع أنه يكون أهم مؤلفاته لو لم تحمل المنية دون اتمامه .

وسنرى أن حفيده محمد القادري هو الذي قام بتحقيق هذا المشروع عندما ألف **نشر الثاني** .

ابن عيشون الشراط (11)

إننا لا نتوفر على معلومات كثيرة عن حياة أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد ابن عيشون الملقب بالشراط ، والمولود سنة 1035 (1625 - 1626) . مات أبوه في غزوة قام بها مجاهدو فاس بتحريض العياشي ضد الاسبان وقت احتلالهم للمهدية (المعمورة) في شهر رمضان 1040 (ابريل 1631 م) . قضى قسما وافرا من حياته صحبة العباد والمجاهدين ، ومات بفاس في 7 صفر 1109 هـ (25 غشت 1697 م) .

اتهمه كثير من أصحاب التراجم بأنه نسب إلى نفسه كتاب الـروض العاطر الانفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس ، وهو كما رأينا ، لأبي عبد الله محمد العربي القادري ، مع أنه لم يؤلف الا تكميلا للروض عنوانه : التنبيه على من لم يقع به من فضلا فاس تنبيه .

وردت الإشارة إلى هذا الاتهام في نشر الثاني (ج 2 ص 159 ، سطر 12 وما بعده) ، ورأى الكتاني من إلمانة أن يذكره بشيء من التفصيل ضمن ترجمته لمحمد القادري فقال : « ، ، ، » ومن تأليفه الـروض العاطر الانفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس المنسوب لابن عيشون . وذلك ان ابن عيشون طلب منه وضع تأليف مختصر في التعريف بصالحي فاس وأخبارهم ، قال صاحب الترجمة في كفايته المذكور : فأسعفته ثم أستأجرتني على كتابته فجعلت أنشئه في كراريس من القالب الرباعي ، وكلما أعطيته كراسة بخطي ناولني أجرة كتبها حتى أتممته في نصف شهر ليس فيها تخطيط ولا تشطيب ، ولا تقديم ولا تأخير كأنها كتبت من أصل واحد ، وعدد من ترجمت له فيه ثمانون ولها الا واحدا ، أولهم سيدي دارس بن اسماعيل ، وآخرهم سيدي مجبر ، ولم يبق عندي من التأليف المذكور شيء ، ثم عرض لي بعد ذلك بالقرب خروجي إلى الحج ، وذلك سنة 1100 هـ (1689 م) فخرجت وبقيت غائبا سبعة عشر شهرا وأياما ، ثم قدمت ، فعرض لي أمر عظيم ألزمني الفراش مدة من أربع سنين ، شغلت فيه بنفسي ، ثم حصلت لي بعد ذلك استراحة ، فأنهى إلي

(11) ترجم له في النشر (ج 2 ص 161) وفي الالتقاط (ص 48) وفي السطوة (ج 1 ص 8) . (المؤلف)

بعض الفقهاء أن ابن عيثون نسب التأليف لنفسه وذكر اسمه في خطبته ،
فمجبت كل العجب واستغربت كل الاستغراب ، ثم لقيته بعد قرأته عنده بغير
خطي في سفر من القالب الكبير ، فنظرت إليه فإذا هو منسوب إليه ، وزيد
له فيه والده وشيخه سيدي حمدون المالحافي وبعض أصحاب سيدي مسعود
الشرائط وبعض أهل الوقت من أهل فاس ، أربعة أو خمسة فتحير عقلي من ذلك
والله ما علم ما فيه ولا فهمه فضلا عن أن يؤلفه ، فقلت له : ما هذا ؟ فنجل
وخرس ولم يجد جوابا ، عفا الله عنه .

لأنه لمن الصعب أن نشك في صحة هذا الخبر أو نظن أنه من اختلاقات
بعض أصحاب السير والتراجم .

وذكر في السلسلة أن محمدا العربي القادري عزم على اخراج الروض
في حلة جديدة إلا أن المنية حالت دون تحقيقه لعزمه .

ليس لدينا ، نحن ، وسيلة لاثبات أو نفي هذا الاتهام ، إلا أننا نستغرب
سكوت الافرناني عن هذه « السرقة » ، وهو بالإضافة الى كونه يعتبر من
المعاصرين للرجلين ، قد سجل الروض من جملة مصادر كاتبة صفوة من
انتشر وذكره منسوباً لابن عيثون (12) .

وسواء أكان الروض لمحمد بن العربي القادري أو لابن عيثون الشرائط
فانه غير كاف لاكتساب صاحبه الشهرة والمجد .

ورد في النسخة التي بين أيدينا أنه فرغ منه في شهر رمضان 1099 هـ
(يليوز 1688 م) وأنه ألفه تربة لله م ومعلما فقد اقتصر عليه على تدوين مناقب
تسعة وثمانين صالحا من صلحاء فاس ، مات أكثرهم خلال القرنين الميلاديين
السادس عشر والسابع عشر ، وأقبروا خارج باب الفتوح أو قرب باب الجيسة
ولا زالت تذكر منهم الآن بفاس فئة قليلة مثل المولى ادريس ، وأبي الحاسن
القاسي ، وأحمد الشاوي ، بيد أن الباقيين أصبحوا نسيا منسيا .

ومهما يكن فانتا نجد في السلسلة تراجم جميع من ذكروا بالروض ، ولذا
يسوغ لنا أن نرى السلسلة من المصادر التي لا غناء عنها للمهتم بتاريخ
تراجم أعلام المغرب .

محمد الطيب الفاسي (13)

هو أبو عبد الله محمد الطيب بن محمد حفيد الشيخ عبد القادر الفاسي .
ولد بفاس سنة 1064 أو 1068 هـ (1653 - 1658 م) ولم يكد يبلغ طور
الشباب حتى اشتهر بصفاء الذهن وخالص النجابة ، اعتنى بتربيته وتنقيفه
عدد من علماء البيت الفاسي ، منهم أبوه وجده وعماه محمد المهدي وعبد
الرحمان .

وأخذ عن أبي سالم العياشي ، صاحب الرحلة ، وأجازه الفقيه المصري ،
أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الخرشبي شارح مختصر خليل .

تصدر للتدريس فأفاد عددا لا يستهان به من الطلبة . وفي سنة 1103 هـ
(1692 م) عينه السلطان مولاي اسماعيل ليكون ضمن السفارة التي أوقدها
الى العاصمة الجزائرية لامضاء الهدنة مع الاتراك ، وذلك اثر انهزام الجيش
الفرنسي « بالمشارع » على نهر ملوية ، وقد شارك في تلك السفارة مولاي عبد
الملك بن مولاي اسماعيل ، والكاتب محمد الوزير العسائي ، وجماعة من أكابر
موظفي البلاط المكناسي .

أشيع اثناء غياب أعضاء هذه السفارة أنهم اغتيلوا ولكن سرعان ما
تأكدت سلامتهم (14) .

عاش محمد الطيب ، بعد ذلك ، عشر سنوات ومات . خلال حياة أبيه ،
في 19 ربيع الثاني 1113 هـ (19 شتنبر 1701 م) فدفن بجانب ضريح جده
عبد القادر ، في زاوية الفاسيين بحي القليبين .

(13) ترجم له في النشر (ج 2 ص 167) والانتقاط (ص 50) و السلوة (ج 1 ص 318)

(14) ذكر ذلك القادي في نشر الثاني ، والناصري في الاستقصا والاستاذ كور في
كتابه عن استقرار الدول الشريعة بالمغرب .

لم يترك مؤلفات كثيرة ، بل كان من أهم ما قام به وضع فهرس أبيه
الذي أسماه **أسهل المقاصد لحلية المشايخ ورفع الاسانيد الواقعة في مرويات**
شيخنا الوالد . وكان قد عزم أيضا على تأليف معجم تراجم لاعلام القرن
الحادي عشر الهجري ، فشرع في انشائه تحت عنوان **مطمح النظر ، ومرسل**
العبير ، بذكرى بمن غير ، من أهل القرن الحادي عشر ألا أنه وقف عند وفيات
سنة 1013 هـ إذ أن آخر ترجمة تامة حررها فيه هي ترجمة سلفه أبي المحاسن
التي أتبعها بترجمة سيدي أحمد الشاوي ، حسبما وجدناه مسجلا في **سكوة**
الانفاس (ج 1 ص 279 السطر 22 و 23) .



محمد الوزير الغساني (15)

هو أحد أفراد السفارة التي وجهها للجزائر المولى اسماعيل برئاسة محمد
الطيب الفاسي المذكور آنفا ، وكان قام ، قبل ذلك بشهور ، بسفارة سياسية
لاسبانيا .

اسمه أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني ، وينتمي إلى
أسرة أندلسية عريقة هاجرت الى المغرب في نهاية العصر الوسيط ، وكان
متضلعا في الادب وحريصا على اقتناء الكتب .

أسندت اليه الكتابة ، عدة سنوات ، بالبلاط المكناسي وانتقل ، بعد ذلك
الى فاس ، حيث توفي ، عام 1119 هـ (1707/1708 م) .

كلفه السلطان مولاي اسماعيل في آخر سنة 1101 هـ (1690 م) بالذهاب الى الاندلس للمفاوضة في افتكاك من بها من الاسرى المسلمين والعمل على استخراج ما قد يكون بقي بالمساجد الاندلسية القديمة من مؤلفات عربية .

وصل الى سبتة في 15 محرم 1102 (19 أكتوبر 1690 م) فعبر البوغاز نحو جبل طارق ، ثم توجه نحو مدريد فحط بها الرحال في 7 ربيع الثاني من نفس السنة (8 يناير 1691) استقبل من لندن للملك الاسباني شارل الثاني مرات ثم قفل عائدا الى وطنه ، وبه أخذ في تسجيل مذكرات سفارته في كتاب سماه **رحلة الوزير في افتكاك الاسير (16)** .

عرفت هذه الرحلة بأوروبا منذ أن نشر ترجمة جزء منها ، سنة 1884 ، الاستاذ سوفارت تحت عنوان **رحلة سفير مغربي الى اسبانيا (1690 - 1691)** .

سجل الوزير في هذه الرحلة كل ما نقيه من حفاوة وتكريم في البلاط الاسباني ، ووصف فيها بدقة وايجاز ما شاهده من منشآت أو لاحظته من عادات وتقاليد ، انها تشتمل على معطيات طريفة عن المجتمع الاسباني الارستوقراطي وعن البلاط الاسباني في أواخر القرن السابع عشر الميلادي .

غير أننا لا نجد فيها معلومات كافية لا عن أسباب السفارة ، ولا عن الاتفاقات التي قد يكون أسند اليه العمل على ابرامها مع الحكومة الاسبانية في شأن الاسرى ، ونحن نأسف لهذا النقص نظرا لقلّة ما لدينا من أخبار عما كان بين المغرب وبين الدول الاوروبية المتاخمة للبحر الابيض المتوسط من مساع ومفاوضات لتبادل الاسرى أو فكاهم منذ القرون الوسطى الى الاحقاب المتأخرة .

(16) أشار الى هذه الرحلة صاحب دليل المؤرخ (رقم 1481) وقال عنها : طبعت على الحروف في مدينة طنجة سنة 1940 (1359 هـ) مع ترجمتها الى اللغة الاسبانية . وحل عناصر هذه الرحلة الاستاذ هنري بيرس في كتاب باللغة الفرنسية عنوانه **اسبانيا كما رآها المسافرون المسلمون من 1610 الى 1930** (طبع بريس 1938) ويجب هنا التمييز بين هذه الرحلة والرحلة المعنونة **بالاكسير في افتكاك الاسير التي ألفها محمد بن عثمان المكناسي وحققها الاستاذ محمد الفاسي** (منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي - الرباط (1965) -) (المغرب) .

أحمد الحلبي (17)

سراج الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي المنشأ والدار ، الفاسي
الرحلة والقرار .

أخذ بالشرق عن العالم المصري الكبير محمد الرفاعي ثم قصد المغرب
واستقر بفاس سنة 1080 هـ (1669 - 1670 م) .

كان شافعي المذهب ولذا لم يكن يشارك فيما يقع من مداولات فقهية بين
رجال المذهب المالكي إلا أنه اشتهر بتبحره في الأدب وبتضلعه في النظم وفن
المقامات ، وحظي بالتقدير من لدن أعلام الفكر والثقافة ، عاش بفاس إلى أن
وافاه أجله في جمادى الثانية 1120 هـ (18 غشت / 15 شتبر 1708 م) فدفن
خارج باب الفتوح .

ألف الحلبي مؤلفات ذات طابع أدبي وأخرى في الشمائل النبوية ، ويمكن
عده من كتّاب التراجم المغربية لأنه دون مناقب إدريس الثاني في كتاب أسماء
المدن النفيس والنور الانيس في مناقب الإمام إدريس بن إدريس (18) .

ويعتبر هذا المؤلف المستقاة عناصره من مصادر قديمة الاسطورة الذهبية
الكاملة لمؤسس فاس ولوالده .

قد يكون الحلبي قام بتأليف الدر النفيس ليؤكد تعلقه بفاس ، ذلك الوطن
الذي اختاره لنفسه ، وليتسنى له تمجيدها بذكر فضائل أشهر صلحائها .

ومن جهة أخرى يجوز لنا أن نرى في الدر مظهرا جديدا من مظاهر
التقديس الذي أخذ يضاف أكثر فأكثر على الشرفاء الادارسة ابتداء من القرن

(17) ترجم له الطممي في الانيس المطرب (ص 6 و 19) والقادري في النشر (ج 2 ص

185) والكتاني في السلسلة (ج 2 ص 164) (المؤلف)

وترجم له أيضا العباس بن ابراهيم في الاعلام ، (ج 2 ص 332 ط 1974) (المغرب)

(18) طبع بفاس مرتين في 1300 و 1304

السابع عشر الميلادي كرد فعل ضد نفوذ السلطة المركزية ، وشارك حتى السلاطين العلويون في تركيزه بمهارة وحقق (19) .
ومهما يكن فان الحلبي لما أخرج هذا المؤلف للناس أصبح يتمتع بعطف العدد الوافر من شرفاء العاصمة العلمية (20) .



ابن زاكور (21)

استنهر أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد ابن زاكور الفاسي بأسفاره وبحبه للثقافة الاصيلية .

ولد بفاس في منتصف القرن السابع عشر الميلادي وأقبل ، منذ حداثة سنه على طلب العلم ، فأخذ عن جماعة من أفاضل الشيوخ كعبد القادر الفاسي ، ومحمد المهدي الفاسي ، وعبد السلام القادري ، والحسين اليوسي والقاضي أبي عبد الله محمد العربي بن أحمد بن بردلة ، وأبي الفضل أحمد ابن الحاج وأبي عبد الله محمد بن أحمد القسنطيني .

ثم قصد مدينة تطوان حيث استفاد من العالم الجليل أبي الحسن علي بن محمد البركة ، ومدينة الجزائر فأخذ عن فقيها أبي محمد بن أبي عثمان سعيد قدورة الذي أجاز له في العشرة الاولى من رجب 1094 هـ (26 يونيو / 5 يوليو 1683 م) .

(1) لاحظ الاستاذ بال أنه منخذ بدأت تظهر في الانشاءات الادبية والكتابات المنقوشة العبارة الحضرة الادريسية ويقصد بها مدينة فاس (بال : اكتابات العربية بفاس : ص 11) (المؤلف)

(20) واليكم قائمة مؤلفاته : 1) ديوان 2) مجموعة من المقامات عنوانها : الحقل السندسية في مدح الشماثل المحمدية 3) كشف اللثام عن غرائس نعم الله تعالى ونعم رسوله عليه السلام - 4) السيف الصقييل في الانتصار لصالح الرب الجليل - 5) فتح الفتاح على مرآة الارواح (وهو شرح لبعض قصائده) 6) معراج الوصول في الصلاة على اكوم نبي ورسول 7) مناهل الصفاء في جمال ذات المصطفى 8) مناهل الشفا في رؤيات المصطفى 9) الروض البسام في رؤيا غيره عليه السلام - 10) السيف السلول في قطع أوداج الفلوس المخنول - 11) الكنوز المختومة في السمحة المقسومة لهذه الامة المرحومة - 12) ريعان القلوب فيما للشيخ عبد الله البرنادي من أسرار الغيوب - 13) الدر النفيس .

(21) ترجم له في الانيس المطرب (ص 19) و النشر (ج 2 ص 186) و الالتقاط (ص 57) و السكوة (ج 3 ص 179 - الخ - (المؤلف)

اشتغل طول حياته بتأليف الكتب ، ومن ضمنها ديوان وشروح لجملة
من المتون المنظومة والقصائد السائرة .

توفي بفاس في 20 محرم 1120 هـ (11 ابريل 1708 م) ودفن خارج باب
الجيسة .

ومن بين مؤلفات ابن زاكور ، يجدر بنا أن نسر هنا الى كتابه الاستشفاء
من الالام بذكرى آثار صاحب العلم الذي نذكر فيه أقارب مولاي
عبد السلام ابن مشيش وأسماء القري الجبلية التي يقطنها
الشرفاء من أحفاده، وكذلك الى شبه فهرسة ترجم فيها لعلماء تطوان والجزائر
الذين أجازوه وقد سماها : نشر تراهير البستان فيمن أجازني بالجزائر
وتطوان من فضلاء الاكابر والاعيان (22) واخيرا الى كتيب تاريخي عنوانه :
العرب المبين عما تضمنه الانيس الطرب وروضه النسرين المشير عنوانه
الى أنه يعتبر تكميلا لكتاب ابن ابي زرع روض القرطاس ولكتاب ابن الاحمر :
روضة النسرين .

أتم ابن زاكور المغرب ، وهو يشتمل على نحو الثلاثين ورقة ، في
آخر ربيع الاول سنة 1097 هـ (24 فبراير 1686 م) وقد بين في خطبته أن
قصده هو اكمال ما ورد في للكتابين المذكورين من أخبار عن الدول المغربية
القديمة ، وذلك بذكر وفيات الاعلام للذين عاشوا في الفترات التاريخية التي
عني سابقاه بدراستها ، ولكنه صار في عمله هذا على منهج مؤرخي عصره
فأورد ، بجانب تلك الوفيات ، معلومات وجيزة تتعلق بالدول الادريسية
والمغراوية والمرابطية والموحدية والمرينية ، منها ذلك بالاشارة الى موت محمد
ابن محمد ابن عرفة التونسي . وهذا لا يخلو اذن من فوائد تخص التراجم
والسير ولذا نراه جديرا بالتحقيق والنشر (23).

(22) طبع بالجزائر سنة 1319 (المؤلف)

(23) ذكر الاستاذ نيجل NEIGEL ، في مجلة العالم الاسلامي (ج 24 ص 296)
«انه رأى بخزانة زاوية ابي الجعد مخطوطا عنوانه : المطرب في أخبار سلاطين المغرب ألفه ، حوالي
1200 هـ محمد بن قاسم بن زاكور الفاسي ، ومن المرجح أن يكون ذلك المخطوط نسخة من المغرب
المبين (المؤلف).

الولائي (24)

كثيرا ما يذكر المترجمون المغاربة الذين عاشوا في القرن الثامن عشر الميلادي ، العلامة المكناسي النبيه ، أبا العباس أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب الولائي ، من بين أصحاب المصادر التي يستقون منها معلوماتهم .
تصدر هذا الشيخ للتدريس بجامع قسبة الحضرة الاسماعيلية وتوفي بمكناس في 2 رجب 1128 هـ (22 يونيو 1716 م) .

تفقه وانتفع بصحبة العارفين الشيخ أبي العباس أحمد اليمني والشيخ أبي العباس أحمد بن عبد الله معن اللذين سبق ذكرهما ، واستفاد ، بصفة خاصة ، من الولي العارف سيدي محمد بن عبد الله السوسي المتوفى بمكة سنة 1079 هـ (1668 / 1669 م) .

ألف مجموعة كتب (25) منها قائمة تراجم لأكابر رجال التصوف الذين لقيهم وعنوانها مباحث الانوار في أخبار بعض الاخيار والظاهر أنها مفقودة (X)



أحمد بن ناصر (26)

هو أحمد بن محمد بن محمد ابن ناصر ، ذكرناه من بين أصحاب التراجم وان لوحظ أن عمله في هذا المجال لم يكن ذا شأن بالنسبة للشهرة الواسعة التي حظي بها بصفته المنظم الحقيقي ، بالجنوب المغربي ، للطريقة الناصرية

(24) ترجم له في النشر (ج ص 194) والالتقاط (ص 59) ، والولائي نسبة الى بني ولال من بني عطاء ، قبيلة باقصى جبال ملوية (المؤلف)

وترجم له أيضا في الالتقاط (ج 1 ص 240) (المغرب)

(25) وهي : 1) شرح مختصر السنوسي في المنطق - 2) شرح السلم ، تأليف الاخضري 3) شرح الجمل للخونجي - 4) شرح رسالة الجرجاني - 5) شرح خطبة مطول التفتزاني في البلاغة - 6) شرح تلخيص المفتاح للقزويني - 7) شرح مقاصد الطالبين في اصول الدين للتفتزاني 8) شرح لامية الانعمال لابن مالك - 9) حاشية على شرح المحلى على جمع الجوامع 10) شرح على روضة الازهار للجاذري في التوقييت (المؤلف)

(X) ذكر في دليل المؤرخ (رقم 856) ، ، ألفه في شيخه أبي عبد الله محمد بن عبد الله السوسي ، وذكر صاحب الاعلام أنه رتبته على ثلاثة مباحث : الاول في مناقب والده وجده ، والثاني فيمن عاصره أو كاتبه والخاتمة في ذكر المشاهير من أهل البيت انقاطنين بالمغرب الأقصى (المغرب)

(26) ترجم له في الصفوة (ص 221) و النشر (ج 2 ص 196) و الالتقاط (ص 60) و السلوة (ج 1 ص 264) و طلقة الشتر في النسب الجعفري (ج 2 ص 17) (المؤلف) وترجم في الاعلام (ج 2 ص 357) (المطبعة الملكية) (المغرب).

المتفرعة عن تعاليم الامام أبي الحسن الشاذلي ، ويصفته كذلك مؤلفا لرحلة
حجازية لزيارة الاراضي المقدسة الاسلامية .

ولد بتمكوت ، مركز الزاوية الناصرية الام ، في 18 رمضان 1057 هـ (17
نوفمبر 1647 م) . تخرج على والده للشيخ سيدي محمد الذي استخلفه بعده
رئيسا للزاوية المذكورة ، ثم أخذ عن أبي سالم العياشي وعن جماعة من أكابر
علماء الجنوب المغربي .

حج مع والده ، وسنه يومئذ تسع عشرة سنة ، ثم حج بعد ذلك ثلاث
مرات ، فأتاحت تلك الرحلات للحرمين الشريفين انشاء بعض الفروع
للزاوية الناصرية ، والاجتماع ، في القاهرة والمدينة المنورة ، بشيوخ أجازوه
فيما تلقى عنهم من علوم .

قدم على السلطان مولاي اسماعيل بداره في مكناسة الزيتون رغم أنه
كان بينه وبين ذلك السلطان تغلغل صبيح عم ذكره له ، أول الامر ، في
خطبته .

أخذ عنه بتمكوت طائفة من الاتباع ، وبها توفي في 19 ربيع الاول 1129
(3 مارس 1717 م) .

جمعت رحلته وصف ما شاهده وسمعه أثناء الحجة التي قام بها سنة
1121 هـ (1709 / 1710 م) ، وكان قد استعد لها قبل ذلك بعامين ، الا أن
السلطان لم يأذن لاحد بالسفر عهدئذ .

وهذه الرحلة شبيهة **برحلة العياشي** فهي تشتمل مثلها على معلومات
تتعلق بالمسالك والمنازل، وذكر فيها عدد وافر من علماء مصر والجزيرة العربية
اشتهروا في مستهل القرن الثامن عشر الميلادي ، الا أنها أقل تداولاً منها في
الاعواسط الثقافية المغربية .

وقد طبعت في فاس (سنة 1320) في جزئين، وترجم قسما منها الاستاذ

باربروجا اثر قسم من رحلة العياشي ونشر الجميع
بمجلة جزائرية

أحمد بن عطية (27)

هو الولي الصالح أبو العباس أحمد بن محمد الحارثي بن محمد فتحا بن عطية الزناقي ^{الأندلسي} السلاري الفاسي .

تخرج على جده محمد بن محمد بن عطية المتوفى سنة 1052 هـ (1642 /

1643) وعن أبي الحسن علي بن عبد الرحمان بن أحمد بن يعقوب بن صالح

بن علي الدرعي التادلي (ت : ربيع الاول 1091 - ابريل 1680) .

دفن زاويته في جبل تمجوط بتادلا .

ألف كتابين ، أسلوبهما مهلهل ، أحدهما صغير الحجم عنوانه **التفكير**

والاعتبار في تاريخ المصطفى وبعض أصحابه الأخيار ومن اتبعهم من العلماء

السادات الصوفية الأبرار ، وثانيهما أكبر منه وعنوانه : **الأنوار في ذكر**

طريقة السادات الصوفية الأخيار .

توفي ، حسب ما ورد في **السلوة** ، في 18 ربيع الثاني 1129 هـ (1 ابريل

1717 م) في السنة التي توفي فيها أحمد ابن ناصر .



العميري (28)

في سنة 1131 هـ (1718 - 1719 م) توفي بمكناس عالم تادلي الاصل

وهو أبو عثمان سعيد بن أبي القاسم العميري الذي كان تلميذا لليوسي .

ولاه السلطان مولاي اسماعيل ، الافتاء والتدريس بمسجد القصر ، ثم

ولاه القضاء بعاصمته .

لم يخلف الا فهرسة أثبت فيها نصوص بعض الاجازات ، وأورد فيها

كذلك بعض المعلومات التاريخية، استفاد منها الاخباريون الملاحقون الذين تكلموا

عن عهد السلطان العلوي العظيم .

(27) ترجم له في الانتقاط ص 43 و السلوة (ج 1 ص 371) (المؤلف)

(28) ترجم في الانيس المطرب (ص 19) و النشر (ج 2 ص 297) و الدرر (ص 60)

أحمد القادري (29)

هو أبو العباس ، وأبو الفضل أحمد بن عبد القادر بن علي (علال) بن أحمد بن محمد القادري المنتمي إلى الشرفاء القادريين القاطنين بفاس .

ولد بالحضرة الإدريسية سنة 1050 هـ (1640 / 1641 م) وانكب منذ شبابه على طلب العلم وعلى العبادة والتبذل ، وحمل السلاح عدة مرات قصد الجهاد في سبيل الله .

وفي سنة 1083 هـ (1672/1673 م) غادر المغرب ليحج ، ويبقى بالقاهرة حوالي سبع سنوات ، حضر أثناءها لدروس العالمين الجليلين عبد الباقي الزقاني ومحمد الخرشي شارحي مختصر خليل .

وفي القاهرة أيضا تفضل في للطريقة القادرية عن حفة الشيخ عبد القادر الجيلالي الساكنين بالعاصمة المصرية .

عاد إلى فاس إلا أنه لم يلبث أن قصد من جديد الأراضي المقدسة ، عام 1100 هـ (1688 / 1689 م) رفقة شيخه أبي العباس أحمد بن عبد الله معن السابق الذكر ، ثم قفل راجعا إلى مصقط رأسه حيث وافاه أجله في 19 جمادى الأولى 1133 هـ (18 مارس 1721 م) فدفن خارج باب الفتوح .

ترك رحلة ، سجل فيها ، بصفة خلاصة ، مناقب رفيقه الصالح ، في حجته الثمانية وأسمائها : **نسمات الآس في حجة سيدنا أبي العباس (30)**.

(29) ترجم له في **النشور** (ج 2 ص 201) وفي **السلسلة** (ج 2 ص 253)

(30) اعتنى كذلك بتلخيص تلك الرحلة ، وخلف تآليف صغيرة منها المنشور والمنظوم ، وتقصيدة في فكر الصحابة الذين هاجروا إلى الحبشة (المؤلف)

محمد بن عبد الرحمان الفاسي (31)

أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي ، العالم الجليل ، وارث سر أبيه وجده .

ولد بفاس في 19 جمادى الثانية 1058 هـ (11 يوليوز 1648 م) ، تبحر في العلوم الاسلامية عن أبيه وعمه محمد .

أجازه بالمغرب أبو سالم العياشي ، وبالمشرق ، أثناء رحلته للحرمين ، العلماء الاعلام : الخرشي والزرقاني والسهرزوري ، كان فريد عصره بالحضرة الادريسية ، وقد أخذ عنه عدد وافر من الطلبة ، أحدهم الافراني المؤرخ الشهير .

أصيب ، في آخر عمره ، بالشلل ، وكانت وفاته في منتصف سنة 1134 هـ (1722 م) (32) .

دفن بزاوية جده ، بحومة القلقيين ، ألف فهرسة سماها : **المنح البادية في الاسانيد العالية** واورد فيها معلومات غزيرة تتعلق باشيخه وأقاربه وقد استفاد منها الافراني كثيرا فيما أورده في **المنزهة والصفوة** .



العلمي (33)

هو أبو عبد الله محمد بن الطيب الشريف العلمي ، نسبة الى الولي الصالح عبد السلام ابن مشيش ، دفين جبل العلم ،

كان أحد اكابر الادباء الذين اشتهروا في عهد السلطان المولى اسماعيل .

(31) ترجم في **الصفوة** (ص 226) و **النشر** (ج 2 ص 252) و **السلوة** (ج 1 ص 319)

(32) في **الصفوة** : (مات في منتصف شعبان) عند القادري (في 5 جمادى الثانية وفي **السلوة** (في 15 من نفس الشهر) (المؤلف)

(33) ترجمته في **الصفوة** (ص 226) وفي **النشر** (ص 202) و **الالتقاط** (ص 62) و **السلوة** ج 1 ص 319) وفكره باسي في **الابحاث الجبلوغرافية** (ص 18 رقم 36) (المؤلف)

ولد بفاس وأخذ ، بها ، عن عدد من مشاهير الشيوخ ذكرهم في **الانيس المطرب** ، ومن جملتهم أبو الفضل مسعود جموع الفاسي الدار ، السجلماسي المولد . السلوي المدفن ، ومحمد القسنطيني ، وعبد السلام القادري ، ومحمد ابن عبد القادر الفاسي الخ ، وأخذ كذلك عن علماء آخرين في جبل زرهون ، بزاوية المولى ادريس ، وفي مكناس وتطوان .

قضى قسما من حياته بفاس ، وبمكناس حيث اشتغل بالبلاط السلطاني ثم قصد الشرق لاداء الفريضة الا انه توفي بالقاهرة عام 1134 او 1135 هـ (1721 / أو 1723 م) .

اشتهر محمد العلمي بقرض الشعر ونظم القصائد في مختلف المواضيع ، الدينية منها والادبية الصرفة .

خلف كتابا ضمنه جميع منظوماته ، وهو **الانيس المطرب في من لقيته من أدباء المغرب** (34) سجل فيه الاحاديث الادبية التي راجت بينه وبين اثني عشر أديبا من ابناء عصره وهم : الطيبي ، وابن زاكور ، ومسعود المريني ، والكاتبان الحاج محمد بن العربي الشرقي ، والمهدي الفزال ، والوزير أبو حفص عمر الحراق الحسني الشفشاوني الاصل الذي أفاده بقصيدة وصف فيها بلده ، والكاتب أحمد دادوش ، ومحمد البوعصامي الذي علمه الموسيقى ، وعبد القادر بن شقرون المكناسي ، والكاتب محمد بن سليمان ، والحاج علي مندوش ، ومحمد بن يعقوب .

اشتغل العلمي ذلك الإطار الذي خطه لمؤلفه ليجعل منه ، لا ديوان أشعار فحسب ، بل كشكول نكد ونوادر واستطرادات في الفنون الادبية والعلمية ، كقصيدة البرامكة ، وفدلكات فلكية وطبية ، وفي الضرب على العود .

يذكر هنا المؤلف بكتاب ابن خاقان **قلائد العقيان** بل بكتاب ابن القاضي **الفتقى المنصور** نعم ، فاذا كان ابن القاضي عرف برجال الادب في عصر أحمد المنصور فان العلمي أفادنا بمعلومات جمة عن الفنون الادبية بالمغرب في القرن الثامن عشر الميلادي ، كما بين لنا ، على وجه التقريب ، أنه لم يكن يهتم اذ ذاك ، بتلك الفنون الا جماعة من الموظفين بالبلاط المكناسي .

المعداني (35)

في أواخر القرن السابع عشر الميلادي ، اشتهر بناحية تادلا أسرة مرايطية وهي الاسرة الشرقاوية ، مؤسسة زاوية أبي الجعد .

لما تحقق السلطان مولاي اسماعيل أن تلك الاسرة لا تطمح في أي نفوذ دنيوي ، أحاطها بالاحترام حتى أصبح ضريح جدهم من أعظم المزارات .

سبق أن أشرنا الى أن زاويتهم كانت مركزا دينيا ومثلا لاهل العلم والمعرفة أمثال الافراني .

كان أبو علي الحسن بن رحال المعدني التادلي أول من اعتنى بتدوين تاريخها وبذكر مناقب أعلامها ، وهو فقيه جليل مالكي المذهب ، تخرج عن اليوسي وعن عبد السلام القادري ، وكانت له حلقة بالمدرسة البوعفانية .

ولى القضاء بفاس القديمة ، ثم عينه المولى اسماعيل للقضاء بمكناس ، وهو الذي أم بالناس صلاة الجنازة التي أقيمت يوم وفاة هذا السلطان العظيم سنة 1139 هـ (1727 م) . ولبي داعي الله ، بنفس المديفة ، في السنة التالية (3 رجب 1140 هـ (14 فبراير 1728 م) .

ألف كتابا وسمه : **الروض اليبانع الفائح في مناقب الشيخ أبي عبد الله محمد الصالح** ، وعرف فيه بأحد شيوخ زاوية أبي الجعد ، محمد الصالح ابن محمد المعطي الشرقي ، وهو عين الشيخ الذي كان آوى اليه المؤرخ الافراني أيام محنته ، كما بينا ذلك في ترجمته .

وللمعداني مؤلفات أخرى الا أنها تتعلق بالمسائل الفقهية وهي : (1) حاشية ضافية على مختصر خليل (2) حاشية على شرح ميارة لتحفة ابن عاصم ، و (3) الارفاق في مسائل الاستحقاق .

(35) ترجم القادري في النشر (ج 2 ص 214) وفي الانقضاء (ص 2/65) وباسي في

الابحاث الجبلوغرافية (ص 34 رقم 81)

الدلائيون

ليس من شأننا أن تأتي هنا بتاريخ الزاوية الدلائية ، ولكن لا بأس أن نذكر أن أبا بكر بن محمد الدلائي هو الذي أسسها ، وذلك وسط المغرب ، في مكان بوادي نهر أم الربيع ، لم يذات الى الآن تحديد موقعه بالضبط (36) وقد أصبحت مقصد الزوار في حياته ، وذات شهرة واسعة في حياة ابنه محمد ، واستقل حفيده ، محمد الحاج ، ما كان لاسرته بالمغرب من سمعة طيبة ومن نفوذ روحي مكين ، لاثبات أركان دولة جديدة تخلف الدولة للسعدية التي كانت وقتئذ ، مفككة الأوصال ، مشرفة على الانهيار . وكان محمد الحاج مسموع الكلمة ، مطاع الأمر في بعض مناطق البلاد الى أن تغلب عليه مولاي الرشيد ، سنة 1079 هـ (1668 م) فكسر شوكته وبدد آماله . لقد عفا السلطان العلوي عن الدلائيين الا أنه خرب زاويتهم ، وقوض ركنهم وبنى زعماءهم الى تلمسان . ثم نذر لهم بالرجوع الى فاس حيث استقروا وطاب لهم المقام وحظي للعلماء منهم بالتقدير والتكريم من لدن رجال الفكر ، لانهم ، هم أنفسهم ، كانوا ، ليلى ازدهار زاويتهم ، يستقبلون من يزورهم من الادباء بحفاوة ما عليها من مزيد .

وهكذا ما كانت تمر سنوات على عودتهم الى الحضرة الإدريسية حتى أصبحوا يضاهون البيت الفاسي في الشهرة بالعلم والعرفان ، واحتلوا الصدارة من الارستوقراطية الدينية والفكرية في فاس . ولما رأى الحوات ، في القرن التاسع عشر الميلادي ، أنهم جعيرون بأن يخصص لعلامهم كتاب تفصل فيه فضائلهم ومزاياهم ، لاشك أنه بنى ذلك على ما لهم من مكانة في الأوساط العلمية المغربية ، لا على ما كان لحدودهم من فوز زائل في المجالات السياسية . حظي دلائيان ، في العهد العلوي ، بشهرة واسعة ، وهما محمد المسناوي ، ومحمد بن عبدالرحمان ، وحيث ان كلا منهما ألف كتابا للتعريف بطائفة من شرفاء المغرب لابد من اعطاء معلومات عن حياتهما .

(36) تمكن الاستاذ محمد حجي من ازالة الستار عن كثير من الحقائق المتعلقة بهذا الموضوع ، وذلك في كتابه **الزاوية الدلائية** (ط الرباط 1964) (المغرب)

محمد المسناوي الدلائي

ولد أبو عبد الله محمد المسناوي بن أحمد بن محمد المسناوي بن محمد بن أبي بكر الدلائي (37) عام 1072 هـ (1661 - 1662م) بالزاوية الدلائية . ولما هدمت ، بعد ذلك بخمس سنوات ، ذهب به أبوه إلى فاس ، فأقبل ، في سن مبكرة على طلب العلم ، فأخذ عن أشهر مشايخ زمانه ، عبد القادر القاسي وابنه محمد ، والعربي القادري ، وأخيه عبد السلام ، ومحمد للقسنطيني ، ومحمد ابن الحاج ، والحسن اليوسي وعبد الملك التجموعتي الخ ، ، حتى قاق أبناء جيله وتصدر للتدريس فتزاحم حوله الطلبة ، حتى إن أكثر كتاب التراجم ، في القرن الثامن عشر ، يعدون من تلامذته .

ولى الخطابة والامامة مدة بالمدرسة البوعنانية ثم بحرم المولى إدريس كان من ذوي الخير والإصلاح ، ولما أحس بدنو أجله نظم قصيدة من أربعين بيتا ، تضرع فيها إلى الله سائلا آياه تعالى الرحمة والمغفرة . ولما توفي في 16 شوال 1136 هـ (8 يوليوز 1724 م) كان موته مأتما للمدينة كلها وقد شيع سكانها جنازته في محفل رهيب ، وأوروا جثمانه في قبر كان حفره بنفسه ، قبل ذلك بثلاث سنوات في قبة سيدي محمد العابدني (38) بروضة العلماء خارج باب الفتوح .

ألف محمد المسناوي عدة كتب منها : (1) جهد المقل القاصر في نبصرة الشيخ عبد القادر و (2) القول الكاشف عن الاستنباط في الوظائف و (3) نصرة القبض في إرد على من أنكر مشروعيته في صلاتي النقل والإفرض و (4) صرف الهممة إلى تحقيق معنى الأمانة ومؤلفات أخرى صغيرة أحدها في نسل عبد القادر الجيلالي عنوانه نتيجة التحقيق في بعض أهل الشرف للوثيق (39) أورد فيه ، بعد ترجمة الشيخ عبد القادر ، معلومات دقيقة عن الشرفاء القادريين الذين كانوا بمصر وبمدينة فاس .

أخبرنا أنه ألف كتاب نتيجة التحقيق في جمادى الأولى 1127 هـ (ماي 1715 م) ببايعاز الطاهر ، أحد أبناء عبد السلام القادري الذي كان يود أن يأخذه معه إلى الحرم المكي ليثبت ، عند الاقتضاء ، بسبه الشريف . ومن تأليف المسناوي أيضا التعريف بالشيخ أبي العباس أحمد اليمني الذي سبق أن أشرنا إليه في الفصل الخاص بالقادريين ،

(37) انظر ترجمته في الزاوية الدلائية (ص 243) (المعرب)

(38) ترجم له في ممتع الاسماع (ص 119) و الروض العاطر الانفاس ورقى 2/80

و السلوة (ج 3 ص 43) (المؤلف)

(39) طبع بفاس سنة 1309 وتترجم منه القسم الخاص بالشيخ عبد القادر إلى الانجليزية

ونشر سنة 1903 في

محمد بن عبد الرحمان الدلائي

وممن أخذ عن محمد المسفاوي بفاس ، قريبه أبو عبد الله محمد بن محمد ابن محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر الدلائي الذي تتلمذ كذلك للشيخين المذكورين آنفا الحسن بن رجال المعداني وعدد السلام بن الطيب القادري ، وأهلته فصاحته وجهوره صوته للقيام بالامامة والخطابة بالمدرسة البوعفانية وبجامع الشرفاء .

وفي عام 1141 هـ (1729 م) عزم على الحج والاقامة بالشرق الى آخر أيامه ، فباع جميع ممتلكاته وغادر وطنه صحبة الركب المغربي المتوجه نحو الحجاز ، وعندما أتى مناسك القريضة بمكة قصد المدينة الا أنه عثر به جواده ففاضت روحه ، وكان مدفنه قرب ولدي فاطمة .

خلف محمد ابن عبد الرحمان الدلائي مؤلفات منها الزهر الندي في الخلق الحمدي و فخر الثرى بسيد الورى و شرح الشفاء و قصيدة في مناسك الحج الخ. ونظم قصيدة للتعريف بشرفاء المغرب سماها درة التيجان ولقطة اللؤلؤ والمرجان ، وحرص على أن يجعل عدد أبياتها مماثلا لعدد الصحابة الذين شهدوا وقعة بدر وقد شرحه فيما بعد محمد بن أحمد بن محمد القاسي (40) .



أحمد الوزير الغساني

أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني هو أخو سفير السلطان المولى اسماعيل الى اسبانيا محمد الوزير السالف الترجمة .

ولد بفاس في مهل رمضان 1063 هـ (26 يوليوز 1653 م) وكان من الملازمين للشيخ أحمد بن عبد الله معن .

(40) في منتصف القرن الثالث عشر الهجري صدر كتيب اسمه بغية الرائي في التعريف بالشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن الشاذلي الدلائي بقلم ابن صاحب هذا الشرح ، وذلك سنة 1284 (1848) حسب ما في سلسة الانفاس (ج 3 ص 48) (المؤلف)

ولي التوثيق والامامة بضريح محمد بن عبد الله معن ، ودفن بجانيبه
عندما اخترمته المنية في 2 شهر ربيع الاول 1146 هـ (13 غشت 1733 م).
خلف تراثا أدبيا لا يستهان به من جملة (1) ترجمة محمد المهدي الفاسي
تحت عنوان : **جلاء القلب الفاسي بمحاسن سيدي المهدي الفاسي و (2) منظومة**
(مشفوعة بشرح) في مدح احمد بن عبد الله و (3) أخرى من البحر السريع ذكر
فيها مناقب شيوخ العالم المذكور و(4) ثلاثة ربحها أيضا في فضائله أسماها
المقياس في محاسن سيدنا أبي العباس و (5) تقييد تكلم فيه عن العالمين عبد
السلام القادري ومحمد السنائي الدلائي وعن مؤلفاتهما (41) .



المدرع (42)

هو أبو عبد الله محمد المدرع الاندلسي الذي نظم في أوائل القرن الثامن
عشر الميلادي ملخصا لكتاب في التراجم منسوب لابن عيشون الإشراف .
عاش بفاس وكان معروفا لدى سكانها بالعلم والصلاح ، تعلم للشيخ
الصوفي محمد الدريج الاندلسي التطواني المتوفى بفاس عام 1126 هـ (1714م)
وحضر دروس العلامة أبي محمد الحاج عبد السلام جسوس ، والشيخ أبي عبد
الله محمد بن أحمد القسنطيني ، والامام أبي العباس الحاج أحمد بن علي بن
عبد الرحمان الجرندي الاندلسي ، والعالم الصالح محمد السنائي الدلائي .
قام بأداء الفريضة وجاور بالحرم النبوي مدة ثم عاد الى مسقط رأسه
حيث توفي عام 1147 هـ (1734 / 1735 م) .
له منظومة في مشاهير مدينة فاس تشتمل على نحو الخمسمائة بيت ،
أوجز خصائص كل منهم في ثلاثة أو أربعة أبيات، وضمنها ، في غالب الاحيان
جملة حسابية تمثل قيمتها الابدجية، تاريخ وفاته بصيغة شعرية ، وكانت هذه
المنظومة من أهم المصادر التي اعتمد عليها الكتاني عند وضعه كتابه **سلوة**
الانفس .

(41) ترجم له في النشر (ج 3 ص 236) و **والالتقاط** (ورقة 2/71 و **السلوة** (ج 2 ص 299) و **لأحد البهية للفضلي** (ج 2 ص 360)
(42) **النشر** (ج 2 ص 237) **الالتقاط** (ورقة 2/71 **السلوة** (ج 2 ص 35)
الابحاث الجغرافية (ص 33 رقم 88)

أحمد بن الخياط (43)

في مستهل القرن التاسع الهجري استقرت بقاس أسرة هاجرت إليها من ناحية دكالة فعرفت منذئذ بأسرة ابن إبراهيم الدكالي ، ولم تلبث أن أنجبت عددا من العلماء الافاضل ومن الموظفين السامين ، بحيث أصبحت بعد ثلاثة قرون من نزولها بقاس، جديرة بأن يخصص لها أحد ابنائها ، وهو أبو العباس أحمد بن محمد الخياط بن قاسم بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن محمد ابن محمد بن إبراهيم الدكالي ، كتابا لتبيين أصلها ولذكر مشاهيرها ، أسماء سلسلة الذهب المنقود في ذكر الاعلام من الاسلاف والجدود .

وكان من جملة أساتذة صاحب هذه السلسلة ، القاضي أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد يردلة ، وموجه خاص أبو عبد الله محمد المسنساوي الدلائي الذي كان ينيبه عنه في الامامة بمولاي إدريس .

رحل الى الشرق وسكن مدة في القاهرة (حوالي سنة 1130 هـ (1718 م) توفي ، بعد ذلك بسنوات، وقام بكمال السلسلة ، أخوه الصغير محمد الملقب « ابن غازي » نظرا لكونه ابن بنت للعالم الكبير المسمى بهذا الاسم (44) .



اليفراني و صفوته

تقدم لنا أن رأينا، بمناسبة ذكرنا للاخباريين ، ان فزهة الحادي كافية لتحل مؤلفها اليفراني محلا مرموقا من بين رجال الادب المغاربة ، ويجمل بنا هنا ان نقول ان كتابه صفوة من لنتشر يتسم بنفس الجدية والاستقامة والتثبت التي يتسم بها ذلك للكتاب المخصص للدولة السعدية ويؤكد، من جهة أخرى ، ما يحظى به ، في المجال التاريخي من تقدير واعتبار .

(43) ترجم الكتاني في السلسلة (ج 2 ص 79) وروني باسي في الابحاث الجبلوغرافية (ص 43 رقم 122)
(44) توفي في 23 جاني الاولى 1184 (14 شتنبر 1770)، ذكره الكتاني في السلسلة (ج 2 ص 78)

لا زلنا نذكر أن هذا المعجم كان آخر ما ألف اليفراني من كتب وأنه فرغ منه ، حسب ما قاله الحوات ، سنة 1137 هـ (1724 / 172 م) ووسمه **بصفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر** جاعلا منه سجلا لأخبار الصلحاء المغاربة الذين عاشوا في القرن الحادي عشر الهجري ، وتكملة للمؤلف **الذي** خصه ابن عسكر لذكر مشاهير صلحاء القرن العاشر ، إلا أنه سرعان ما يتضح لمن يتصفح **الصفوة** أن اليفراني قد تجاوز فيها حدود هذا الإطار الزمني الذي يوحى به عنوانها ، كما كان قد فعل في كتابه **نزهة الحادي** .

فإن كانت **الدوحة** لا تشتمل إلا على أخبار طائفة من الصلحاء ، فإن **الصفوة** تحتوي على تراجم عدد مهم من العلماء المغاربة وغير المغاربة ، فهي معجم أعلام مسلمين أكثر منها كتاب مناقب .

وليسست هذه هي كل النقاط التي تمتاز بها **الصفوة** عن **الدوحة** ، فإن المؤرخ اليفراني سلك في معجمه مسلكا انشائيا جديدا . ضاربا فيه صفحا عن الخرافات والمعلومات غير المضبوطة مثل التي في **الدوحة** متوخيا الأخبار المستقاة من المصادر الموثوق بها والتواريخ غير المشكوك في صحتها ومستشهدا بأشعار تثبت ما عرف به من طول الباع في شرح القصائد الأدبية .

لاشك أن اليفراني كان يعلم الكثير عن مشاهير مراکش ، مسقط رأسه ، لأنه أفادنا بتراجم لا ذكر لها في مصادر أخرى ، ولاشك أيضا أنه كان له دراية واسعة بحياة مشاهير الحضرة الإدريسية .

والأفيد هو أنه لم يغفل عن التعريف بالصلحاء والادباء من أهل الأرياف ، سواء أكانوا من سوس أو من الجبال المتاخمة للبحر الأبيض المتوسط ، وهو بعمله هذا الذي شابه فيه ابن عسكر ، يشير إلى أن الحركة الأدبية - كالحركة الدينية التي سبق أن تكلمنا عنها - لم تكن مقصورة ، في الفترة التاريخية الحديثة ، على سكان عواصم الأيالة المغربية ، وقد سبق أن تنبه إلى ذلك ، المستشرق الأسباني « كوديرا » عندما لاحظ أن الكتاني لم يذكر ، في **سلسلة**

الانفاس الا ثمانية من النخبة والسبعين علما من اعلام القرن الحادي عشر الهجري المذكورين في **الصفوة** وما ذلك الا لان أولئك الثمانية هم الذين ماتوا بقباس (45) .

ان التراجم التي خصصها لاعلام القرن الحادي عشر تكاد تتشابه من حيث الكم والكيف غير أنه لم يزد على أسطر للتعريف ببعض الصالحين الذين لم يتسن له الامام بتفاصيل مرضية عن حياتهم ، وختم مؤلفه بتراجم لاعلام استهروا في القرن الثاني عشر الهجري مقتفيا ، في هذا الصدد ، آثار القاري .

إن **الصفوة** مصدر من المصادر التي يجب الرجوع اليها للبحث والتحقيق أكثر منه للتسلية والتفكه ، **الا أنه لا ينظر من الحكايات الموجبة للاعتبار والاعتاظ، فاننا ، مثلا ، نجد فيه ، بجانب تراجم علماء أكابر كابن عاشر وميارة والمقري ، اشارات إلى بعض البطايا كالمسمى عنتر الخطي (46) الذي كان يتجول في الاسواق علنا ، مكشوف العورة ، أو كتلك الصالحة المراكشية التي انغمست في التصوف والابتغال وكانت باهضة الجمال ، بحيث ان السلطان مولاي زيدان رغب في الخروج بها (47) .**

وفي الختام نذكر هنا ان **اليعراني** لم يعتمد كابن عسكر ، على المعلومات المستقاة من أفواه الناس ، بل **لتقصر على ما ورد في كتب التراجم التي وضعها سابقوه بالمغرب ، وقد ذكر في خاتمة الصفوة أسماء تلك المراجع وعددها اثنان وأربعون ، يبدو أن اثنين منها قد ضاعا وهما : فهرسة أحمد العجمي ورحلة رحو الخليلي البصري ، وصرح بعد وضعه لقائمتها أنه استغل مجموعة التقايد الخطية ، وعدة أخبار سمعها من ثقات ، وقد أدى به التحري الى الاعتراف بالتعديلات التي كان يدخلها أحيانا على النصوص التي يستشهد بها .**

وهكذا يثأكد لدينا ان **اليعراني** المترجم ظل محتفظا بالخصال التي امتاز بها كمؤرخ ، وأن كتاب **الصفوة** جدير بالثقة .

(45) صفحة 590

(46) الصفوة ص 189

(47) نفس المصدر ص 163 .

أحمد السجلماسي (48)

أبو العباس أحمد بن المبارك بن محمد بن علي السجلماسي اللمطي
(نسبة إلى لمطة وهو حي من أحياء سجلماسة).

ولد بسجلماسة حوالي 1090 هـ (1679 م) وبها تعلم على أحد أخواله ،
أحمد الحبيب العماري الذي اشتهر فيما بعد بالصلاح والورع .

ثم رحل إلى فاس حيث وازب على الجلوس في حلقات أكابر العلماء
مثل محمد بن عبد القادر الفاسي ومحمد القسنطيني وأحمد الجرندي ومحمد
المسناوي الدلائي ، وعلي الحريشي دفين المدينة النبوية ، والقاضي بردلة ،
ثم تصوف وأصبح من أتباع الولي الصالح عبد العزيز بن مسعود الدباغ ومن
المتحمسين للدفاع عنه .

اهتم بجمع مناقب هذا الشيخ المشهور بالصلاح في كافة أنحاء الشمال
الأفريقي ، ورتبها في مؤلف عنوانه ، **الذهب الأبريز في مناقب الشيخ عيسى
العزیز (49)** وهو كتاب مشهور في المغرب ومتداول لأنه طبع مرتين بالقاهرة
(سنة 1278 وسنة 1304 هـ) وإن كان لا يشتمل على فوائد تاريخية أو أدبية
تثير الاهتمام .

تصدر للتدريس بفاس وفيها كانت وفاته ، في 12 جمادى الأولى من عام
1156 هـ (4 يوليوز 1743 م) ، وحسب الكتاني في 19 جمادى الأولى 1155 أو
1156 هـ ، فدفن بضريح شيخه في المقبرة المقابلة لباب الفتوح .

خلف كتباً أخرى منها : (1) شرح الآية الرابعة من سورة 57 - (سورة
الحديد) - و (2) كشف اللبس عن المسائل الخمس - و (3) رد التشديد في
مسألة التقليد - و (4) كتاب عنوانه : دلالة العام - و (5) حاشية على شرح
سعيد قدورة لسلم الأخضر - و (6) القول المعتبر في بيان عن جملة الحمدا
أنشاء لا خبر - و (7) مبلغ الآمال لطالبي التصريف في الأفعال - و (8) أجوبة .

(48) ترجم له في النشر (ج 2 ص 247) و الالتقاط (ورقة 1/79) والسلسلة (ج
2 ص 203) وباسي في الأبحاث الجغرافية (ص 32 رقم 83)

(49) وردت ترجمة هذا الشيخ المتوفى بفاس في 20 ذي القعدة 1131 هـ (4 أكتوبر
1719 م) في النشر (ج 2 ص 198) و السلسلة (ج 2 ص 197) وقد جمعت مناقبه
أيضاً في كتاب ذكره الكتاني من جملة مصادره عنوانه تيسير المواهب في ذكر بعض ما للشيخ
ابن فارس من المناقب ومنسوب لابي عبد الله محمد بن محمد بن عبد العزيز بن علي المرابط
السجلماسي الذي لا معلومات لدينا عنه (المؤلف)

عبد الواحد أدراق (50)

إن الدراسات الخاصة بالطب القديم في المغرب ، وإن كانت قليلة ،
أتاحت لنا معرفة أسرة أدراق البربرية الأصل التي اشتهر أبناؤها في المجال
الطبي وأسند لطائفة منهم ، على التوالي ، العمل بالبلالط السطاني للسهر على
صحة أفراد الأسرة الشريفة الحاكمة .

لنذكر ، من بين المشهورين منهم ، الطبيب عبد الوهاب بن أحمد أدراق
الفاسي الذي مات بفاس في 28 صفر 1159 هـ (22 مارس 1746 م) بعد أن نامز
الثمانين من عمره .

خلف عدة كتب في الطب ، وبوجه خاص ، في بعض طرق المعالجة غير
أن السبب الذي جعلنا نذكره في هذا الكتاب هو أنه ألف قصيدة في صلحاء
مكناس شبيهة بتلك التي خصصها المدرع لصلحاء فاس ، وعرفت بمنظومة
في مدح صالح مكناسة الزيتون ، ومن الممكن أنها الآن في حكم المفقودات .



ابن يخلف (51)

في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي أسست بفاس زاوية جديدة مهمة (52)
على يد رجل صالح لم يلبث أن ذاع صيته بالمغرب وهو محمد ابن الفقيه (53)
المصمودي الأصل الذي أخذ يوزان عن الشريف مولاي عبد الله الوزاني ، ثم
قصد الحضرة الإدريسية لينشر بها ما تعلمه عن شيخه ، ولما مات ، في 7
ربيع الأول 1136 هـ (5 دجنبر 1723 م) اهتم مقدم اتباعه ، أبو محمد عبد

(50) النشر (ج 2 ص 251) الالتقاط (ورقة 2/82 و السكوة (ج 2 ص 34)
(المؤلف) وقد وردت في الاتحاف تراجم لبعض اعلام هذه الأسرة .
(51) ترجم في النشر (ج 2 ص 253) و الالتقاط (ورقة 2/85) و السكوة (ج
1 ص 293) ياسي في الابحاث الجغرافية ص 44 رقم 24/

(52) في حي العيون

(53) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عيسى بن عبد الله الزجاني الملقب
بابن الفقيه ، وأصله من دشرة اسجن بقبيلة مصمودة ، ترجم له في السكوة (ج 1 ص
292 وما بعدها)

الله بن محمد بن يخلف الانصاري الاندلسي ، وكان أحد قدماء العدول بسماط
الترويين ، بتسجيل مناقبه في مؤلف عنوانه **سلوة المحبين في مناقب سيدي**
محمد ابن الفقيه أحد الافراد العارفين .

ويشتمل هذا المؤلف ، حسب ما ذكره الكتاني ، على مقدمة وستة فصول
وهو متوسط الحجم .

تقضى مؤلفنا قسطا كبيرا من حياته في زاوية شيخه ، وبها دفن عندما
لبى داعي ربه في 27 من ذي القعدة 1162 هـ (8 نومبر 1749 م) .



محمد بن عبد السلام بلاني (54)

اشتهر بفاس ، في العهد العلوي ، عدد كبير من أبناء الاسرة البنانية ،
في الفقه والافتاء ، وبرز من بينهم أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن
حمدون المتوفى في 16 ذي القعدة 1163 (17 اكتوبر 1750 م) في التسعين
من عمره .

كان ، في زمانه ، أحد مشاهير المتصدرين للتدريس بالقرويين ، وقد
أخذ ، هو نفسه عن علماء أجلة سبق أن أشرنا الى مميزاتهم ، مثل القاضي
بردلة وأحمد بن الحاج ومحمد القسنطيني وابن زاكور وأحمد الولائي
والعميري وعبد السلام جسوس وعلي تركة واليوسي وعبد السلام القادري
ومحمد المسناوي الدلائي .

ألف عدة كتب أهمها : **شرح الاكتفاء** ، و **خلاصة شرح الشفاء** لشهاب
الدين أفندي ، و **شرح لامية الزقاق** و **شرح الحزب الكبير** للشيخ الشاذلي ،
و **شرح الصلاة المشيشية** و **شرح مختصر خليل** و **شرحان لمنظومة عبد**
الرحمان الفاسي في الاسطرلاب إلخ ، وله ، في مجال التراجم ، فهرسة
ضمنها ترجمة وافية لشيخه ابن الحاج ، ومعلومات دقيقة تتعلق بفقهاء القرن
الثامن عشر الميلادي الذين عاشوا بالحضرة الادريسية .

ابن عاشر الحافي

في الوقت الذي كانت تظهر فيه ، بفاس ، كتب في مناقب صلحائها ،
شرع أحد سكان سلا في تأليف ترجمة ولي تلك المدينة ، الشيخ الصالح الحاج
أحمد ابن عاشر ، وسماها تحفة الزائر في بعض مناقب سيدي الحاج أحمد
ابن عاشر .

ومؤلف تلك الترجمة هو أحمد ابن عاشر الحافي (55) وكان من المعاصرين
للسلطان مولاي اسماعيل ولابنه مولاي عبد الله .

تعلم بفاس ثم بسلا حيث توفي ، سنة 1163 هـ (1750 م) ودفن قرب
ضريح سميه الولي المذكور ، سيدي أحمد بن عاشر .

وقد كتب في 1140 هـ فهرسة تضم معلومات مفيدة عن علماء سلا
في القرن الثامن عشر الميلادي .



عبد المجيد المنالي الزبادي (56)

في الحادي عشر من شهر شعبان 1163 هـ (16 يوليوز 1750 م) توفي
بفاس شريف ادريسي ، اسمه عبد المجيد بن علي بن محمد بن علي المنالي
الزبادي السوسي وكان اشتهر بالميل للتصوف والتفكير وبالاعتنا بالقرض
الشعر مع الاهتمام بالطب .

خلف رحلة عنوانها بلوغ المرام بالرحلة الى بيت الله الحرام و سجل
مناقب أسماء : افادة المراء بالتعريف بالشيخ ابن عباد أي الفقيه الصوفي
أبي عبد الله محمد بن إبراهيم ابن عباد النفري الحميري الرندي المتوفى بفاس
في 4 رجب 792 هـ (18 يونيو 1390 م) .

وقد اعتمد صاحب السلسلة على هذا السجل في ترجمته للفقيه المذكور
اذ نقل الكثير مما ورد فيه من أخبار ومناقب .

(55) انتسابا الى بطن الحافات ، من قبيلة السراغنة بشمال مراكش (المؤلف)
(56) الفشسر (ج 2 ص 257) الانتقال (ورقة 2/86) السلسلة (ج 2 ص 184)
باسي في المباحث الجبلوغرافية (ص 31 رقم 82)

محمد المكي الدرعي (57)

توفي في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي كذلك كاتب من أبناء الجنوب المغربي ، وهو أبو عبد الله محمد المعروف بالمكي بن موسى بن محمد الكبير بن محمد بن محمد ابن ناصر الدرعي المقدادي ، حفيد شيخ الطريقة الناصرية والذي تولى ، بعد وفاة أبيه أبي عمران موسى (عام 1142 هـ (1729 م) ، ادارة زاوية تمكروت (تمجروت) .

تعلم محمد المكي في مسقط رأسه وقام عدة مرات بتفقد الزوايا الناصرية الفرعية التي بمراكش وبفاس .

في مراكش لقي ، سنة 1151 هـ (1738 م) ، بمدرسة ابن يوسف ، المؤرخ الافراني ، وبعد ذلك بسبع سنوات نظم ، بفاس ، قصيدة في مدح مولاي ادريس الازهر ، ومن هناك قصد مكناس حيث ناوله قاضيها أبو القاسم العميري ، اجازة عامة .

اننا لا نعرف بالضبط تاريخ وفاته غير أننا نعرف أنه عاش حوالي السبعين سنة ، وأنه ترك ابننا اسمه ابو عمران موسى ، مات بعده بسنوات ، في الحضرة الادريسية .

خلف محمد المكي عدة مؤلفات تتعلق بجده وبالاسرة الناصرية منها : **فتح الملك الناصر في اجازة مروبات بني ناصر و طليعة الدعة ، و البرق الماطر في شرح النسيم العاطر ،** وهو عنوان قصيدة من نظمته في فضائل ابن ناصر ، ومنها كذلك رحلة سماها الرحلة المراكشية وترجمة صالح من أهل تمكروب اسمه عبد الله بن الحسين القباب وسماها **بالروض الزاهر في التعريف بالشيخ ابن حسين وأتباعه الاكابر** ولكن لم يتأت له اتمامها .

غير أن أفيد كتبه هو معجم التراجم الذي عرف فيه بفقهاء وأدباء وإبي درعة وسماه **الدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة ،** ولا توجد بالمغرب الا نسخ قليلة منه (58) (X) .

(57) ترجم له الناصري في طلعة المشتري في النسب الجعفري (ج 2 ص 149)

(58) قال في مقدمته : سميت بالدرر المرصعة بأخبار أعيان درعة ومن شاء فليسمه الروعة في التعريف بصالحاء درعة (المؤلف)

(X) ورد في دليل المؤرخ (رقم 86) ،، تقع في مجلد توجد بكثرة في الخزانة الزيدانية ورأيته مأخوذة بالفتغراف ، (المغرب)

استهل الدرعي ذلك المعجم بمقدمة عبر فيها عما جبل عليه من رغبة أكيدة في معرفة سير وتراجم الاعيان وعن قصده التعريف برجالات الناحية التي ولد فيها ، ثم ذكر حادثة رئيس للرؤساء التي سبق أن أشرنا اليها في الفصل الاول من هذا الكتاب ، وذكر المصادر التي اعتمد عليها ، وشرع في التعريف بالرجال مرتبا أسماءهم ترقيبا أبجديا حسب الطريقة التي سلكها ابن القاضي وأحمد بابا .

نجد في هذه التراجم وصف بعض الكرامات ومعلومات أدبية لم يذكرها سابقوه ، كما نجد فيها مقطوعات شعرية في مواضيع دينية أو دنيوية . والدور أقدم كتاب ألف في تاريخ ما كان للطريقة الناصرية من نفوذ وشهرة في جنوب المغرب . وقد أخرج مؤلفه أنه فرغ من تأليفه بزاوية تمكروت في 14 محرم 1152 هـ (13 ابريل 1739 م) .



أحمد الهلالي (59)

ينتسب أحمد بن عبد العزيز الهلالي للسجلماسي الى عالم من سجلماسة اسمه ابراهيم بن هلال ، وتعلم بتلك الحينة عن الصوفي أبي العباس أحمد الحبيب بن محمد العماري المتوفى في ربيع محرم 1165 هـ (23 نوفمبر 1751م) ثم بفاس عن الشيخ أحمد بن مبارك السجلماسي المتقدم الترجمة ، والشيخ أبي عبد الله محمد بن الحصين القندوز المصوري الفاسي المتوفى في ثالث محرم 1148 هـ (26 ماي 1735 م) والخطيب محمد الكبير بن محمد السرغيني العنبري المتوفى في الرابع من جمادى الثانية 1164 هـ (30 ابريل 1751 م) ، وعاد الى تافيلالت ويمكن بمدة ثم بسجلماسة حيث تصدر للتعليم . أكثر التردد على فاس ، وحج مرتين ، أجازة خلالهما جماعة من علماء الجزيرة العربية ومصر ، من بينهم الشيخ الصوفي محمد بن سالم الحفناوي المصري ، وتخرج عليه جملة من الطلبة أشهرهم محمد بن الطيب القادري . توفي بمدة في 21 ربيع الاول 1175 هـ (20 اكتوبر 1761 م) ، ألف عدة كتب ، منها رحلة وردت خلاصتها في نشر الثاني (60) .

(59) النشر (ج 2 ص 273) الانقضاء (ورقة 1/93)

(60) من مؤلفاته : (1) نور البصر في شرح المختصر - (2) فتح القدوس في شرح خطبة القاموس - (3) و المراهم في التراجم و (4) شرح الرجز المحتوي على مسائل مختصر السنوسي - (5) الأرجوزة من سكة بيت في المدرسة و (6) اضاءة الانموس ورياضة الشموس من اصطلاح وصحيح القاموس و (7) قصيدة في مدح القاموس (المؤلف)

ادريس وعبد الرحمان المنجرة

ان اسرة المنجرة الادريسية النسب ، الفاسية المهجر ، اشتهرت بالمغرب في القرن الثامن عشر الميلادي ، بفضل ما امتاز به اثنان من أبنائها في مجالات الفقه والادب ، وهما ادريس بن محمد بن أحمد الحسني الادريسي المنجرة المولود حسب ما في السلسلة ، عام 1076 هـ (1666 م) والمتوفى في 26 محرم 1137 هـ (15 اكتوبر 1724 م) . وابنه عبد الرحمان المتوفى في 5 ذي الحجة 1179 هـ (15 ماي 1766 م) .

خلف كل من هذين العالمين فهرسة لا زالت نسخ منهما متداولة بالحوضر المغربية .



محمد بن أحمد الفاسي (61)

هو محمد بن أحمد بن محمد ، أحد أبناء حفيد الشيخ عبد القادر الفاسي .

ولد بفاس سنة 1118 هـ (1706 - 1707 م) وأخذ عن علماء عصره مثل محمد بن عبد الرحمان الفاسي ومحمد المسناوي الدلائي وأحمد بن علي الوجاري (ت : 11 جمادى الثانية 1141 هـ ومحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمان التماق (ت : 10 جمادى الاولى 1151 هـ) ومحمد بن عبد الرحمان الدلائي ، وبناني ومحمد ميارة الحفيد ، ومحمد القندوز .

عين عدلا بنظارة أحباس القرويين وولى الخطابة بجامع الاندلس .

توفي في 20 ربيع الاول 1176 هـ (8 شتنبر 1765 م) ودفن بزاوية اجداده بحي القلقين .

كان كثير الاهتمام بالتراجم وأنساب الشرفاء وهكذا خلف لفا شرح دوة التيجان تأليف شيخه محمد ابن عبد الرحمان الدلائي ، وترجمة مطولة للعلامة عبد السلام القادري اسماء المورد الهني باخبار المولى عبد السلام الشريف القادري الحسني وكتابين صغيرين ، خصص أحدهما لذكر من اشتهر في عصره من رجال العلم والادب ، وثانيهما للتعريف بشرفاء المغرب .

محمد بن الطيب القادري (62)

سبق أن بينا ما كان للبيت الفاسي ، بالعاصمة الادريسية ، من شهرة طيبة وذكر مجيد وما كان لآلياته من جاه وتقدير بين قادة الفكر وأساطين العلوم الاسلامية .

وفي الوقت الذي كانت هذه الامورة مقبلة على نشر تعاليم المدرسة الشاذلية ، اشتهر البيت القادري بالدعوة للطريقة القادرية وللرفع من شأن أعلامها ، وكل ذلك كان يجري في جو يسوده السلم والهدوء .

في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي بنح في الاسرة القادرية ، حفيد النسابة الشيخ عبد السلام القادري الذي اهتم ، هو أيضا ، بالتأليف في العلوم الاسلامية وفي التراجم والسير .

هو أبو عبد الله محمد الطيب بن عبد السلام الحسني القادري المولود بفاس في 7 ربيع الاول 1124 هـ (14 ابريل 1712 م) .

جلس للطلب ، ولم يطر شاريه ، في مجالس بعض من ذكرناهم من مشاهير علماء الحضرة الفاسية ، أمثال أحمد السجلماسي ومحمد بن عبد السلام بناني ومحمد الكندوز ، ومحمد الكبير لسرغيني وشيخ الجماعة أبي عبد الله محمد بن قاسم جوس ، وقد أجازوه كلهم كتابة أو شفويا .

كان الشيخ أبو عبد الله محمد بن الطيب القادري يميل الى الزهد والتقشف بيد أن أكثر العلماء من معاصريه كانوا لا يحرمون أنفسهم من العيش الرغد ، ولا مما أحل الله من النعم والخيرات كلما تيسر لهم التمتع بذلك (بدون اسراف ولا تبذير) .

كان يعيش في عزلة تامة مخصصا جل أوقاته للعبادة والدراسة ، سالكا مسلك أكابر رجال التصوف أمثال أشياخه أبي بكر بن محمد بن محمد الخديم

(62) النشر و الانتقاط في الفصل الاخير منهما ، و السلسلة (ج 2 ص 351) وباسي في الابحاث الجغرافية (ص 34 رقم 93 - المؤلف)

ابن أبي بكر الدلائي (ت : سنة 1149 هـ - 1736 م) وأبي عبد الله محمد المدرع السابق ذكره ، وأبي محمد عبد السلام بن الحاج محمد القواتي الجعفري (ت : سنة 1155 هـ - 1742 م) .

عرف بزهده عن الوظائف التشريعية ولم يل الإمامة والخطابة بجامعة الاندلس الا بضعة أشهر ، اذ لم يقبلهما الا امتثالا لامر السلطان .

فانه كان يشتغل بالتوثيق في سماط القرويين الا أنه كان ، كل يوم ، ينصرف عن العمل عندما يتوفر لديه قدر « أوقية » ينفقها على نفسه .

في عام 1176 هـ (1762 / 1763 م) اجازه ، بطلب منه ، العالم المصري محمد بن سالم الحفناوي اجازة عامة ، احتفظ لنا بنصها الكامل في نشر الثاني (ج 2 ص 280 / 283) .

توفي بفاس في 25 شعبان 1187 هـ (11 نوفمبر 1773 م) ودفن ، في اليوم التالي ، بمقبرة أسرته التي قرب باب الفتوح .

خلف ثروة أدبية قيمة تشتمل على جملة لا يستهان بها من كتب التراجم ، وعلى عدد وافر من المؤلفات الخاصة بالعلوم الإسلامية ، ذكر منها في النقاط **الدرر : 1) فريدة الاشتقاق في ترتيب لامية الزقاق ، 2) الفتح والتيسير في آية التطهير (آية 33 من سورة 33) - 3) أشرف الرسائل برواة الشمايل - 4) لمحة الدر النفيس فيمن وصف بالتدليس - 5) المورد المعين في شرح المرشد المعين - 6) التعبير عن شناعة منكر التكبير - 7) النقاط المعارف من سؤال الشيخ العارف (أجوبة عن أسئلة قدمها أحمد بن عبد الله معن) 8) مواهب التخصيص في شرح شواهد التلخيص - 9) الصوارم الفتاكة في نحور أهل القصيدة الافكية - 10) درة الفاخر لسيد الاولين والاواخر وغرر آل بيته المشاهير .**

ومن كتبه في التراجم نجد : 1) الزهر الباسم والعرف الناصم في مناقب الشيخ سيدي قاسم وآثر من له من الاشياخ والاتباع ، أهل المكارم (ترجمته

فيه للشيخ الصالح قاسم الخصاصي الآنف الذكر - 2) كتيب عنوانه : **لمحة**
انبهجة العلية في بعض فروع الشعبة الحسينية الصقلية - 3) أرجوزة من
313 بيت ذكر فيها وفيات جملة من أبناء الاسرة الفامسية سماها : **فريدة الدوا**
الصافي في وصف الجمال اليوسفي - 4) ذيل لكفاية المحتاج ، تأليف أحمد
بابا التتبيكتي ، وسماه **بالاكيل والناس في تذييل كفاية المحتاج - 5)** تقايد
هامشية لأدب السني الذي خصصه جده لذكر بعض الانساب .

ولكن أفيد ما خطه لنا هذا العالم الجليل كتابناه : **نشر الثاني و التمام**
الدرر اللذان خصصهما للتعريف بمشاهير القرنين ، الحادي عشر والثاني
عشر للهجريين .

فالنشر شاع ذكره في الاوساط العلمية بالشمال الافريقي ، وعرف في
أندية المستشرقين منذ عقود من السنين لانه طبع بفاس سنة 1310 ، ونقل
قسما كبيرا منه ، الى اللغة الفرنسية ، الاستاذان كرويل ومايار ثم الاستاذ
ميشو بيلار ونشر في مجلة الوثائق المغربية سنة 1913 و 1917 (في
العدد 21 و 24) تحت عنوان **نشر الثاني** لمحمد القادري .

وأما **الانتقاط** فانه لا توجد منه بالمغرب الا نسخ قليلة مخطوطة ،
أحداها محفوظة بخزانة الرباط وقد أشرنا اليها ووصفناها ، في ص 130 (رقم
319) من **فهرس مخطوطات الرباط المطبوع سنة 1921 م** .

من المحتمل أن يكون هذان الكتابان آخر ما ألف القادري ، الا أنه من المؤكد
أن مؤرخنا كان يقصد نفس المقصد الذي كان للافراني عندما عزم على وصل
تراجم **دوحة ابن عسكر** ، المخصصة للتعريف بمشاهير القرن العاشر ، فدون
الصفوة لآخبار صلحاء القرن الحادي عشر ، وإن كنا نكاد نجزم أن مترجمنا
لم يطلع على هذا الكتاب .

ومهما يكن من أمر فإن كتابي القادري يدلان على أنه لم يكن يفوي
الاقتصار على التعريف بالصلحاء بل كان قصده ذكر كل من اشتهر في مختلف
المجالات الفكرية والعلمية .

سجل القادري **أول ما توصل اليه من المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع** ،
في مؤلفه **النقاط الدورية التي خرج منها سنة 1170 هـ (1756 / 1757 م)** ، وبدأ
نشره في الاوساط العلمية المغربية في 27 صفر 1282 .

أثبت في آخر هذا الكتاب ملاحق سجل في احدها قائمة مؤلفاته الا أنه
لم يذكر ضمنها كتابه **نشر المثاني لاهل القرن الحادي عشر والثاني الشيء** الذي
يفيد أن هذ الكتاب ألف بعد **الانتقاط** .

ان هذين الكتابين شبيهان من حيث الموضوع والاسلوب ، إلى حد أنه
يمكن اعتبارهما نسختين لكتاب واحد ، الا أنه اذا كانت المقارنة بينهما
تبني أن المؤلف كان في الثاني أكثر ضبطاً وأشد
حرصاً على تسجيل ما جد لديه من معلومات ، فانها تبني أيضاً أن تاريخ
التراجم في **البدء وال انتهاء** في كليهما كان سنة 1001 هـ و 1170 هـ ، وأنهما
لا يختلفان في ترتيب تلك التراجم ولا في محتواها الاجمالي .

هذا واذا رجعنا للمقدمة القصيرة التي وطأ بها القادري كتابه **الانتقاط الدورية**
فاننا نلاحظ أنه كان ينوي جعله صلة لكتاب **لقط الفرائد** الذي ألفه ابن القاضي
تكملة لوقيات ابن قنفذ **المسمى شرف الطالب في أسنى المطالب** وذلك ليضمنه
تراجم الاعلام الذين ذاع صيتهم بعد تأليف هذين الكتابين الاخيرين .

وبالاضافة الى هذا فان المؤلف ذكر في **النشر** (ج 1 ص 3 و 33) أنه
عزم على تحرير **الانتقاط ليحقق** مشروعاً كان جده عبد السلام القادري ، وضع
أسسه ، وهو تأليف كتاب **عقوله نزهة النادي** .

وعلى كل حال فان مترجمنا وسم كتابيه **الانتقاط و الفشر** بسمه طريفة
حيث أنه كان يحرص ، في غالب الاحيان ، على أن يتبع قائمة وقيات كل سنة
بشبه ملخص للاحداث السياسية المهمة التي وقعت خلال تلك السنة . ولا شك
أن المقارنة بين مضمون هذه **الخصائص** المثبتة في كلا الكتابين ، قد تكون جد
مفيدة اذ يبدو أنها ، في **الانتقاط** أدق وأوفى منها في **الفشر** (63) .

(63) فبالنسبة لسنة 1141 مثلاً ، يشير القادري في **النشر** الى بيعة مولاي عبد الله ،
بيد أنه في **الانتقاط** يذكر بشيء من التفصيل الفتن التي كانت تسود اذ ذاك المغرب
واننا نرى أنه من المفيد أن تنشر هذه **الشفرات** التاريخية باللغتين ، العربية والفرنسية ، وان
نفصل ما ورد منها في **الانتقاط** وما ورد في **النشر** لتتأتى المقارنة بين محتوي كل كتاب،
(المؤلف)

ويمتاز أيضا **الانتقاط** عن **النشر** بما يحتوي عليه من معلومات تتعلق بترجمة المؤلف الشخصية ، فعلا ، فان التلث الاخير منه مكون من مجموعة من الملاحق ، من بينها قائمة مفصلة لسيوخته ، وقائمة مؤلفاته ، وقائمة الكتب التي اعتنى بشرحها عندما كان يدرس بجامع الاندلس ، وشجرة نسب الشرفاء القادريين المستوطنين بفاس ، وكذا أسماء مختلف الاحياء التي سكنوا بها ، في تلك الحضرة ، منذ أن هاجر اسلافهم من البلاد الاندلسية .

ان كل من يتصفح التراجم التي حررها أبو عبد الله محمد القادري ، لا يلبث أن يلاحظ أنه لا يهتم كثيرا باستعمال المصطلحات والتحليلات الصوفية ، وأنه وان كان قصد التعريف بالملوك والعلماء والصلحاء ، قد كرس أكثر أوقاته لتراجم الطبقة الثانية ، مغاربة كانوا او غير مغاربة . وفي هذا ما يؤكد لنا أنه كان يضع رجال العلم والادب في طليعة الاعلام الواجب تقديرهم والاشادة بفضائلهم فانه خصص للعلماء الاجانب قسما كبيرا من كتابيه ، مستمدا المعلومات المتعلقة بهم من الرحلات التي ألفها معاصروه أو سابقيه .

واذا كان من الراجح لدينا أن القادري لم يعرف **الصفوة** فاننا لا نشك أنه استفاد من جميع ، كتب التراجم التي ألقت بالمغرب فيما قبل ، وأنه كان على علم بالمؤلفات التاريخية المتعلقة بالدولة السعدية ، ومن بينها مؤلفات أصبحت اليوم في حيز المفقودات .

ان القادري عالم بحثة ، شديد الاعتناء بالتنقيب الا أن أسلوبه الانشائي متعب لانه مشحون بألوان من الاستطرادات ، الشيء الذي أفقد كتابيه ، **الانتقاط** و **النشر** التركيز وتلك الجاذبية التي سرعان ما تملا قلب كل من يقرأ كتب ابن القاضي ، وبوجه خاص ، مؤلفات أستاذ الببلوغرافية المغربية ، محمد بن جعفر الكتاني .

المترجمون لشرفاء وزان

في القرن الثامن عشر الميلادي ، أخذ فجم دار شرفاء وزان ، يتألق ويظهر (64) ، اذ في ذلك العهد ذاع صيت زاويتهم الام التي أسسها مولاي عبد الله الشريف ، وتفرع عنها ، بكافة أنحاء إفريقيا الشمالية ، زوايا أشرف على فتحها وتنظيم الذكر بها حفيداه مولاي التهامي ومولاي الطيب ، فعرفت بالتهامية وبالطيبية ، وهذه الشهرة هي التي حثت بالكتاب الى الاعتناء بتدوين تاريخها والتعريف برجالاتها .



أحمد حمدون الطاهري

إن أول كتاب خصص لها هو تحفة الاخوان ببعض مناقب شرفاء وزان بقلم الشريف الحسن بن أبي العباس أحمد الملقب « حمدون » ابن محمد بن حمدون ابن مسعود الطاهري الجوطي المترجم له في السلوة والذي تتلمذ بفاس للشيخين أبي العباس أحمد بن مبارك السجلماسي وأبي عبد الله محمد جوس ، وصار فيما بعد ، من أقرب الاتباع لمولاي الطيب الوزاني الى أن وافته المنية في 22 جمادى الثانية سنة 1191 هـ (28 يوليوز 1777 م) ، وكان عين مدة ، خطيبا بالنيابة في جامع القرويين .



محمد بن حمزة المكناسي

طبع كتابه بفاس ، سنة 1324 هـ ، وقد ضمنه تاريخ دار وزان ومناقب مؤسسها ، وحشاه بترجمة أبي احسن علي بن أحمد بن الطيب بن محمد بن

(64) إن الكتب التي ألفها الاوربيون للتعريف بشرفاء وزان كثيرة جدا أهمها *A. Visit to Wazan* للكاتب *R. Spence Watson* (لندن 1880)
Confréries religieuses musulmanes مؤلفين *Dupont et Coppolani*
(ص 445 وما بعدها) *Maison d'ouazzane* ليشو بيلار (مجلة العالم الاسلامي ماي 1908)
(المؤلف)

عبد الله الشريف الوزاني (65) الكاتب أبو عبد الله محمد بن حمزة المكناسي
- (نسبة إلى قبيلة مكناسة التي بنواحي تازة) - وعنوان تلك الحاشية هو
الكوكب الاسعد في مناقب سيدنا ومولانا علي بن أحمد .

هذا وقد ذكر الكتاني في السلسلة (ج 1 ص 13 و 14 و ج 3 ص 361)
أن الشريف القادري أبا محمد عبد السلام بن الخياط بن محمد بن علال ألف
في أواخر القرن الثاني عشر الهجري كتابا في مناقب مولاي عبد السلام
الوزاني .



الغزال (66)

سبق أن رأينا أن المولى اسماعيل استنصر أحد كتاب ديوانه إلى إسبانيا
وأن هذا الأخير ألف رحلة وصف فيها ما شاهده أثناء سفارته (67) .

في النصف الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي قام أيضا أحد كتاب
البلاط العلوي بسفارة إلى الأندلس ، وخلف كسابقه رحلة تكلم فيها بتفصيل
عما رآه أثناء تنقلاته بالجزيرة .

وذلك السفير هو أبو العباس أحمد بن المهدي الغزال الأندلسي المالقي
الذي تربى بجوار القصر الملكي المكناسي .

من المحتمل أن يكون أبوه المهدي ، سليل المهاجرين المالقيين ، سافر إلى
الجزيرة في مهمة رسمية لأنه كان من كتاب الديوان الاسماعيلي ، وقد رأينا
أن العلمي ، مؤلف الانيس المطرب قد ذكره من بين الأدباء الذين كانت بيئته
وبينهم مساجلات شعرية .

(65) توفي بوزان في متم ربيع الاول 1226 (عن السلسلة ج 1 ص 104)
(66) ترجم الناصري في الاستقصا (ج 4 ط مصر) والكتاني في السلسلة (ج 1 ص
331) وبروكلمان في تاريخ الادب (ج 2 ط 485) (المؤلف)
(67) هو محمد الوزير الفسائي مؤلف رحلة الوزير في افتكك الاسير (المرب)

وأما مؤلفنا ، فإنه كان كاتباً في بلاط السلطان سيدي محمد بن عبد الله ، وعلى اتصال بالمؤرخ الزياني ، وقد اشتهر بتضلعه في الأدب .

وسيدي محمد بن عبد الله هو الذي عينه ، في مقيم سنة 1179 هـ (1766 م) ليرافق ، ثم ليترأس بعثة دبلوماسية ، كان من جملة أعضائها قائدان من قادة الجيش الأودي ، أبو يعلى عمارة بن موسى ، وأبو عبد الله محمد بن ناصر ، وأسند إليه القيام بمهمة لدى ملك إسبانيا ، شارل الثالث الغرض منها تحديد شروط لتبادل الأسرى المقتامين إلى إحدى الدولتين ، المغربية أو الإسبانية .

سلك الغزال نفس الطريقة التي سلكها قبله الوزير الغساني ، فنزل بسبقة في 15 ذي الحجة 1179 هـ (15 ماي 1766 م) ثم أبحر نحو مرسى الجزيرة الخضراء ، حيث وصل في 21 من نفس الشهر ، ومن هناك توجه نحو مدريد صحبة رفقائه ، تارة على صهوات الخيل وطورا في عربات ، فعروا بإشبيلية ثم بقرطبة إلى أن حطوا بالرحال بالعاصمة الإسبانية .

استقبل العاهل الإسباني هذه البعثة بحفاوة وتكريم ، وخصص للغزال عدة جلسات .

أقام بالاندلس ثمانية أشهر ، ولما أتم مهمته عاد إلى المغرب مصحوبا بمسفارة إسبانية أبرم معها سيدي محمد بن عبد الله ، في 26 ماي 1767 م ميثاق مهادنة ، ومعاودة وضحت فيها شروط مبادلة الأسرى بين الدولتين .

وفي سنة 1182 هـ (1768 م) أوفد الغزال ، صحبة القائدين المذكورين أعلاه ، إلى العاصمة الجزائرية ليتولى عملية مفادة الأسرى الجزائريين والإسبانيين .

رجع الغزال من سفارته هذه منشراح الصدر معزز الجانب ، واستأنف عمله بالبلاط موفورا إكرامة إلى أوائل سنة 1185 هـ (أبريل 1771 م) إذ في تلك السنة قصد سيدي محمد بن عبد الله ثغر مليلية وحاصره أياما فكتب إليه

ملك دولة الاسبان يقول : « اننا عقدنا المهادنة برا وبحرا » فأجابه سيدي محمد بن عبد الله بما محصله : « اننا لم نجعل المهادنة معكم في البر ، وانما جعلناها معكم في البحر » ، فوجه إليه الملك الاسباني عقد الصلح ، وكان الغزال هو الذي تولى تحريره ، اثناء سفارته الى مدريد ، فاذا هو عام « برا وبحرا » فكف عن محاربتهم ، وشرط عليهم حمل مدافعه والمقومات الحربية ، في مراكبهم ، بعضها لمرسى طنجة ، والبعض الآخر للصويرة . ثم ان الملك عزل الغزال عن الكتابة لتغفله (68) فاستقر بفاس حيث بقي في زوايا الاهمال الى أن كف بصره ، ومات سنة 1101 هـ (1777 م) فدفن بزاوية الشيخ عبد القادر الفاسي بحي القلقيين .

لما عاد الغزال من سفارته أمره سيدي محمد بن عبد الله أن يصف ما شاهده اثناءها وصفا شاملا ، فكتب رحلة بعنوان : **نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد وسلك في تحريرها مسلك أحمد الوزير الغساني في رحلته التي سماها رحلة الوزير في افتكاك الاسير** ، والتي سبق أن تكلمنا عنها في ترجمته (69) اهتم فيها بوصف المراحل والمشاهد كما اعتنى بتوضيح أهداف سفارته ومنها التعجيل بافتكاك الاسرى المعطوبين ، وحصر أسماء كافة الاسرى المغاربة والعمل على تخفيف ما يكابدونه من مشاق وآلام ، وعلى تيسير الظروف التي تتيح لهم القيام بواجباتهم الدينية .

يتجلى مما ورد في هذه الرحلة ان الغزال كان كثير الاعتزاز بقوميته ، فخورا بمحاسن وطنه ، وانه كاتب مقتدر واصف بارع (70) فانه « رسم »

(68) ورد ذكر هذه القضية بشيء من التفصيل في الانحساف بمناسبة ترجمة السلطان سيدي محمد بن عبد الله (ج 3 ص 168 و 169) (المغرب)
(69) ألف المستشرق هنري بيرس ، سنة 1938 ، كتابا تحت عنوان *L'Espagne vue par les voyageurs musulmans 1930 - 1610* تكلم فيه عن الرحلات الرسمية والسياحية التي حررت باللغة العربية وخصصت لوصف الجزيرة الاسبانية ، وقام بتحليلها وتقييمها (المغرب)

(70) طبعت الحكومة الاسبانية **رحلة الغزال بالعرائش** أيام كان الشمال المغربي لا زال منطقة خليفية ، وقد اعتنى بنشرها والتطبيق عليها الفريد البستاني (مطبوعات معهد فرنكو - تطوان 1941) (المغرب)

عن اسبانيا القرن الثامن عشر الميلادي « لوحة » ذات ألوان شرقية ، شبيهة بتلك التي أفادنا بها السفير التركي ، محمد أفندي ، عن فرنسا في عهد الملك لويز الخامس عشر .

ومن المحتمل أن يكون الزياتي قد تذكر مضمون بعض فصولها يوم كتب رحلاته المتعلقة بأسفاره في البلدان المتاخمة للبحر الأبيض المتوسط .



يجمل بنا ، قبل الشروع في الكلام عن كتب التراجم المؤلفة في القرن الثالث عشر الهجري ، أن نختم هذا الفصل بالإشارة إلى ثلاثة كتب في مناقب عاش أصحابها في القرن الثاني عشر الهجري ولا نعرف عنهم إلا اليسير القليل .

فالاول والثاني خاصان بأسرة « شرقاوة » التي سبق للمعداني أن عرف باحد رجالها في مؤلف ذكرناه في ترجمته وهو **الروض الينع** .

فصاحب المؤلف الاول منهما ، المسمى **الترقي** في ذكر بعض مناقب **القطب سيدي محمد الشرقي** (71) هو أبو محمد عبد الخالق بن محمد بن محمد بن أحمد العروسي ، التادلي الشرقاوي ، ومن المرجح أن يكون من حفدة الصالح المذكور . وقد وردت الإشارة إلى هذا المصنف في **السلوة** (ج 3 ص 362) .

وأما المؤلف الثاني الذي حرره حسينا يبدو ، بعد المرقى فعنوانه **يتيمة العقود الوسطى في مناقب الشيخ المعطي** .

وقد حرره محمد بن عبد الكريم العيدوني (ت ع ، 1189 - 1775 / 1776 م) وهو أحد كتبة الشيخ المعروف به ، محمد المعطي (72) آ

(71) هو محمد بن أبي القاسم الشرقي السميري الزعري الجبزي ، أحد أتباع عبد العزيز التباع - (انظر **المفتح و الصفيوة و النشر** ، ، ، الخ

(72) هو محمد المعطي بن محمد الصالح بن محمد المعطي بن عبد الخالق بن محمد الشرقي ، اهتم بتجديد زاوية سلفه ، وألف كتابا في « الدعوات » في نحو 40 جزءا ، أسماء وخيرة **الغاني والمحتاج في صاحب اللواء والتاج** ، (المخطوطات العربية بالرباط ص 36 - رقم 100) ، توفي في العشرة الاولى من محرم ع ، 1180 (18/9 يونيه 1766) ترجم له في **النشر** (ج 2 ص 277) و **الانقضاء** (ورقة 2/94) (المؤلف)

والكتاب الثالث ، ونحن لا نعرف عن مؤلفه الا أنه عاش بفاس في القرن الثاني عشر الهجري ، خاص بترجمة سيدي عبد الله المكياط (73) أحد المصلحاء المدفونين بجبل زرهون ، شمال مكناس ، وقد عرف فيه أيضا ببعض حقيقته .

وختمنا نرى من اللائق أن نذكر ، هنا كتابا في نسب الشرفاء ، عده الكتاني من جملة مراجع السلوة (ج 3 ص 360) واكتفى بتعيين مؤلفه باسم ، العشماوي . وعنوان ذلك الكتاب هو كتاب التحقيق في النسب الوثيق وصاحبه مغمور بالمغرب (لاقصي) .

وكتاب التحقيق هذا ، مشكوك في صحته بالاوساط المغربية ، وقد نقله الى اللغة الفرنسية القسيس جياكوبي (74) ولم يستطع أن يستخلص من محتوى المخطوط الذي اعتمده ما قد يتيح له التعريف بالمؤلف أو بزمنه .

إلا أنه من الممكن أن يكون مكي الاصل ، وأنه كان يسمى أحمد بن محمد بن أبي القاسم بن أحمد بن عبد الرحمان بن محمد العشماوي ، وأنه قضى قسطا من حياته بالشمال الافريقي ، وتولى الامامة ، وألف كتابه في القرن الثاني عشر الهجري لأنه تكلم فيه عن الشرفاء التجانيين والوزانيين .

والكتاب ، في حقيقة الامر ، لا يتكلم الا عن الشرفاء الذين استقروا وتناسلوا بالبلاد الجزائرية ، وعليه فهو لا يضم معلومات ذات شأن بالنسبة للمغرب الاقصي .

(73) هو أبو محمد عبد الله المكياط الحسيني الرفاعي الزرهوني (ت 939 هـ) ذكره ابن عسكر في الدوحة (ص 63) والفاسي في المتبع (ص 62) والكتاني في السلوة (ج 1 ص 229 ، ج 3 ص 191)

(74) تحت عنوان كتاب النسب *Généalogie des Chorf* ونشر بالمجلة الافريقية - الجزائر 1906 - وقد ذكر الناقل ان النسخة المخطوطة لاتي كانت بين يديه تحمل هذا العنوان شجرة الاشرف ومعدن الجود والانصاف

ه : كتب التراجم المؤلفه

في القرن الثالث عشر الهجري



ابن سسوة (1)

في 29 ذي الحجة 1209 (17 يوليوز 1795) توفي بفاس أحد نوابغ علماء المغرب ، أبو عبد الله محمد النّاودي بن الطالب ابن سودة المري ، وكان ينتمي الى أسرة أندلسية عريقة ، مشهورة في المجالات الادبية ، هاجرت ، منذ عصور ، الى المغرب وسكنت مدة بحدش بني تاودة (2) ، في شمال فاس .

أخذ في شبابه ، بالعاصمة الادريسية ، عن مشاهير علماء وقته ، سبق ذكر الكثير منهم ، مثل أحمد بن المبارك السجلماسي ، ومحمد بن أحمد بن محمد بن علي بن أحمد ابن جلون ، والوجاري ، وأبي العباس أحمد الشاذلي ، والكندوز ، ومحمد يعيش الرغاي الشاوي ، والتماق ، ومحمد جسوس .

وكان الشيخ الصالح أحمد بن محمد الصقلي (ت : محرم 1227) - هو الذي حبيب اليه التصوف ومجالسة رجاله .

حج سنة 1191 هـ (1777/1778) ومكث بالشرق مدة طويلة ، التقى خلالها بصاحب تاج العروس مرتضى الزبيدي . ثم عاد الى فاس حيث حظي بالتقدير والحفاوة ، ولقب بشيخ الجماعة .

(1) ترجم له الرهوني في اوضح المسالك (الورقات الاولى) ومرتضى في تاج العروس (مادة : سود) والناصري في الاستقصا (ط : مصر ج 4 134) والكتاني في السلسلة (ج 1 ص 112) والفضيلي في الدرر البهية (ج 2 ص 294)

(2) يسمى اليوم « فاس البالي » وهو بعدة وادي ورغة اليسرى على نحو 80 كيلومتر شرقي شمال فاس (انظر مقالتي : Ruines almoravides ... Bul. arch. 1918 pp. 194 - 200.

تخرج عليه عدد وافر من الطلبة ، نذكر من بينهم ابنه أحمد ، ومحمد بن علي الورزازي والطيب ابن كيران (ت : محرم 1227) وادريس العراقي (ت رمضان 1228) ، ويحيى الشفشاوني ومحمد بن عمرو الزروالي والفقيه محمد ابن أحمد الرهوني (ت : بوزان في رمضان 1230) وحمدون ابن الحجاج والحوات (وقد سبقت الإشارة الى الكثير منهم) .

هـ . من كتب مختلفة (3) و فهرسة مشهورة في الاوساط العلمية المغربية ومرغوب في الرجوع اليها نظرا لما تمتاز به أساقيدها من دقة وضبط .



محمد النالي الزبادي (4)

أبو عبد الله محمد بن علي النالي الزبادي هو أخو العالم عبد المجيد النالي المذكور في الفصل السابق ، وكان آخره هذا ممن قام بتثقيفه بجانب اشياخ محمد جسوس ، ومحمد السجلماسي ، ومحمد السرغيني (5) .

أكمل دراسته بالشرق أثناء رحلته لاداء الفريضة سنة 1166 هـ (1753م) صحبة الصوفي أبي محمد عبد الوهاب التازي (ت : بفاس في 27 شعبان 1206) .

تولى خطة العدالة بسماط القرويين ، ومات في فاتح ربيع الاول 1209 (26 شتنبر 1794) .

ترك عدة مصنفات منها ترجمة ضافية لصالح تادلا أبي الحسن علي بن عبد الرحمان الدرعي دفين جبل تمجوط ، عنراها : دوحية البستان ونزهة

(3) منها طالع الاماني على شرح الزرقاني ، و شرح تحفة ابن عاصم وشرح لامية الزقاق ، يزداد المجد الساري في مطالع البخاري ، وشرح جامع خليل ، ومناسك الحج ، الخ .

(4) انظر السلسلة (ج 2 ص 188) و الابحاث الجبلوغرافية (ص 43 رقم 116) لبسباسي

(5) تقدم ذكرهم في الفصل السابق

الاخوان في مناقب الشيخ ابن عبد الرحمان (6) ومعجم عرف فيه بصلحاء
وعاماء مغاربة، وأسماء : سلوك الطريق الواررية في الشيخ والمريد والزاوية
الا أنه أصبح الآن من المتعذر العثور عليه ، وان كان الشيخ الكتاني استقى
منه فوائد شتى وذكره عدة مرات في سلوك الانفاس . (X)



عبد الواحد الفاسي (7)

ولد أبو مالك عبد الواحد بن محمد بن أحمد الفاسي بالعاصمة الادريسية
سنة 1172 هـ (1758 / 1759 م) .

تخرج على أبيه وعلى المشار اليهم من أشياخ وقته ، محمد بناني ، وابن
شقرن ، ومحمد بن عبد السلام الفاسي ، وعلي العراقي . ثم تصدر للتدريس
وكان أول خطيب لجامع الرصيف الذي شيد في عهد السلطان مولاي سليمان .
توفي ، شهيد الوباء ، في 2 ذي الحجة 1213 (7 ماي 1799) مخلفا
كتابين ، أحدهما في الشرفاء القادريين اسمه : اغاثة اللفان ، وسلوة الاحزان
بالقادريين عظام الشأن (8) (X) وثانيهما في الشرفاء الصقليين عنوانه
غاية الامنية وارتقاء الرتب العلية في ذكر الانساب الصقلية ذات الانوار
البهية (9) .

(6) توجد نسخة منها ، بخزانة الرباط تحت رقم 393

(X) ورد في دليل المؤرخ انها توجد بالخزانة السودية (رقم 1140 - (المغرب)

(7) ترجم له الكتاني في السلوة (ج 1 ص 325) وباصي في الابحاث الجبلوغرافية
(ص 44 رقم 125)

(8) السلوة (ج 3 ص 362)

(X) ونكر في دليل المؤرخ (رقم 1649) تحت عنوان اغاثة اللفان و سلوة
الهدوم والاحزان بالقادريين عظام الشأن اولى الذاء والفضل والاحسان ، وقال انه طبع
على الحروف بتونس (المغرب)

(9) السلوة (ج 1 ص 343) - (الدليل : رقم 403 - (المغرب)

ابن عجيبه (10)

أبو العباس أحمد بن محمد ابن عجيبه التطواني، شريف حسني رأى
النور بقبيلة أنجرة المستقرة بمساحل البحر الأبيض المتوسط ، بين طنجة
وتطوان .

قصد مدينة فاس طلبا للعلم ، فسمع عن بفاني والورزازي وابن سودة ،
وانضم الى الطريقة الدرقاوية ولم يلبث ان أمسى من الدعاة لها بمنطقة جبالة
ومن المعتنقين بنشر مبادئها وتنظيم زواياها بتطوان ونواحيها .

توفي بالوباء عام 1224 (1809 / 1810) . ألف عددا وافرا من الكتب،
أشهرها البحر الديد (شرح للقرآن في أربعة أجزاء) ، و شرح لحكم ابن عطاء الله
وشرح لاحدى قصائد ابن البناء عنوانه : الفتوحات الالهية
في شرح المباحث الاصلية وله في التراجم : ازهار البستان في طبقات الاعيان
عرف فيه بأئمة المذهب المالكي ، منذ مالك الى الرهوني ، و فهرسة بها
معلومات مفيدة عن الحياة الفكرية بتطوان في أوائل القرن التاسع عشر
الميلادي .



الحصوات (11)

أبو الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن موسى
الشفشاوئي ، الملقب بالحصوات ، ينتمي الى القطب مولاي عبد السلام ابن
مشيش .

(10) ذكره الشيخ عبد القادر الكوهن في امداد ذوي الاستعداد (مخطوط بخزانة الرباط رقم

514) المؤلف - وترجم له في تاريخ تطوان (ج 6 ترجمة ضافية) (المعرب)

(11) ترجم له في السلوة (ج 3 ص 116) و السحر البهية (ج 2 ص 95) وفي المباحث

الجيولوجرافية (ص 41) رقم 109)

ولد بشفشاون حوالي سنة 1160 هـ (1747 م) وبعدها بقليل مات أبوه الذي كان قاضيا بتلك البلدة (12) .

لما شب سكن بفاس قصد التعلم ، وسرعان ما ظهرت عليه علامات النجابة والذكاء ، أخذ بالقرويين وبجاتي المدارس الفاسية ، عن جلة علماء وقته ، منهم ، محمد بن إبراهيم الدكالي ، ومحمد بن الطيب القادري ، وعبد القادر بوخريص ، وعبد الكريم اليازغي ، ومحمد بن عبد السلام الفاسي ، وعمر الفاسي ، وبناني ، وابن سودة ، وجلهم عرفنا بهم في الفصول السابقة .

كرس المحوات حياته للدراسة ، وحيث أنه كان ذا سعة في العيش ، مما يمهده به ذروه من خيرات وغلل ، فإنه ترفع عن التماس الوظائف الديفية أو الشرعية ، بل رغب حتى عن الصلة الزهيدة التي تعودت مصلحة الاوقاف المغربية تخصيصها للعلماء ، غير أنه لما تقدم به السن اختاره السلطان المولى سليمان نقيباً للشرفاء ، فقبل عن طواعية ورضى ، وهذه الاتفاقية هي التي أتاحت له الاتصال بعدد كبير من الاسر الارستقراطية القاطنة بفاس ، وحفزته على الاهتمام بدراسة أنساب الاشراف .

تخرج عليه طائفة من الاعلام مثل الشيخ عبد القادر الكوهن ، والشريف المسجل ماسي مولاي الزكي بن محمد الهاشمي ، وأبي الفضل العباس حفيد التاودي ابن سرده .

توفي بفاس في 29 صفر 1231 (30 يناير 1816) ودفن خارج باب الجيسة .

إن أغلب المصنفات التي خلفها الحوات تتعلق بالتراجم ومخصصة ، بوجه عام ، للتعريف بالشاهير من أبناء البيوتات العلمية .

(12) مذكور في النقطة الحرة (ورقة 1/84) وفي السلسلة (ج 3 ص 118) وينسب اليه كتاب في اتباع ابن ناصر عنوانه تحفة المعاصرين في بعض صالحى تلامذة ابي عبد الله ابن ناصر (المؤلف)

تكلم عن حياته في كتاب سماه : ثمرة أنسي في التعريف بنفسي ، وهو شبيه بفهرسة الا أنه يشتمل على معلومات لم نتعد العثور عليها في هذا النوع من المؤلفات ، اذ ضمنه فوائد دقيقة عن الوسط الادبي الجبلي الذي شب فيه ، وعن الوسط العلمي بفاسي أيام اقامته بالحضرة الادريسية.

خصص كتابه قرة العيون في الشرفاء القاطنين بالعيون للتعريف بالشرفاء الدياغيين الساكنين بحي العيون ، وكتاب : السر الزاهر فيمن احرز بفاس السر الباهر من أعقاب الشيخ عبد القادر لذكر فضائل القادريين ، وكتاب الروضة المتصودة والحل الممدودة في مآثر بني سودة لتاريخ البيت السوداني الى عهد الشيخ التاودي الأنف الذكر ، وقد تكلم فيه حتى عن ابنه وعن حفيد هذا الأخير .

لا شك أن أهم مصنف ألفه الحوات هو : البدور الضاوية في التعريف بالسادات أهل المزاوية الدلائية الذي ترجم فيه لرجال الزاوية الدلائية مستهلا بذكر جدهم أبي بكر ومتوسعا في التعريف بحفدته أكثر فأكثر في تراجم من استقر منهم بفاس أو ولد بها ، أي بعد أن خرب المولى الرشيد زاويتهم .

انه عرف بأساتذتهم ، وأورد نصوص إجازاتهم كاملة ، وكذا نصوص الرسائل الادبية التي كانوا يوجهونها لمعاصريهم ، وأحيانا حتى بعض منظوماتهم .

الا أنه ، من سوء الحظ ، لم يفدنا بإيضاحات طريفة عما كان ، طيلة سنوات ، من نفوذ وسيادة لولاي محمد الحاج الدلائي ، يل اكتفى ، في هذا الصدد ، بنقل شذرات صادفها في فزهة الحمادي أو في نشر الثاني .

وعليه فان المعلومات السياسية الطريفة التي قد نعثر عليها في البدور لا تسمح لن بان نعد هذا الكتاب من المصادر الاصيلة لتاريخ المغرب السياسي ، بيد أننا نعتبره مرجعا لا يستهان به ، فيما يخص التاريخ الادبي .

هذا ونختتم هذه الترجمة بالإشارة إلى كتاب خصص للتعريف بأعلام الأسرة الفاسية وعنوانه **عناية أولى المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد** ان بعض الادباء ينسبون هذا الكتاب للحوات ، وبعضهم ينسبونه للسلطان مولاي سليمان ، ومنهم مؤلف **السلسلة** (13) .

من المتفق عليه ان هذا الامير كان مثقفا وأنه كان يهتم فعليا بما كان يروج في عهده من نشاطات أدبية (14) ولذا لا نرى من المستحيل أن يكون خطر بباله القيام بعمل من شأنه أن يشرف كافة أفراد أسرة ذات جاه ونفوذ قد تقتضي الظروف الاعتماد عليها . ولكن حيث انه لا يوجد الآن لدينا نسخة من الكتاب المذكور فإنه يصعب علينا أن نبدى ، في هذا الموضوع (X) رأيا ذا قيمة .



عبد القادر الكوهن (15)

ينتمي أبو محمد عبد القادر بن أحمد بن أبي جيدة الكوهن إلى أسرة اسرائيلية أسلمت في عهد بني مرين أو الشرفاء السعديين ، وهو عالم جليل عرف بالتقوى والورع .

ولد بفاس في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي ، أخذ عن محمد الطيب بن كيران ، وحمدون ابن الحاج ، وأحمد بن التاودي ابن سودة .

(13) ج 2 ص 312 سطر 1 و 4 - ج 3 ص 362 ، السطر الذي قبل الأخير

(14) ترجم الكتاني ، في **سلسلة الانفاس للسلطان مولاي سليمان** (ج 3 ص 231) إلا انه لم يذكر انه خلف مؤلفا أدبيا (المؤلف)

(X) طبع كتاب **عناية أولى المجد بفاس سنة 1347 هـ** وورد فكره في **طليل المؤرخ** ج 1 ص 113 ، تحت رقم 396 (المعرب)

(15) توجد معلومات عنه في **السلسلة** (ج 2 ص 169) وفي **المباحث الجبلوغرافية لباصي** وقد التقطنا بعض التفاصيل عن حياته بفاس وبسلا (المؤلف)

أدى قريضة الحج وانضم للطريقة الدرقاوية ، ثم بدا له أن يجاور بالحرم النبوي ، فوافته منيته بالمدينة (الثورة) في شهر صفر 1254 (26 أبريل / 24 ماي 1838) .

ترك لنا أربعة تآليف : رحلة تكلم فيه عن حجته الأولى وفهرسة سماها **أمداد ذوي الاستعداد إلى معالم الرواية والأسناد** وضمنها أخبارا عن أشياخ عصرهم ، فرغ منها في 17 شوال 1245 (11 أبريل 1830) ، وشرحا **للأجرومية** وشرحا **لمقدمة ولخاتمة صحيح البخاري** عنوانه : **منح الإهية ومواهب اختصاصية على الجامع الصحيح**



العراقي (16)

سبق أن رأينا أن الشيخين **محمد القادري** و**عبد الواحد الفاسي** عرفا بالشرفاء الصقليين ، إلا أن هناك فرعا آخر من الحسينيين ، وهم الشرفاء العراقيون ، اهتم بتحرير تاريخهم أحد الخطيبين اليهم ، وهو أبو محمد عبيد الله ، المعروف بالوليد ، **بن العربي بن الوليد العراقي الحسيني** .

ولد بفاس سنة 1208 أو 1209 (1793/1795) . تخرج على علماء وقته وولي الإمامة والخطابة بجامع مولاي إدريس ، واشتغل بالتدريس في نفس المصلى وكذا بالقرويين .

توفي في 7 أو 8 ربيع الثاني 1263 (2 أو 3 مارس 1849) ودفن بضريح أحد أقاربه ، خارج باب الفتوح .

وسمي كتابه **بالدر النفيس فيمن بفاس من بني محمد بن نفيس** . ولما فرغ منه أضاف إليه ملحقا لا يخلو من فائدة .

ونذكر صاحب **السلوة** (ج 1 ص 141) - أن العراقي ألف أيضا ترجمة لقريبه المحدث أبي العلاء إدريس بن محمد بن إدريس بن حمدون بن عبد الرحمان العراقي الحسيني المتوفى في شهر شعبان 1183 (دجنبر 1769) .

محمد المهدي ابن القاضي (17)

في مستهل القرن التاسع عشر الميلادي ، ظهرت الطريقة الدرقاوية الصوفية ، ولم تلبث أن كثر أتباعها بالمغرب الأقصى ثم بالشمال الإفريقي فمؤسس هذه الطريقة هو العربي الدرقاوي (18) ، دفين بو بريح (19) الذي سكن في فاس مدة طويلة ، وإتق حوله بها عدد وافر من المريدين ، كان من أنشطهم أبو المواهب (وأبو مالك) عبد الواحد بن علال بن إدريس الحسني الإدريسي الدباغ (20) .

ترجم لهذين الشيخين ، أحد تلاميذهما ، محمد المهدي بن محمد ابن القاضي (توفي بفاس في 10 شوال 1271 - 26 يونيو 1855) في كتيب عنوانه : **النور القوي بذكر الشيخ مولاي عبد الواحد الدباغ والشيخ مولاي العربي الدرقاوي** .



محمد الطالب ابن الحاج (21)

هو أبو عبد الله محمد الطالب بن حمدون ابن الحاج الإسلامي المرداسي ، كان أبوه أحد أكابر أدياء العهد السليمانى ، وقد جادت قريحته بقصائد جمّة، جمعت في ديوان وطبعت بفاس ، وجلها في مدح السلطان مولاي سليمان .

(17) السلسلة (ج 1 ص 361) و المباحث الجبلوغرافية (ص 46 رقم 133)

(18) أبو عبد الله محمد العربي بن أحمد بن الحسين بن علي الدرقاوي المولود في 23 صفر 1239 (29 أكتوبر 1823) ، كان هو نفسه من تلاميذ علي الجمال العمراني الإدريسي (انظر ترجمته في دائرة المعارف الفرنسية : (مادة درقاوة) بقلم الأستاذ A.Cour

(19) في قبيلة بني زروال ، بالضفة اليسرى لرومي أودور ، نقلت الزاوية الدرقاوية ، فيما بعد ، إلى أمجوط ، قرب بوفريخ ، وهناك دفن ابن الشيخ العربي ، محمد الطيب (8 جمادى 1287) (المؤلف)

(20) السلسلة (ج 1 ص 258 و 360)

(21) السلسلة ج 1 ص 157 - الدرر البهية ج 2 ص 330 المباحث ص 47 رقم 138

واد محمد الطالب بفاس وأقبل ، في سن مبكرة ، على التعلم ، فتتلمذ لآخيه محمد (ت : في 17 شوال 1274) ولعلماء أفاضل ، منهم محمد اليازغي والقاضي أبو الفتح محمد التهامي الحمادي الكناسي ، وعبد القادر الكوهن ، والخطيب أبو العلاء إدريس الودغيري ، وعبد الإقادر الكوهن ، والخطيب لـ9خوددلا ، أبو العلاء إدريس الودغيري ، وأبو الحسن علي بن عبد الله المتيوي ، والقاضي أبو المجد عبد الهادي الحسني العلوي ، والشريف الإدريسي أبو محمد عبد السلام بن الطائع أبو غالب .

تلقى مبادئ الطريقة الدرداوية عن محمد الحراق السالف الذكر . وفي شهر ذي القعدة 1280 (نوفمبر - دجنبر 1844) أجازته صوفي شرقي ، وهو محمد صالح بن خير الله الحسيني الرضوي البخاري السمرقندي الذي زار مدينة فاس في ذلك العهد (22) .

ولي القضاء أولا بمراكش ثم عيَّنه السلطان مولاي عبد الرحمان قاضيا بفاس خلفا لشيخه القديم أبي المجد عبد الهادي الذي توفي عهدئذ ، ولكن لم يكمل يمضي عام واحد على هذه التولية حتى لبي داعي الله ، وذلك في 9 ذي الحجة 1273 (31 يوليوز 1857) فدفن بالصريح الذي خصص لأحد أسلافه والقائم بالدرب الطويل ، شرقي جامع القرويين بحي البليدة .

ان أكثر الكتب التي خلفها محمد الطالب ابن الحاج تتعلق بالتراجم : فانه جمع في تولينه : الاشراف على بعض من حل بفاس من مشاهير الاشراف معلومات عن أعيان المباحين الحقيقية والادبية من الاشراف القاطنين بفاس ، وفي نظم الدر والثلال في شرفه عقبه ابن صموال عرف نظما بالشرفاء الكتائبين ، وكان في ذلك من السياقين الى تسطير تاريخ هذه السلالة الادريسية .

(22) ينتمي هذا العالم الى اسرة ملكية اصلها من سمرقند ، ولد سنة 1201 وتوفي سنة 1286 ، مكث بفاس عاما كاملا (1286) وتجول في كافة أنحاء المغرب الأقصى ، وحظي بسمعة طيبة في الاوساط الادبية ، حتى ان الشيخ عبد الحي الكتاني خصص له ترجمة سماها : توكب المجد الساري في توجمة شيخ شيوخنا محمد صالح الرضوي البخاري (المؤلف)

و ترجم لاشيخه في فهرسة عنوانها روض البهار فد ذكر جملة من
مشائخنا الذين فضلهم أجلى من القهار ، وأخيرا انصرف للتعريف بأبيه
وأسرته ، فصنف سفرا متوسط الحجم سماه : رياض الورد الى ما انتهى اليه
هذا الجواهر الفرد (23).

ان هذا الكتاب ، رغم ضيق الموضوع المطروق فيه ، يبدو أفيد من أكثر
الكتب المخصصة للتعريف بالبيوتات المغربية الكبيرة ، ويمكن أن يعد ، في
هذا الصدد ، مائلا لمرآة المحاسن .

رتبه على خمسة أبواب مختلفة في الطويل : الاول في نسب أسرة ابن
الحاج ، وأتى فيه بمعلومات عن أسلافه الاولين المنتمين ، حسبما يزعمون ،
الى قبيلة بني سليم الكبيرة التي كانت معروفة في عهد النبي (صلى الله عليه
وسلم) ، والثاني في هجرة تلك الأسرة من الحجاز الى الاندلس ، والثالث
يحتوي على قائمة الوظائف التي أسندت الى أبناء الحاج في تلك البلاد ،
والرابع تعرض فيه ، عندما ذكر ظروف استقرار تلك الأسرة بالمغرب
الاقصى ، الى الكلام عن طرد المسلمين من الاندلس وضمنه عدة قصائد نظمت
اذ ذاك لوصف ما نزل بهم من مصائب ولبكاء المعاهد والديار .

تخلص بعد ذلك لموضوع الرياض الحقيقي فذكر من اشتهر بالمغرب من
آل حمدون ، مسهبا ، بوجه خاص ، في التعريف بأبي الفضل أحمد بن
العربي الحارثي المرداسي السلمي ، وبابنه أبي عبد الله محمد ، ثم
أورد في نهاية المطاف ، معلومات عن حياة أبيه حمدون .

وخلاصة القول فان رياض الورد لا يزيد على كونه مجموعة «مقتطفات»
، ولكنها مقتطفات مفيدة لانها مستخلصة من وثائق
أسروية ، وتضم نصوصا نثرية ومقطوعات شعرية
جعلت من المؤلف المذكور مرجعا مهما في المجال الادبي ، وتضم ،
بالإضافة الى ذلك ، بعض الرسائل الاسماعيلية والاسليمانية التي أكسبته
قيمة وثائقية لا يستهان بها فيما يخص التاريخ المغربي الحديث .

(23) توجد مخطوطة من هذا المؤلف بمخزنة الرباط تحت رقم 396 (المؤلف)

(x) وتحت رقم 111 حسب دليل مؤرخ المغرب الذي ذكر انه يسمى ايضا بقيل السرور
والابتهاج بترجمة الشيخ حمدون بن الحاج - رقم 841 - (المغرب)

عبد الكبير الفاسي

ذكر صاحب سلوة الانفاس في أواخر قائمة المراجع الذي اعتمد عليها،
كتاباً عنوانه : **تذكرة الحسين بوفيات الأعيان وحوادث السنين** ، وهو
عنوان يشير الى أن ذلك الكتاب عبارة عن سجل رتبت فيه ، ترتيباً زمنياً ،
أحداث تاريخية كان لها أثر كبير ، وأسماء أعلام مشهورين .

لم يأت لنا من سوء الحظ العثور على هذا الكتاب وإنه لن المحتمل أن
الكتاني نفسه لم تتح له مطالعته .

ومهما يكن فلا مندوحة من التعريف بمصنفه (24) فإنه من سلالـة
آل الفاسي ، واسمه عبد الكبير بن المجذوب بن عبد الحفيظ ، حج مرتين وولي
الخطابة بجامع القرويين بعد أن تخرج على الشيخ محمد الحراق ، والشريف
لادريسي أبي محمد عبد السلام الأزمي .

توفي عام 96 12 (1879) بقصبة فضالة القائمة بين الدار البيضاء
ورباط ودفن في شالة داخل مبة سيدي يحيى بن يونس .

(24) أماننا ببعض هذه المعلومات الشريف عبد الحي الكتاني ، ووجدنا بعضها في
المباحث الجبلوغرافية ص 47 رقم 137 (المؤلف)

محمد الامين الصحراوي (25)

في نفس السنة ، توفي بمراكش العالم ابو عبد الله محمد الامين بن عبد الله الحجامي الجعفري الصحراوي ، وهو صاحب تأليفين ، أحدهما الارتجال في مناقب وشاهد سبعة رجال (26) ، وثانيهما في مناقب المختار الكنتي (27) وأسماء : المنهاج المختار في مناقب الشيخ المختار .



أبو اسحاق

ربما لا يوجد في الساعة الراحنة ، من بين رجال التاريخ المغربي ، باستثناء الامامين الادريسيين - (الاكبر والازهر) - من هو أشهر وأكثر شعبية من المجاهد محمد العياشي .

فاذا كانت مقومات شخصيته أخذت الآن تتجلى أكثر فأكثر تبعا لزيادة المامنا بما تحتوي عليه الوثائق الاروبية المتعلقة بالقسم الاخير من عهد الدولة السعدية ، فان تفاصيل تاريخ حياته التي لا زالت تروى بالسواحل الغربية وبالمناطق الآهلة بالقبائل الجبلية أصبحت اليوم ممزوجة بألوان من الاساطير ومحاطة بضروب من المناقب ، أكسبت بطلها هالة من القداسة .

في أواخر القرن الثالث عشر الهجري اهتم بترجمته الاديب عبد القاهر ابن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن أبو أملاق المتيوي النشأة ، وخصص لها

(25) ابن الموقت السعادة الابدية ج 1 ص 100 (المؤلف)

(26) كتب في نفس الموضوع القاضي العباس بن ابراهيم تحت عنوان اظهار الكمال

(المؤلف)

(27) عرف بهذا الشيخ الصالح الاستاذ أحمد الامين الشنقيطي في كتابه الوسيط في تراجم

الدياء شنقيط - طبع القاهرة سنة 1329 ص 356 (المؤلف)

تأليفنا عنونه : الخبر عن ظهور الفقيه العياشي بهذه البلاد وذكر سبب قيامه

بترجمة الإجماع (28) .

إن هذه الترجمة لا تضم ، لسوء الحظ ، ما يثير كبير الاهتمام ، لأن مؤلفها يسجل فيها ما سبق أن ذكره جملة من المؤرخين عن ذلك المجامد ، وبالنصوص الأفراني في نزعة الحادي والقادي في نشر الثاني ، ولكنها تستوجب بعض التقدير لأنه صمّمها الرسائل التي كان يوجهها العياشي للمدن الساحلية والرسائل التي كان يكتبها له مرابطو الزاوية الدلائية ، أو كان هو نفسه يبحث لهم بها .

لا يخفى علينا أن الكثير من هذه الرسائل الأخيرة أورد نصوصها الحوات في كتابه الإيدور الضاوية ، ولكن لا ينبغي أن ننسى أن الاطلاع على ما في كلا المصدرين قد يساعد على إكتساب نظرة جديدة عن مفهوم الجهاد بالمغرب في عهد العياشي الذي ، حسب ما هو معروف عند الجميع ، اغتيل في 19 محرم 1051 (30 أبريل 1641) بقبيلة الخطوط ، وأرسل رأسه إلى مدينة سلا ، ثم أوري قرب ضريح الرلي أبي الشتاء الخمار بحدود جباله ، لأنه كان هو نفسه أوصى بأن يدفن هناك (29) .

(28) توجد نسخة مخطوطة منه بخزانة الرباط العامة تحت رقم 380

(x) ولكر في دليل المؤرخ تحت رقم 803 - كما تكلم عنه الاستاذ محمد حجي قبي

كتابه الزاوية الدلائية

(29) فكرت هذه الحادثة في نزعة الحادي (ص 271 و ص 450 من الترجمة) ونشر الثاني (ج 1 ص 179) ويبدو أنها مطابقة للحقيقة لأنني وقفت بنفسني ، في روضة سيدي العياشي ، قرب زاوية مولاي أبي الشتاء الخمار وقد أخبرت هناك بما يلي : خلال المعارك التي دارت في تلك الناحية ، سنة 1910 ، بين المغاربة والجيوش الفرنسية ، وأنتي كان يسيرها الجنرال فورو والكولونيل بين (Pein) وقعت قنبلة على حريم الروضة ولوحظ أن المدفن يشتمل على صندوق صغير ، وجد داخله رأس بشري ، وكانوا ظنوه ملووا ذهباً ، (المؤلف)

القسم الرابع



المؤرخون والمترجمون المعاصرون

ان قلة المشتغلين بالتأليف ، في عهد مولاي عبد الرحمان وابنه سيدي محمد ، مما يوهم ان القصور كان يخيم اذ ذاك على كافة المجالات الادبية ، والحقيقة انه اذا كان لا يسوغ لنا ان نصم أجيال تلك الحقبة التاريخية بالعقم الفكري ، إذ لم تخل فترة منها من حملة اقلام ، فلا مناص من الاعتراف بأن عدد هؤلاء كان ضئيلا ، وانهم لم يخلفوا لنا مؤلفات جديرة بالدراسة والتحليل .

وعلى العكس من ذلك فان عهد مولاي الحسن كاذ ، بالنسبة للآداب الاسلامية ، عهد نهضة جديدة وذلك لان فيه ساد الهدوء والامن ، وتعددت مظاهر اليقظة ، ونشطت الهمم للتفكير في اصلاح الدواليب الحكومية والمنشآت الادارية ، والاجتماعية ، والمعدات الحربية ، وفيه عوف المغرب للطباعة ، وأخذ المثقفون للواعون يهتمون بمقاصد البعثات الدبلوماسية واساليب رجال الشركات التجارية الاوربية .

وعندما توفي السلطان مولاي الحسن ، وجلس خلفه ، مولاي عبد العزيز على العرش ، كان العلماء المغاربة من جملة الداعين الى الاهتمام بكل ما شأنه ان يضمن انتشار الامن ، ويساعد على استمرار سلامة السيادة المغربية ، وان كان نفر منهم لا يطمئنون لما قد يترقب عن اصلاح المتوخى ، ذلك الاصلاح الذي كانت تطلعهم على بعض جوانبه الجرائد المصرية او الشامية المتسربة الى المغرب ، وكذا الكتب التعليمية الشرقية المؤلفة حسب المناهج المغربية ، حتى ان الناصري ختم كتابه بهذا البيت :

وأعلم علم اليوم والامس قبله
ولكنني عن علم ما في غد عم (1)
والظاهر ان الناصري والكتاني لم يستطيعا ان يخفيا ما كان يخامر نفسيهما من مرارة عندما شرعا في تأليف الاستقصا و سلوة الانفاس

(1) قال الناصري قبل هذا البيت : ، ، ، واعلم ايضا ان أمر هؤلاء الفرنج في هذه السنين علا علوا منكرا وظهر ظهورا لا كفاء له . واسرعت بحواله في التقدم والزيادة ، ، ، حتى كاد يستحيل الى فساد ، وعلم عاقبة ذلك وغايته الى الله تعالى المنفرد بالغيب (المعرب)

الناصرى

سبق لنا ، ونحن نترجم للزياتي ، ان لاحظنا ان موظفي الادارة المخزنية كانوا كثيرا ما ينقلون من ناحية الى أخرى لمدد متفاوتة في الطول وللقيام بمهام متباينة غاياتها .

هذا ومع ان المؤرخ السلوي ، أحمد بن خالد الناصري ، لم يشغل مناصب مخزنية سامية ، فانه قضى قسطا وافرا من حياته بعيدا عن مسقط رأسه قائما ، في مدن يبعد بعضها عن بعض ، بوظائف كانت تسند لها إليه عهدئذ بنية من بنائى البلاط الملكي ، وانه لمن المرجح أن تلك التقلات هي التي حفزته على كتابة تاريخ بلاده لانها أتاحت له الاطلاع على ما كان بمظلمة مختلف الحواضر المغربية من وثائق ومستندات (2)

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن حماد بن محمد ابن ناصر، وعليه فنسبه يتصل رأسا بمؤسس الطريقة الناصرية لكونه من سلالة أحد اخوة أحمد ابن ناصر ، وذلك لان جماعة من نسل الصالح التمكروثي كانوا قد استوطنوا سلا في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، فأصبح كل من يفتيهم اليهم يعرف بالناصرى وبالسلوي (3) .

ولد مؤرخنا بسلا في 22 ذي الحجة 1250 (20 ابريل 1885) وكانت اذ ذاك ، عبارة عن مدينة صغيرة هادئة سكنت فيلا جلبة المجاهدين ، ولكن اتجه أهلها نحو طلب العلم مضاهاة لفاس حيث تخرج الكثير من علمائها .

(2) استخلصنا المعلومات المتعلقة بالمؤلف ، من كتاب الاستقصا عنه ، وقد استفدنا ايضا في هذا الصدد ، بما ورد في ترجمتين للمؤلف ، حرر احدهما ابنه جعفر ومحمد ، وكتب الاخرى تلميذه محمد ابن علي الدكالي تحت عنوان : « تخليد المآثر وتشبيد الفاخر بترجمة الشيخ شهاب الدين احمد بن ناصر .

اننا ننتهز هذه الفرصة لنعبر لانجال المؤلف الثلاثة الموظفين حاليا بالديوان الملكي ، عن خالص شكرنا لانهم اطلعونا على نسخة مخطوطة للاستقصا نقحها ابوهم بخط يده (المؤلف)

(3) ان مؤلف الاستقصا معروف عند المستشرقين بالسلوي وعند المغاربة بالناصرى حسب نسبه الحقيقي (المؤلف)

أخذ بسلا عن الفقيه الجليل أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز محبوبية
(ت : بمكة سنة 1279 هـ) وعن القاضي الخطيب أبي بكر بن محمد عرواد
ت . بسلا 10 صفر 1296 هـ) وأولع ، وهو شاب ، بمطالعة الكتب العلمية
والادبية ودراسة الشعر الجاهلي والإسلامي ، وبوجه خاص دواوين البحري
وأبي تمام والمتنبي .

ولما ناهز الأربعين من عمره عين للعمل في الإدارة الشريفة ، فتقلب في
وظائف كثيرة بمختلف الحواضر المغربية ، كسلا والإدار البيضاء ، ومراكش
والجديدة وطنجة ، وفاس ، لأنه عاد في آخر عمره إلى مسقط رأسه وهناك
وفاء الاجل المحتوم في 16 جمادى الاولى 1315 (13 أكتوبر 1897) فدفن
بالمقبرة المشرفة على البحر ، خارج المسمى باب « المعلقة » خلف قبر سيدي
هشام .

هذه هي ترجمة الناصري (4) كان موظفا صغيرا ومثقفا ثقافة أدبية
لا يستهان بها ، وبالإضافة إلى ذلك كان مؤرخا . لبس في حياته حلة أصالة
مثل أصالة الزياني مثلا ، ولا حتى أصالة اكنسوس التي كانت في حقيقة
الامر ابهت لونا منها ، ومع ذلك فإنه خلف ، بجانب مؤلفه التاريخي
مصنفات عديدة من شأنها أن تلفت إليه الانتظار وإن تكسبه مكانة شريفة في
مصنف الأدباء المغاربة من أبناء عصره .

قبل تحليل كتاب **الاستقصا** يليق بنا أن نلقي نظرة سريعة على
كتبه الأخرى التي منها ، حسب ما أخبرنا به ، بالإضافة إلى جملة تويلفات ،
(5) ثلاثة مصنفات مهمة : الأول : شرح لشمقمقية ابن الهيثم عنوانه :
زهر الأفنان من حديقة ابن الوثنان ، الثاني : **تعظيم المنة بنصر السنة**
«توحي فيه التقبيح على البدع المحدث في الدين وردّها والقشيد فيها

(4) لخصت ، شيئا ما ، التفاصيل المتعلقة بحياة الناصري لأن المؤلف استقى هذه المعلومات
من مصادر كانت أذاك مخطوطة وغير متداولة وهي الآن ميسرة ، ولأن ترجمة الناصري مثبتة
في الجزء الأول من كتاب **الاستقصا** الذي طبع سنة 1954 بالدار البيضاء تحت إشراف
ابني المؤلف القاطنين الآن بسلا (المغرب)

(5) ذكرت جميع مؤلفاته في الترجمة المشار إليها أعلاه (المغرب)

والتشديد باهلها من ارباب الطوائف « (6) ، الثالث : كتاب في التعريف
بالناصرين الذين ينتسب اليهم ، وهو ، **طلعة المشتري في النسب الجعفري**
(7) أتم مصنفه هذا في 17 ربيع الثاني 1309 (20 نومبر 1881) ، واذا كان
يهدف من تحريره اثبات النسب الناصري الشريف ، أي وصله بالعترة
النبوية ، فانه كان من دون شك يقصد في نفس الوقت ، اثبات شرف محمّد
أسرته ، ومهما يكن من أمر فان عمله هذا افادنا بتاريخ للزاوية التمكرونية
جدير بالتقدير ، اذ أورد فيه معلومات كثيرة استقأها من كتاب محمد المكي
الدرعي **آدر المرصعة باخبار اعيان درعة** الذي سبق أن تكلمنا عنه
الا انه استفاد كذلك من مؤلفات أخرى كانت بالزاوية الناصرية الام وتسنى
له الوصول اليها واقتطاف ثمراتها .

ان اعظم مصنفاته هو كتاب **الاستقصا لخبار دول المغرب الاقصى**
وكان نشره بمثابة تقدم لا نظير له في حركة التأليف التاريخي المغربي ، اذ
أتاح للمرة الاولى لمؤلف مغربي ، لا زال حيا يرزق ، ان يعرف آراء بني قومه
وأراء قراء أجانب من المسلمين و غيرهم في كتاب من بنات افكاره : فانه لم
يقتصر فيه على ذكر اخبار فترة زمنية معينة ، بل ضمنه تاريخ بلاده العدم
ونشر ، بالاضافة الى ذلك ، في الشرق . وكل ذلك من شأنه ان يضمن له
الرواج والاستقبال بكلتا اليدين .

يؤكد لنا اتخاذ الناصري لهذا المسلك انه لم يكن يكثرث بما قد يثيره
الحسدة حول كتابه ، داخل المغرب ، وانه كان يتوقع ، راضي البال مطمئن
القلب ، ان كتابه سيكسبه شهرة طيبة في باقي البلاد الاسلامية .

ستبقى ، بعد قريب ، ان **الاستقصا** الذي أصبح اليوم معتبرا ، لدى
المغاربة ، خير ما اكتب عن تاريخ بلادهم الوطني ، لم يحظ عندهم ، أول الامر

(6) نقلت هذه الجملة من الترجمة المذكورة وهي تطابق ما قال المؤلف في شأن ذلك الكتاب

(المغرب)
(7) طبع بقاس في جزئين وذلك في حياة المؤلف . ونشر ملخصه الاستاذ (Bodin)
باللغة الفرنسية في مجلة المستندات البربرية (1918) بعنوان « زاوية تمكروت » (المؤلف)

بنفس التقدير بيد أنه ما كاد يخرج من المطبعة حتى رحب به المستشرقون الأوروبيون ومؤرخو شمالي إفريقيا من أهل الغرب ، وأصبح من أفضل الأصول التي يرجع الباحثون إليها ، سيما وأن الربع الأخير منه ، الخاص بالعلويين ، ترجم وبات في متناول حتى الذين لا يعرفون اللغة العربية .

ان الاستقصا خيب بعض الشيء ظن الاخصائيين الغربيين اذ كانوا يحسبون انه سيأتي بشيء جديد من حيث المنهج ومن حيث المضمون ، وسرعان ما تبين لهم انه لا يختلف عن المؤلفات التاريخية التي ظهرت قبله في غربي العالم العربي : فهو يقوم على الجمع ، ومزيته في أنه يقدم في رواية متصلة اشتاتاً من مادة التاريخ السياسي كانت مبعثرة في كتب التاريخ الاخباري او كتب التراجم والطبقات التي صنف في الفترات السابقة لزمانه .

فذلك هو فعلا الشعور الذي يستولي على نفس كل من يحلل كتاب الاستقصا ، ونحن لا نرى في ذلك ما يدعو للتعجب والاستغراب ، اذ لم يكن من الطبيعي ان يبتدع الناصري اساليب جديدة او ان يكون له عن « المؤرخ مفهوم مغاير لما عرفه سابقوه في هذا المجال .

فان كان طبعه للكتاب يسر نشره وجعله في متناول الكثير من القراء ، فإنه ، من دون شك ، لقي وهو يحمره نفس العراقي المادية التي كانت تقف في أوجه باقي المؤرخين العرب بالمغرب الأقصى . وهذه الظاهرة تبدو بكميها أوضح بالنسبة للناصري لان قرب العهد الذي ألف فيه كتابه يتيح تقبـح المراحل التي سلكها في تأليفه .

ومهما يكن فان الناصري كان اول من تصدى ، بدون ادنى تهيب ، لان تثبيت في كتابه جميع المقومات المتعلقة بتاريخ المغرب العام ، بيد أن كلا من المؤرخين الذين تقدموه لم يهتموا الا بجزء من اجزائه ، اذ يصعب علينا ان نخزل خزانة تزييني أو بسنانه و جيش الكنسوس في منزلة التواريخ العامة .

(8) ان النسخة التي كتبها الناصري بخط يده لا زالت محفوظة عند ابنائه الذين تفضلوا بان سمحوا لي بمطالعتها والاحاطة بمضمونها .

ان في رغبة الناصري عن الاقتصار على ذكر احداث فترة معينة من تاريخ المغرب ما يجلي اعتداده بنفسه وتفتح قوته الاداركية، الا انه من المحقق أنه عندما تاقّت نفسه الى الاشتغال بالتاريخ لم يكن ينوي الاهتمام بغير الدولة المرينية ، الشيء الذي فكر فيه ، قبله الافرانسي ، ليتمم ما ورد من أخبار **روض القرطاس و روضة النسرین** ، وقد رأينا ان ابن زاكور ، لما صنف كتابه **المغرب المبین** ، كان هو ايضا فكر في هذا الموضوع وذلك قبل صاحب **نزهة الحادي** .

قد يتبادر الى الذهن أن الناصري أخذ يفكر في كتابه تاريخ الدولة المرينية عندما شاهد بسلا والرباط وسالة ما لها من آثار معمارية عظيمة . وأياما كان فانه استفتح اعماله التاريخية بتأليف كتابه : **كشف العرين** في ليوث بني مرين(8) انه ، بصفة عامة ، اعتمد ، في عمله هذا على **العبر** و **روض القرطاس** وتسنى له اتمامه قبل ان يخرج من سلا .

لما غادر مسقط رأسه صاحب معه **كشف العرين** آملا ان يجد في الحواضر المغربية التي عين للعمل بها مصادر أخرى تفيده بمعلومات جديدة عن الدولة المرينية ، فانه لم يجد ضالقه بمراكش حيث أقام مدة طويلة ، الا ان الحظ ساعده هناك على مطالعة كتب لم يتسن له معرفتها بسلا ، مثل **نزهة الحادي** للافراني و **الفتقى** لابن القاضي و **الجيش** لأكنسوس وكذا بعض كتب التراجم التي ألفت في عهد الدولة السعدية او في أوائل العهد العلوي .

أخذ مفضئذ يقتبس ما كان يجده في تلك الكتب من معلومات اي المواد التي تمكنه من تحقيق المشروع الذي كان عزم اذ ذاك على انجازه ، وهو وضع تاريخ عام ، وهكذا بدأ تصنيف **الاستقصا** ، ولم تمر سنتان حتى كان حرر قسمه المتعلق باخبار الدولة السعدية والدول التي تولت الامر قبلها ، ووصله بوصف أحداث الدولة المرينية معتمدا على ما كان اورده منها في **كشف العرين** ومضيفا اليها ما استقاه ، في هذا الصدد ، من المصادر التي تأتي له الاطلاع عليها ، أثناء اقامته بمدينة مراكش .

هذا ، وأما فيما يخص الدولة العلوية فإنه وجد في النسخة الموسعة من **ترجمان الزباني** وكذا في **بستانه** ما أتاح له اتمام عمله في المدة المذكورة وهي ، نسبيا ، مدة وجيزة .

ولما ذهب الى الجديدة شجعه على اكمال **الاستقصا** عامل تلك المدينة محمد الجراري ، فادخل عليه الاصلاحات الضرورية وانهاه في 15 جمادى الثانية سنة 1398 (15 ماي 1881) اي قبل نهاية حكم مولاي الحسن .

عجل الناصري بتقديم تاريخه للسلطان طمعا في أن ينعّم عليه وعلى أقاربه بما يحسن الحال ويطمئن البال ولكن كتابه لم يحظ بالتقدير الذي كان يتوقعه ، بل جلب له اللوم اذ اشيع أنه لم يحاول فيه « اخفاء الحقيقة » وأنه خص فيه وزراء الملوك العلويين المتأخرين بالدور الالهم في تسيير شؤون الدولة .

وحيث ان الناصري كان كلف خطا ، وهو محمد المكي بن البشير ، الذي كان يقوم بتزويق الشموع المعدة لانارة مساجد سلا ليلة المولد النبوي ، بنسخ صورة من كتابه قبل تقديمه للسلطان ، فإنه استطاع ان يحتفظ بمؤلفه .

لم يفد الناصري اذ ذاك الا أن ينتظر سnoch فرصة افضل ، فتابع عمله الإداري ، ولما مات مولاي الحسن بادر بطبع **الاستقصا** في مطابع القاهرة بواسطة العالم النفاسي مولاي الحبيب البلغيثي الذي كان مقيما بمصر . وبما أن الاحداث التي وصفها في تاريخه كانت لا تتجاوز عام 1297 ، فإنه اكمله حتى وصول مولاي عبد العزيز الى العرش ، وكان قد تمكن ، وهو بفاس سنة 1307 1889) من ان يضيف الى نسخته الخاصة ، التي لم يكن يفارقها في الحل ولا في الترحال ، زيادات هامة استقاها من مؤلف القادي **نشر الثاني** وكان قد عثر صفة على نسخة منه في نظارة الاحباس ، وبذلك تأتى له ان يضمن كتابه تاريخ الاحقاب المتتالية ، من الفتح العربي للمغرب الاقصى حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي .

يتألف كتاب **الاستقصا** المطبوع في القاهرة من أربعة أقسام متساوية

في الطول ، فوجزها في ما يلي :

في المقدمة ينوه المؤلف بفوائد التاريخ مقتفيا في ذلك أثر سابقه ، ثم يتكلم بايجاز عن السيرة النبوية وعهد الخلفاء الراشدين ، ويصل الى التحدث عن البربر مستعيرا ما ورد في شأن نسبهم ، من كتاب **المعبر** لابن خلدون . ويتوسع ، بعد ذلك ، شيئا ما ، في سرد الاخبار المتعلقة بتأسيس فاس وبالامامين ، ادريس الاول وابنه ، ويختتم القسم الاول بفصل يذكر فيه اخبار الدولتين : المرابطية والموحدية .

في الاقسام الثلاثة الباقية من تاريخه يتناول بالتفصيل تاريخ المرينيين والوطاسيين في القسم الثاني ، وتاريخ السعديين في القسم الثالث وتاريخ العلويين في القسم الرابع .

وفي ملاحق الكتاب تطالعنا قائمة كاملة لاسماء المصادر والمراجع المغربية وغيرها ، التي عتمد عليها المؤلف . انها نسبيا ، جد كثيرة ، ولكن الغالب على الظن ان الناصري لم يستعملها كلها بطريقة مباشرة ، وانه وجد جملة وافرة من « مقتبساته » في كتب المؤلفين الذين أخذ عنهم ، فاكفى بنسخها تارة موهما ، بتحديد لاطرافها ، لانه استقاها من مظانها الاصلية ، وتارة ساكتا عن مصدرها (9) .

فالمصادر التي استفاد منها الناصري ، أكثر من غيرها ، لكتابة تفاصيل القرن الوسيط ، هي **روض القرطاس** لابن أبي زرع ، وكتاب **المعبر** لابن خلدون و **الروض المعطار** لابي المنعم الحميري ، و **جمهرة الانساب** لابن حزم و **جذوة الاقتباس** لابن القاضي و **المعرب المبين** لابن زاكور ، ولكن من المرجح عندنا انه لم يأت له الاقتباس مباشرة من **روض النسر** لابن الاحمر ولا من **الدخيرة السنية** التي الفت قبلها .

(9) سبق للسيد روني باسي ان نبه في المباحث الجبلوغرافية (ص 4 ، تعليق 1) ان الناصري فعل مثلما فعل قبله مؤلف **سلسلة الانفاس** اي لم يطلع بكيفية مباشرة على تواريخ البرنوسي وابن غالب ، وابن مطروح وابن خشاب وابن الباز وابن جنون والوراق . فالمقتبسات المنسوبة ، في الاستقصاء ، لهؤلاء الكتاب نقلها السلوي من **القرطاس** من غير ان ينبه الى ذلك (المؤلف)

ويبدو أنه لما أخذ في تحرير تاريخ دولة بني مرين ، تيسر له استعمال مراجع صنفت خلال القرون الاربعة الاخيرة ومنها نشر الثاني و دوحه الناشئ و مرآة المحاسن و ممتع الاسماع .

وفيما يتعلق بتاريخ السعديين فانه استخدم بوجه خاص نزهة الحامد للافرائي ، وكتابي ابن القاضي المنقفي المقصور و درة السلوك ولكن يمكننا ان نجزم انه لم يتح له الاقتباس رأسا من كتاب الفشتالي مناهل الصفا .

ولما شرع في تحرير تاريخ الدولة العلوية فانه وجد مراجع قليلة ولكن لم يكن من المتعذر عليه الوصول الى نسخ منها ، وأهم تلك المراجع القسم الاخير من نزهة الحادي ومؤلفات ابي القاسم الزياني ، و الجيش لاكنسوس . وعند ابتدائه في أخبار ما بعد منتصف القرن الثامن عشر الميلادي ، جعل من الجيش مصدره الوحيد بالاضافة الى معلومات أفاده بها مشافهة بعض ذوي الخبرة من مواطنيه .

لا يمكننا ان نرمي الناصري بانتحال ما كان يأخذه من كتابات المؤرخين السابقين : فانه على العكس من ذلك يشير الى بداية الاقتباس ونهايته وأحيانا ينتقد ما يقتبس ويبدى رأيه في شكله ومضمونه ، ويعترف في غضون الفصول الاخيرة الخاصة بالدولة العلوية انه مدين بمعلومات جملة للزياني وأكنسوس ، ولكن لا يجوز لنا أن نتغاضى عن انتحاله لفقرات طويلة استقاها من كتاب الزياني : المترجمان الذي سبق لنا أن بينا ، ضمن ترجمتنا لمؤلفه ، انه انجزه في شكلين متباينين ، أسلوبا ومحتوى وذلك في ظرفين مختلفين ولدواع وضحا الكثير منها .

فالنسخة التي كانت من جملة مصادر السلاوي هي ، من دون ادنى شك ، النسخة التي بدأ الزياني بتأليفها وبسط فيها الكلام بسطا وافيا عن الدولة العلوية ، وحيث كان بدا له ان يعوضها بنسخة موجزة فانه لم يأذن باستنساخها الا لعدد قليل من الادباء وهكذا لم يصل منها لايدي الناس الا نسخ معدودة ، وقد إخبارنا ان احداها محفوظة إلا ان بسلا ولا تستبعد ان تكون هي التي استعملها مؤرخنا الا أنه تغافل عن ذكرها وعن تحديد ما اقتبس منها .

إذا نحن راعينا الظروف والملابسات التي صنف فيها الناصري تاريخه لابد ان نعترف انها لم تكن تسعفه على الاتيان بكثير من الاصاله والابتداء. وإذا كان فضله يكمن في أنه جمع ، في عهده ، نصوصا لم يكن اذ ذاك من اليسير الوصول اليها ، فان معظم المصادر التي افاد منها قد نشرت اليوم وأصبح من الممكن الامام بالنصوص المقتبسة . ويسوغ لنا أن نقول ، في هذا الصدد ، ان الاستقصا سيفقد الكثير من قيمته الوثائقية يوم يتسنى العثور على المترجمان في صورته الاولى (X) .

ولكن السلوي يمثل في حركة التأليف التاريخي في المغرب ظاهرة جديدة ، وذلك حيث يشير الى بعض المصادر الاسبانية ، والبرتغالية كان عثر عليها بثغر الجديدة ، ونقل منها بواسطة ترجمان يهودي اسمه يوسف. كان يعمل بالقنصلية الاسبانية ، وكان معجبا بديوان ابراهيم ابن سهل ، فاخذ الناصري يشرح له ذلك الديوان ويستعين به في الاقتباس من التاريخين المذكورين (10) .

لن التواريخ الفرنجية التي أخذ منها الناصري لا تتجاوز اثنين (11) تاريخ الجديدة في عهد استيلاء البرتغال عليها للويزمارية و تاريخ المغرب لمانويل باولو كستيانوس ، وهذا هو الذي استغله الناصري بوجه خاص

(X) هذا زيغ صريح عن الموضوعية والزاهة (المغرب)

(10) يسمى الناصري صاحب التاريخ البرتغالي : لويزمارية وصاحب التاريخ الاسباني : « مانويل باولو القشتلي » وهكذا من « كستيانوس » « القشتلي » ، نسبوا الى قشتالة « تنبه كاستيانوس الى ما اقتبسه منه الناصري ، لقد قال في تعليق سجله ص 345 من ط ، طنجة : « ... ان الشهير الذكي ، المغربي الاصل السلوي المولد ، الشيخ احمد بن خالد اطلع من دون شك على الطبعة الاولى أو الثانية من كتابنا - وقد ذكرنا في تلريخه مرات جد عديدة ، (معلومات ملخصة من تعليقات المؤلف)

(11) قال الناصري : « قد وقفت لبعض البرتغاليين واسمه لويز مارية على تأليف فسي اخبار الجديدة من لدن بنوها الى ان انتزعها المسلمون منهم فاقتطفت منه ما اثبتته في هذه الترجمة ، ، (ج 4 - ص 136 من ط. الدار البيضاء)

وقال (ص 81 من نفس الجزء) : « وقد وقفت لبعض الاصنيوليين واسمه : مويـل باولو القشتالي ، على كتاب في اخبار المغرب الاقصى ، فقلت منه بعض اخبار لم اجد لها الا عنده . وهو وان كان ينقل الفث والسمين ، والرخيص والتمين الا أن الناقد البصير يميز حصباء من دره ويفرق بين حشفه وثمره » (المغرب)

ونقل منه أكثر من عشرين فقرة ، وقد اهتم بتحديد بداية كل اقتباس ونهايته ،

ان الناصري يتناول في الاستقصا أحداثا تاريخية ويرتبها على السنين كاسلافه من كتاب الحوليات الاخبارية ، غير انه يسجل في نهاية كل عهد وفيات معظمها لمشاهير مدينة سلا . وأخيرا فاسلوب الاستقصا يدل على امتلاك مؤلفه الكامل ناصية اللغة وعلى صفاء وروعة وبساطة اذ لم يلجأ الا نادرا لانواع المجاز واصطناع السجع والوان المحسنات البديعية .

فهو يبدو في كتابه ، شديد الثقة بنفسه ، ومستقل الرأي ، ولذا يعتبر مثال المؤرخ المغربي الحديث الذي يكتب بسهولة ورشاقة عظيمتين .

اذا كان الناصري لم يعط في الاستقصا لعهد مولاي الحسن كل الاهمية التي كانت تنتظر منه ، فقد يكون ذلك راجعا الى رغبته في عدم التوقف مليا أمام موضوع يشتغل بالكتابة فيه بعض معاصريه . وفلا فان هذا السلطان اراد أن يقتدي بمولاي أحمد المنصور ، وربما بمولاي إسماعيل أيضا ، فيكون في خدمته مؤرخ رسمي . وللتواريخ الخاصة بالدولة تقف على الأكثر ، مع تاريخ أكنسوس ، عند ملك سيدي محمد بن عبد الرحمان . وقد وقع اختياره لكتابة هذا التاريخ الجديد للعلويين على مربيه السابق أحد حفدة حمدون ابن الحاج .



أحمد ابن الحاج

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن حمدون ابن الحاج السلمي المرنداسي الفاسي (12) ولد بفاس في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، وكان أبوه منتصبا للشهادة بهذه المدينة ، وكاتبا ممتازا توفي عام 1274 (1858) .

(12) انظر الفضيلى ، الدرر البهية، 2:329 ، معلومات مستقاة من حفيد المترجم : محمد

المهمي بن أبي بكر بن أحمد ابن الحاج أستاذ بالقرويين والثانوية الاسلامية بفاس

اتجه أحمد ابن الحاج الى نفس مهنة أبيه بعد أن تتلمذ في القرويين لعبد السلام بوغالب ، وعلي قصارة (13) ، لكن السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان استدعاه ليتوجه الى قبيلة احمر بناحية مراكش فيقوم بتعليم الامراء هناك ، وبذلك صار أحد شيوخ سلطان المستقبل مولاي الحسن . ولما أتم هذا الاخير دراسته ، رجع ابن الحاج الى فاس ، حيث عاش خاصة من عطايا تلميذه القديم .

ولم يكد مولاي الحسن يتربع على العرش حتى عينه مؤرخا رسميا للدولة وأمره أن يكتب تاريخا شاملا للدولة العلوية، فشرع ابن الحاج في تأليف كتاب مطول سماه **الدر المنتخب المستحسن في بعض مآثر أمير المؤمنين مولانا الحسن** ، ولم تمض بضعة سنوات حتى أنهى الجزء الحادي عشر منه ، وهو لا يكاد يجاوز عهد مولاي سليمان . وكان يقدر للتاريخ الكامل خمسة وعشرون جزءا ، لكن السلطان لم يرد أن ينتظر نهاية رواية أخبار الدولة ليبدأ تسجيل أخبار ملكه ، فأمر المؤرخ الرسمي أن يقطع عمله ويكتب تاريخ المغرب ابتداء من اليوم الذي بويح فيه . وقد أنجز ابن الحاج هذه المهمة الجديدة في مدة وجيزة ، وأطلق على هذا الكتاب الذي يقع هو أيضا في عدة أسفار نفس العنوان الذي جعله للتاريخ الشامل ، فأرضى بذلك مخدمه الذي أغدق عليه الصلوات ، وظل المؤلف يضيف الى كتابه ما جد من الاحداث المهمة الى وفاة مولاي الحسن ، بل وإلى ما بعد ذلك .

كان ابن الحاج في نفس الوقت مدرسا في ضريح المولى ادريس وجامع القرويين ، وألف كتباً أخرى (14) ، ومات في 27 ذي الحجة 1316 (8 ماي 1899) ، ودفن بزاوية الشرفاء الوزانيين بفاس في حي الشرشور قريب سقاية الدمناتي .

(13) علي بن ادريس قصارة الحميري الفاسي أحد علماء فاس ، اشتهر بحاشيته على شرح بناتي لسلم الاخضري، توفي في 13 رجب 1259 (9 غشت 1843)، انظر الكتاني سلوة، 265:2

(14) هـ :

- 1 - كتاب في الطب في ثلاثة أجزاء ، عنوانه : الخرد الطبية، المهداة للحضرة الحسنية
- 2 - كتاب في نسب العلويين
- 3 - حاشية على شرح المكودي على الالفية
- 4 - حاشية على شرح الازهري على الأجرومية

لا تتداول اليوم بالمغرب الرواية الاولى ولا الثانية من كتاب الدر المنثور المستحسن ، وربما لم يبق من الرواية الاخيرة الا نسختان ، احدهما محفوظة بالمكتبة الملكية بفاس أو الرباط ، والثانية عند حفدة المؤلف . وقد تمكنا من الاطلاع على الجزء الاول من هذه النسخة الاخيرة (15) .

وبتصفح هذا الجزء أمكن الحكم بدون عناء على سائر الكتاب ، فهي تحتوي على مقدمة وملخص تاريخ مولاي الحسن . ويبدو أن الرواية التاريخية لحكم السلطان لم تنل كبير عناية من المؤرخ الرسمي ، إذ من بين الابواب الاثنى عشر في الكتاب لا يظهر مطابقا للموضوع غير عنوان الباب التاسع ، بينما تمتليء الابواب الاولى بأنواع من الملاحظات العامة عن الخصال الحميدة التي ينبغي أن يتحلى بها أمير المؤمنين من عدل ، ووقوف عند الشريعة ، ورحمة ، وكرم ، وأدب . وتأتي بعدها أبواب أخرى عن مناسبة استشارة علماء المملكة في شؤون الحرب وغيرها . وبالجمل ، فانه كتاب سياسة بتصميم فكر مغربي ، أو كتاب مطول ملفق من كتب قديمة أكثر منه تاريخ بالمعنى الصحيح .

ويختتم المؤلف عمله ، على طريقة مؤرخي السعديين ، بذكر لأئمة شيوخ السلطان واطراء وزرائه وكتابه وحجابه ، واثبات نصوص قصائد المدح الواردة على البلاط بمناسبة الاعياد الدينية ، وولادة الامراء وزواجهم .. وهكذا يظهر من هذا الملخص أنه لا فائدة تذكر في هذا التاريخ المسهب ، وبالأحرى فان بعض الاحداث التي قد يذكرها ليست قديمة بحيث لا يمكن إعادة انشائها في عين المكان عن طريق المعلومات الشفوية .



وأشارت البعثة العلمية بالمغرب في الجزء الاول من الوثائق المغربية الى وجود كتاب آخر ألف في عهد مولاي الحسن ، وهو على ما يظهر بقلم موظف مغربي سام ما زال بقاء الحياة لم ترد البعثة أن تكشف النقاب عنه (16) .

(15) مخطوط مسفر يقف في نهاية الباب الثالث (240 ورقة)

(16) الوثائق المغربية ، 1 ص : 129 ، « هذا المخطوط المجهول المؤلف مبثور ويحتوي على نحو 300 ورقة غير مرقمة ، ألفه منذ مدة قريبة شخص من ناحية فاس لا محل لتذكر اسمه ، وهو في الحقيقة تاريخ للمغرب منذ التعم شبيه بكتاب الاستقصا ، ، ، »

وبعد بضع سنوات ترجمت مقتطفات من هذا الكتاب التاريخي المعنون **بالحلل البهية** ، ونشرت في نفس الوثائق المغربية (17) وأنه لمن الصعب معرفة حقيقة الكتاب من خلال هذه الترجمة المقطعة التي يصعب أحيانا قراءتها بسبب شروح في غير محلها . فالترجم يرى فيها مدحا لمولاي الحسن يقصد منه خاصة ، عن طريق التضاد ، اظهار تفور المؤلف من خلف ذلك السلطان العظيم ، وعلى أي حال فانه يوجد في المقتطفات المنشورة عدد من الاشارات المفيدة عن حركات مولاي الحسن الى سوس ، وبني مجيلد ، وجباله وعن المنشآت العمومية في عهده .

وأخيرا هنالك مؤلف ثالث حصصه لنفس السلطان أديب مراكشي ، هو أبو علي محمد بن ابراهيم السباعي (18) الذي كان مفتيا ومدرسا بهذه المدينة ، بعد أن تتلمذ في فاس على الحاج محمد كنون ، والقاضي عبد الملك العلوي الضريير ، وقد توفي مئذ بضع سنوات (6 رجب 1332 / 31 ماي 1914) وعنوان كتابه: (19) **البستان الجامع لكل نوع حسن** ، في عد بعض مآثر **السلطان مولانا الحسن** .



ان الفترة المعاصرة في المغرب تطبع بصفة خاصة تجديد فن التراجم في شكل كتب شاملة . فالتراجم الصغيرة المخصصة لشخص واحد صالح أو عالم تظل في الواقع قليلة جدا . وهكذا لا نجد غير كتابين في المناقب ، يتعلق أحدهما بصالح الرباط الذي عاش في آخر القرن الثامن عشر ، وهو علي العكاري (20) ، كتبه حفيده علي بن محمد بن علي عام 1304 (86 - 1887) ، ويتحدث الثاني عن الصالح البدوي الحسن كنبور (21) ، كتبه قاضي فاس عبد السلام الهواري المتوفى عام 1328 (1910) .

(17) الوثائق المغربية ، 8 ، باريز ، 1906 ص 330 - 396

(18) انظر ابن الموقت ، السعادة الابجية ، 2 : 84

(19) ألف أيضا :

1 - شرحا على كتاب الاربعين النووية

2 - مختصرا لكتاب زهر الاكسم لليوسي

(20) شريف حسني مدفون في زنقة متصلة بالسويقة بين جامع مولاي سليمان وزنقة الجزارين ، توفي في 11 شوال 1118 (16 يناير 1707)

(21) انظر دليل المؤرخ 16 : 199 ، رقم 771 (المغرب)

ونظرا لتزايد عدده المنتسبين لشرف ، قام عالمان فاسيان باتمام اعمال
سابقة تتعلق بالنسب الشريف في المغرب ، أعني **الدر السني للقادري** ، و
نتيجة التحقيق للمسنوي الدلائي .



محمد كنون

أولهما أبو عبد الله محمد بن الحاج المدني بن علي كنون (22) الذي يحتمل
أن يكون من أسرة يهودية قديمة أسلمت ، وتوفي بفاس في فاتح ذي الحجة
عام 1302 (11 شتنبر 1885) ، تاركا من بين مؤلفاته (23) **لائحة الشرفاء**
المغاربة بعنوان : الدر المكنونة ، في النسبة الشريفة المصونة . وقد كان
في العاصمة تلميذا للوليد العراقي ، وأحمد المرنيسي (24) وأبي بكر ابن
كيران (25) . وبدر الدين الحمومي (26) ، وعبد السلام بوغالب .

كان فقيها بارعا يحضر مجالسه العدد الجم من الطلاب في القرويين
وضريح سيدي قاسم ابن رحمون (27) ، وتولى القضاء مدة بمرلكش (28) .

(22) انظر الكتاني ، **سلوة الانفاس** ، 2 : 364 ، الفضيلي ، **الدر البهية** 2 : 366
23 هي : 1 - مختصر حاشية الرحموني على شرح مختصر خليل لعبد الباقي
الزرقاني

2 - حاشية على شرح بنيس لقسم مختصر خليل المتعلق بالميراث ، الخ ، ، ،
(24) أبو العباس أحمد بن محمد بن علي المرنيسي الفاسي نحوي فاس وامامها ، مات
بها في 13 صفر 1277 (31 غشت 1860) انظر الكتاني ، **سلوة الانفاس** ، 1 : 259
(25) أبو بكر بن الطيب ابن كيران امام فاس ، توفي في 4 جمادى الثانية 1267
(16 ابريل 1851) ، انظر الكتاني **سلوة الانفاس** ، 3 : 8
(26) أبو عبد الله محمد الملقب بدر الدين بن الساذلي بن أحمد الحمومي ، الشريف
الحسني ، عالم فاس . ولد عام 1177 أو 1178 (63 - 1765) ، وتوفي في 8 محرم
1266 (14 نونبر 1849) انظر الكتاني ، **سلوة الانفاس** ، 1 : 178

(27) يوجد هذا الضريح بحي النجارين بفاس

(28) طبع على الحجر بفاس بدون تاريخ كتيب في ترجمة محمد كنون كتبه محمد بن
المصطفى الحنفي الذي كان قاضيا بقبيلة الحياينة

ادريس الفضيلى

والثاني شريف علوي يسمى أبا العلاء ادريس بن أحمد بن أبي بكر ابن أبي زكري الفضيلى العلوي السجلماسي الفاسي (29) . ولد حوالي عام 1260 (1844) بفاس ، حيث كان والده انتقل اليها من مدغرة بعد أن أقام مدة بمكناس . ودرس في مستط رأسه على محمد كنون ، وجعفر الكتاني ، وأحمد الحجرتي (30) ، والمهدي ابن الحاج (31) ، ومحمد مسواك التازي ومات الفضيلى عام 1316 (98 - 1899) ، وألف بعض الكتب الصغيرة خاصة في مدح الرسول (عليه السلام) ، وكتابا كبيرا شاملا في أنساب الشرفاء بالعاصمة : الدرر البهية والجواهر النبوية ، في الفروع الحسنية والحسينية (32) .

هذا الكتاب فهرس ممتاز للاستوقراطية الفكرية والدينية بفاس . فبعد مقدمة صرح فيها المؤلف بأن الكثير ممن يدعون الشرف لاحظ لهم فيه ، أرخ على التتابع للشرفاء الحسنين ثم الحسينيين . وليس هذا الكتاب في الواقع إلا إعادة لما في كتب أسلافه في القرن الثالث عشر لكنه أتم ذلك إلى عصره ، وبسط القول كثيرا في القسم المتعلق بالفرع العلوي المتحدر من الحسن (السبط) والذي ينتسب إليه المؤلف نفسه . ففضلا عن التراجع القصيرة التي خصصها للإشراف النابهين بفاس ، أعطى تفاصيل كثيرة عن كل جماعات العلويين بتقديلات ، ولولاه ما عرفنا عنهم شيئا . يضاف إلى هذا أن كتاب الفضيلى عبارة عن لائحة أسماء أكثر مما هو معجم تراجم ،

(29) هو نفسه ، الدرر البهية ، 1 : 235 ، معلومات مستقاة من عبد الحي الكتاني

(30) أحمد بن محمد بن عبد الرحمان الفيلاي الحجرتي قاضي فاس ومدرسها ، توفي بها في 11 جادى الثانية 1303 (17 مارس 1886) انظر الكتاني سلوة الانفاس ، 3:9

(31) محمد المهدي بن محمد بن حمدون ابن الحاج أخو المؤرخ الرسمي للسلطان مولاي الحسن ، توفي بفاس في شعبان 1290 (24 شتنبر - 22 أكتوبر 1873) انظر الكتاني ، سلوة الانفاس ، 1 : 238 الفضيلى ، الدرر البهية ، 2:329

(32) طبع على الحجر بفاس عام 1314 في جزئين

لكنه في نفس الوقت يعد ، الى حد ، (شعاري) الدور الكبيرة بالمغرب . ونعلا فانه بعد أن استوفى لائحة الشرفاء بالمغرب انتهى كتابه بخاتمة طويلة ذات أهمية بالغة ، لاحتوائها على معلومات كثيرة تتعلق بعشرين أسرة فاسية غير شريفة ، كالفاسيين ، وابن الحاج ، والدلائيين ، وابن القاضي ، وابن الوزير الغساني ، والكفونيين . وبما أنه من المحتمل أن يكون الفضيلي قد استقى معلوماته الأساسية من وثائق الاسر فان كتاب **الدرر البهية** يقدم في موضوع شبه محدود معلومات لم يسبق نشرها ويعرضها بطريقة واضحة .

والى جانب هذين الكتابين المتعلقين بنسب الاشراف ظهر في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين عدد من الكتب المتعلقة بالطرق الصوفية المغربية . والازدهر من هذه الطرق في الوقت الحاضر حمسة ، وهي نفسها في الغالب منبثقة عن الطريقتين الكبيرتين : القادرية والشاذلية . ففي شمال البلاد تنتشر الطريقتان الوزانية (القهامية) والدرقاوية ، وفي الجنوب تفوقهما الطريقة الناصرية بكثير . أما في المدن التي يوجد بها أيضا أتباع كثيرون لهذه الطرق ، فان هناك طريقتين أخريين تتمتعان بشهرة واسعة في الاوساط الاستقرائية ، وهما الطريقة المتيحانية والطريقة الكتافية .

وقد سبق أن رأينا أنه خصصت تراجم لشرفاء وزان ومؤسس زاوية بوبريخ العربي الدرقاوي ، وكذلك كان للناصرين مؤرخ في شخص مؤلف كتاب **الاستقصا** . ونجد أيضا في الوقت الحاضر دراسة متعلقة بأشهر خلفاء العربي الدرقاوي ، وهو المهدي بن محمد بن عبد الرحمان الدرقاوي (33) كتبها أحد تلاميذه محمد بن المبارك الهشتوكي (34) المتوفى بهراكش في سابع جمادى الاولى 1313 (27 أكتوبر 1895) ، بعنوان **المفاخر العلوية في الشماثل المهدية** .

(83) توفي في العشرة الاولى من القرن الرابع عشر الهجري (1883 - 1893) انظر ابن الموقت السعادة الابدية ، 98:1

(34) انظر أيضا ابن الموقت ، السعادة الابدية 50:1

ونعرف أن مؤسس الطريقة التجانية أبي العباس أحمد بن محمد بن المختار التجاني (35) في فاس مريدا رئيسيا هو أبو الحسن علي بن العربي بريدة الملقب بحرازم (36) ، وقد ألف هذا الأخير سنة 1214 (1799) في ترجمسة شيخه كتابا مطولا بعنوان : **جواهر الماني ، وبلوغ الاماني ، في قبض** **الشيخ أبي العباس أحمد التجاني (37)** . ولما قلق الشيخ التجاني من التأثير المتزايد لبرادة بعث به الى الحج فمات في الطريق .

وبعد ذلك قام قاضي شنقيط في أقصى جنوب المغرب ، أحمد بن ياييا الشنقيطي (38) المتوفى بالمدينة (المغرة) حوالي عام 1260 (1844) ونظم في الشيخ التجاني أرجوزة سماها **منية المريد** . وقد شرحها أخيرا شرحا مسهبا بعنوان : **بغية المستفيد ، لشرح منية المريد (39)** ، العالم الصوفي الرباطي أبو حامد محمد العربي بن السائح المشرقي العمري (40) المتوفى في متم رجب 1309 (28 فبراير 1892)

وقد ألف منذ سنوات فقط كتاب في تراجم أعيان الطريقة التجانية بقلم عالم مغربي يعمل الآن قاضيا بوجدة ، أبي العباس أحمد بن أحمد العياشي سكيرج ، وعنوانه : **كشف الحجاب ، عن تلاقى مع التجاني من** **الاصحاب (41)** .



ان أحدث طريقة صوفية بالمغرب تسمت باسم مؤسسها الذي يهتسب للكتانين الادارسة ، ويدعون أيضا شرفاء عقبة ابن صوال . وقد ألف في هذه

(35) توفي بفاس في 17 شوال 1230 (22 ستمبر 1815) انظر سلوة الانفاس ، 1:180

(36) انظر سكيرج ، **كشف الحجاب** ، 1:72 وما بعدها

(37) طبع في القاهرة في جزئين

(38) ليس هو أحمد بن محمد الأمين الشنقيطي مؤلف الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، (المطبع في القاهرة عام 1329)

(39) طبعت في القاهرة عام 1304

(40) انظر أحمد سكيرج ، **كشف الحجاب** 1:343

(41) طبع على الحجر بفاس عام 1325 و 1332

الاسرة الشريفة ، كما رأينا من قبل ، الطيب ابن الحاج في أواسط القرن التاسع عشر ، وأدركت في فاس شهرة عظيمة حتى ان أفرادها حجبوا سائر علماء الاسر الكبيرة من غاسيين وقادريين وبني سودة . وأشهر هؤلاء الشرفاء اليوم في الاوساط المغربية ما يزال بقيد الحياة ، وهو مؤلف سلوة الانفاس . وقبل أن نقدم بعض المعلومات عنه وعن كتابه ، نستعرض المؤلفين الآخرين من أسرته الذين مات معظمهم منذ سنوات .



المأمون بن عمر الكتاني

نذكر من بينهم المأمون بن عمر بن طاهر بن ادريس الكتاني (42) تلميذ أحمد بن محمد الحجرتي وأحمد العراقي (43) . وقد ألف في جملة ما ألف كتابا عن الاسلاميين بفاس ، وترجمة لمولاي الطيب الكتاني (44) : الغمام الصيب ، في مناقب مولاي الطيب ، ومات عام 1309 (91 - 1892) ودفن خارج باب الفتوح .



جعفر بن ادريس الكتاني

أبو عبد الله جعفر بن ادريس بن الطاهر بن ادريس الكتاني (45) المولود بفاس عام 1240 (24 - 1825) تتلمذ لكثير من الاعلام أمثال الوايد العراقي ، وابن سعد التلمساني (46) ، والحاج الداودي التلمساني (47) ،

(42) انظر الفضيلي ، الدرر البهية ، 122:2

(43) أحمد بن محمد بن المهدي العراقي الحسيني المتوفى بفاس في متم جمادى الثانية 1286 (6 أكتوبر 1869) ، انظر الكتاني ، سلوة الانفاس ، 37:3

(44) ابو المواهب مولاي الطيب بن محمد الكتاني المتوفى في 12 جمادى الثانية 1253 (4 شتنبر 1837) انظر الكتاني سلوة الانفاس ، 251:2

(45) انظر الفضيلي ، الدرر البهية ، 120:2

(46) الحاج الحسيني البغدادي التلمساني ، كان قاضيا بتلمسان وتوفي بفاس في 27 محرم 1264 (4 يناير 1848) انظر الكتاني ، سلوة الانفاس 78:3

(47) عالم وقاض بتلمسان أيضا التجأ الى فاس عندما احتلت القوات الفرنسية تلمسان ومات بها في 14 محرم 1271 (7 أكتوبر 1854) ، انظر الكتاني ، سلوة الانفاس ، 205:1

والقاضي محمد العلوي (48) ، وظهر نبوغه مبكرا كأحد العلماء النابغين في العاصمة . لم يتول قط أي وظيفة رسمي ، فاستحق لقب شيخ الجماعة ، ومات عام 1323 (1905) ، ودفن خارج باب الفتوح بالقرب من قبر سيدي دراس ابن اسماعيل (49) . من المؤكد انه ألف أكثر من مائة كتاب ، من بينها فهرس طبخ على الحجر بفاس ، وكتاب عن أسرته : الرياض الربانية ، في الشعبة الكتانية ، وكتيب عن الشخصيات الفاسية المتوفاة في القرن الهجري الثالث عشر : الشرب المختصر ، والسر المنتظر . في معين أهل القرن الثالث عشر (50) .



محمد بن جعفر الكتاني

وولده أبو عبد الله محمد بن جعفر (51) ، ولد بفاس عام 1275 (58 - 1859) وتتماز له بصفة خاصة، وحضر أيضا مجالس القاضي محمد العلوي ، والمهدي ابن الحاج ، والمدني ابن جلون (52) . ومحمد بن عبد الواحد ابن سودة (53) ، والهادي الصقلي (54) ، حج مرتين الى مكة المكرمة عام 1323 و 1325 (5-1907) وبعد ثلاث سنوات هاجر من المغرب الى المدينة . ولما طرده الاتراك منها التجأ الى دمشق حيث يشتغل الآن بالتدريس هناك .

(48) محمد بن عبد الرحمان الفيلاي المدغري الحسني العلوي قاضي فاس منذ 7 صفر 1274 (27 شتنبر 1857) الى أن مات في 27 رمضان 1299 (12 غشت 1882) انظر الكتاني سلوة الانفاس ، 205:1

(49) انظر اخباره عند الكتاني ، سلوة الانفاس ، 175:2 وما بعدها

(50) طبخ على الحجر بفاس عام 1209

(51) انظر الفضيلي ، الحد البهية 121:2

(52) محمد المهدي بن علي ابن جلون الكومي الفاسي ، عالم فاس ، ولد في ربيع الاول 1264 (1848) له عدة كتب ومات في 14 ربيع الاول 1298 (4 فبراير 1881) انظر الكتاني ،

سلوة الانفاس 363:2

(53) محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن التاودي ابن سودة قاضي القصر وخطيب فاس مات بها في العشرة الاخيرة من ذي القعدة 1299 (1882) انظر الكتاني سلوة الانفاس 121:1

(54) قاضي فاس المتوفى بالمدينة المنورة في محرم 1311 (1893) انظر الكتاني ، سلوة الانفاس ، 139:1

نذكر من مؤلفات محمد بن جعفر الكتاني كتابا مختصرا ، في نسب أسرته بعنوان **النبذة اليسيرة النافعة ، التي هي لأكبر السلالات الكتانية** جامعة ، ومجموعا في مناقب إدريس الثاني : **الازهار العاطرة الانفاس ، بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس (55) ،** الذي هو تنقيح وزيادة للكتب السابقة للجبلي والطالب ابن الحاج ، لكن أهم مؤلفاته هو فهرسه الجامع لتراجم أعلام فاس : **سلوة الانفاس ، ومحادثة الاكياس ، بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس (56)** الذي يعتبر نموذجا للمؤلفات المغربية في هذا النوع .

أنهى محمد الكتاني تأليفه عام 1313 بعد أن ظل يكتبه خمس عشرة سنة ، وقد قصد أن يخصص لكل من الشخصيات الشهيرة من بين العلماء والصلحاء المدفونين في فاس ترجمة طويلة أو قصيرة ، ويأتي بخلاصة ما عند ابن القاضي في **جذوة الاقتباس ، ومؤلف الروض العاطر الانفاس** بعده ، لكن على نطاق أوسع وحتى عصره . وقد حالفه النجاح كثيرا الى حد أن معجمه أصبح يكون في الوقت الراهن أداة العمل الضرورية لكل من يهتم بالتراجم المغربية .

ينقسم الكتاب الى ثلاثة أقسام كبرى ، الاول عبارة عن مقدمة مسهبة في زيارة الصالحين ، والثاني وهو أكبرها يحتوي على قائمة مشاهير العاصمة مرتبين على الأماكن بحسب الأحياء التي دفنوا فيها ، والثالث لائحة مرتبة ترتيبا أبجديا للمشاهير المدفونين بفاس والذين لم يتمكن المؤلف من الوقوف على قبورهم .

وتكون مقدمة **سلوة الانفاس** وحدها كتابا ذا فائدة كبرى ، أولها تبرير مطول لاتبرك بالصالحين ، وقد اجتهد الكتاني في الاستشهاد بأقوال علماء السنة ليبين أن ذكر مناقب الصالحين يتفق تماما مع حرفة الدين .

(55) طبع على الحجر بفاس عام 1314

(56) طبع على الحجر بفاس عام 1316 في 3 أجزاء

تأتي بعد ذلك آداب الزيارة ، فتجد كل ما ينبغي للزائر أن يفعله ، من نزول الراكب عن الدابة ، وخلع نعليه عند الدخول الى الضريح ، والانحناء للقبر وتقبيل الارض بين يدي الولي ، ثم يبين الكتاني الدعوات التي تقرب عند الزيارة ، والذبايح التي تذبح عندها ، وايقاد القناديل والشموع عند قبور الصالحين ، ويختتم العرض الى هذه النتيجة وهي أن صالح فاس الذي ينبغي أن يقصد هو مؤسس المدينة مولاي ادريس الانور بن ادريس الاكبر .

وقد بدأت تراجم السلوة بالولي ادريس الانور . وبما أن ضريحه يوجد في قلب المدينة فإن الكتاني تابع عرضه للصالحين والعلماء بحسب المكان الذي دفنوا فيه سالكا خلال المدينة مسلكا لا يخلو من غرابة . فهو يدور حول الضريح الادريسي في اتجاه عقربي ساعة ، وبعد أن يقطع هكذا أحياء وسط المدينة ينتهي الى الأحياء المتصلة بالأسوار الخارجية . وهذا ترتيب أهم الأحياء الذي يمكن معه تتبع المؤلف بسهولة في دورانه حول المركز بحسب تصميم المدينة : التجارين ، الكرنيز ، القطنين ، الصاغة ، درب الطويل البليدة ، فندق اليهودي ، داخل باب الجيسة وزقاق الرمان ، الشراييين ، وطلعة السياج ، الدوح ، الجرف والعيون ، رأس الجنان ، الكدان . ثم ينتقل المؤلف الى المقابر الكبرى التي تمتد من كل ناحية من الباب المدعو باب الفتوح ، والتي تدعى أحداها بروضه العلماء ، ثم الى المقابر التي توجد خارج باب سيدي بوجيدة وباب الجيسة وباب المحروق ، ويصل في الأخير الى فاس الجديد حيث مدافن الملوك الطويعين .

من المعروف أن مدينة فاس استحدثت منذ أمد طويل أن تدعى (دار العلم) تحقيقا لدعوة الولي ادريس . فتكثر بها قبور الصالحين والعلماء ويفهم اقبال الناس على دراستها عبر العصور . ومن جهة أخرى فإن معظم صلحاء فاس هم من علماء الاسلام المشهورين وبعضهم من الكتاب أيضا . وتشمل تراجم الكتاني الجميع من شرفاء أعيان وشيوخ الاسلام ، وفقهاء ومتكلمين وأساتذة قدسوا بعد موتهم . ونقدر منذ الآن أن عدد الشخصيات التي سيعرضها سيكون

ضخما ، يمكن ان نعد من بينهم أكثر من مائة وأربعين من مؤلفي الكتب الإسلامية، كما لاحظ ذلك بمهارة العالم المستشرق كديرا .

ويوجد في **السلوة** ، من جهة أخرى ، الى جانب الصلحاء العلماء ، بعض الصالحين الشعبيين (الاميين) الذين تلوث أسماؤهم هذا الكتاب . ومع ذلك فان هؤلاء الصالحين الصغار الذين يدعون سيدي المخفي ، وسيدي مس الخير ، وسيدي قاضي الحاجة انما أشير اليهم على سبيل التذكير فقط، وقد ترك المؤلف جانبا متعمدا مثل أسلافه جميع الاساطير المتداولة لهؤلاء الصالحين ، وقد سمع بها ، وربما فتن بها في صغره كسائر أبناء الحضرة .

كان على الكتاني الذي يعرف جيدا مديفته أن يجوب خلالها ويصل الى أصغر زواياها المخبأة ليضع معجمه . ويشعر القارئ أنه بحث في كل مكان ، ورجع الى الوثائق العائلية كلما أمكنه ذلك ، ودخل الى أصغر الاضرحة ، وسجل مواقع الاضرحة بكل ضبط ، ونقل ما عليها من كتابات . وبهذه الصفة تدل **سلوة الانفاس** على اهتمام متقدم بالبحث لا عهد لنا به في المغرب .

لكن الكتاني استعمل بصفة خاصة جميع كتب مواطنيه بطريقة متناهية في الدقة والامانة وان قائمة المصادر المكتوبة بايجاز وبدون عناية بأي ترتيب زمني والمذكور في آخر كتابه (57) لتظهر ان الخمس عشرة سنة التي قضاها في تأليف **السلوة** لا تكاد تكفي لقراءة هذه المصادر والبحث فيها وأخذ كل ما يجب أن يؤخذ منها .

وقد سبق أن رأينا الاهمية التي لهذه المصادر ، وكانت منذ بضع سنوات موضوع دراسة خاصة (58) . ان هذه القائمة تكاد تكون كاملة فيما يخص كتب التراجم ، واذا كان فيها نقص كبير فيما يخص كتب التاريخ ، فانها مع ذلك تحتوي على المهم من المؤلفات المغربية غير التي تتعلق بالعلوم الإسلامية الصرفة .

(57) **سلوة الانفاس** ، 3: 357 - 363

(58) ر، باصي أبحاث بيبليوغرافية عن مصادر **سلوة الانفاس** ، الجزائر 1905

ومن جهة أخرى فإن الكتاني باستعماله هذه المصادر لم ينج من أن يبدو ملفقا مثل أسلافه المؤرخين وأصحاب كتب التراجم ، لكنه يمتاز عنهم بأنه ليس ملفقا ضعيفا ، وإنما هو ملفق أمين فكل ترجمة في معجمه هي في الواقع خلاصة أو إعادة حرفية لجميع التراجم التي كتبت قبله لنفس الأشخاص ، لكنه يترك لكل مصدر من مصادره مسؤولية ما قال ، لاسيما أنه يعطي لكل ترجمة مراجع مغربية كاملة ، وهو بهذا العمل مجدد بلا ريب . ولو أنه أضيفت الي تلك الاشارات أرقام الاجزاء والصفحات لما كانت السلوة أقل قيمة من الكتب العربية المؤلفة بالشرق في السنين الاخيرة على الطرق الحديثة ومع ذلك فإن السلوة على ما هي عليه تكون أحسن كتب التراجم المغربية وستظل وثيقة أساسية لكل من يقوم بكتابة تاريخ مآثر مدينة فاس . ويستحسن أن تنشر ترجمتها قريبا ، فهي اجمالا أفيد من الترجمات التي خصصت لكتب التراجم المؤلفة قبلها

وقد تقبل المغاربة سلوة الانفاس بقبول حسن ، وأدرك مؤلفها شهرة فاقت شهرة أهله وراح الناس يقلدونه في عمله . فمنذ بضع سنوات فقط قام أحد أدباء مراكش وهو محمد بن محمد بن عبد الله ابن الوقت المسفيوي المراكشي المعروف من قبل بكتابه في التراجم ، حيث أصدر كتابين صغيرين ، أحدهما عن أبي العباس السبتي ، (59) والثاني عن أسرته هو (60) ، فألف معجما طبوغرافيا عن صلحاء مراكش بعنوان : السعادة الابدية ، في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية (61) وحاصل الكلام أنه ليس سوى محاكاة باهتة لسلوة الانفاس ، لكن يوجد فيه بعض المعلومات المهمة . وستظل

(59) تعبير الانفاس ، في التعريف بالشيخ أبي العباس ، طبع على الحجر بفاس

عام 1336

(60) اظها والعامد ، في التعريف بملانا الوالد ، طبع على الحجر بفاس في هامش الكتاب

السابق

(61) طبع على الحجر بفاس عام 1336 في جزئين

السعادة الأبدية مفيدة الى أن يقوم عالم مراكش القاضي حاليا بسطات
العباس بن ابراهيم المراكشي الذي سبق أن أصدر ترجمة جيدة لسبعة
رجال عاصمة الجنوب : **أظهار الكمال** ، في تقيم مناقب **سبعة**
فرجال (62) ، ويخرج للناس معجم تراجم علماء جنوب المغرب التي
يشتغل في تهيينه منذ عدة سنوات .



خاتمة

قد وصلنا الى نهاية هذه الدراسة ، وبحثنا فيها دواليك عن أدباء المغرب
الذين وضعوا خلال العصر الحديث بعض مؤلفاتهم في موضوعات مغربية
خاصة . وتبين أن عددهم نسبيا كثير . صحيح أنهم يتدرجون في أربعة
قرون كاملة ، وأنهم عاشوا في بلد ادعى دائما تفوقه في الميدان الفكري
على جيرانه في الشرق . نجد فيه بعض المؤرخين وعددا وافرا من أصحاب
التراجم خاصة ، يسهم كل منهم قطعا بتصيب كثير أو قليل في تاريخ بلاده ،
وبعضهم ولو أنهم لا ينزلون كثيرا عن عظماء المؤرخين المساميين أخذوا
عنهم ، لكن كم عددهم ؟ ياتي قبل كل شيء الزياني الذي كان فريدا
وعانى الكثير بسبب أصالته ، سواء في حياته أو بعد مماته . ثم
الافراني الحكيم ، والناصرى . ويبرز من بين جميع
أصحاب التراجم الافراني نفسه ، والمتقشف محمد القادري ، وبخاصة المؤلف
المعاصر صاحب **سلوة الانفاس** . أي خمسة أسماء في المجموع . ثم
أوليس من المفيد أن نلاحظ أن من بين هؤلاء الكتاب الخمسة كاتبين
معاصرين . ان كتبهما المتأخرة أيضا ، محاولة لكتابة تاريخ عام للمملكة
وتسلسل أحداث العاصمة المغربية من خلال أعلامها ، تظهر ملاحظة دقيقة
عن الشروط القديمة للتأليف وتعطي المقياس لاوسع ما يمكن أن توحى به
الغنون القديمة .

لكن نسبة الآداب ، على ما فيها من ضعف ، فيما رأيناه خلال هذم الدراسة ليست بأقل مما يمكن أن نجده منذ العصور الوسطى في البلاد الأخرى . وقد اعتبر التاريخ دائما في مرتبة ثانوية بالنسبة للعلوم الإسلامية الصرفة . وفتبين حتى في مغرب العصر الوسيط أن عدد المؤرخين لا يزيد كثيرا عن عددهم في العصر الحديث . ومع ذلك فإن موضوعاتهم لم تكن محصورة في إطار محدود جغرافيا ، وإنما كانت توارىخهم تتناول في نفس الوقت أحداثا وقعت في نقط جد متباعدة من الغرب الإسلامي بل وفي المشرق أيضا . وإن الظروف التاريخية منذ القرن السادس عشر جعلت المغرب يغلق داخل حدود مقفلة تماما ، فأوقف المؤرخون بدورهم نظارهم عليها ولم يتجاوزها ، لكن طريقته لم تتغير . فكتاب الاستقصا و سلوة الانفس على تقليد روضه القرطاس أو مجاميع التراجم الاندلسية ، لم يكن لمؤلفيهما مثل أعلى آخر . فهذه الكتب نتيجة لشكل من الأدب السلفي ونهاية .

إن الأجيال المساعدة بالمغرب المعاصر تتجه في الواقع اتجاهها آخر وإن بعض العلماء الذين ولدوا في النصف الثاني من القرن الماضي ما يزالون يحتفظون باحترام تقليدي للماضي ، وربما سينزويون أكثر داخل أشكالهم القديمة بعامل رد الفعل . لكنهم سيلومون دون جدوى أولادهم المتصلين بنا على بحثهم في توسيع آفاقهم . إن التطور حاصل حتما أحببنا أم كرهنا وقد بدأ بالفعل . إن معظم الأدباء المغاربة اليوم ليس لهم إلا شعور خفيف بتاريخ بلادهم ، ويدركون من يوم لآخر أن المغرب ليس وحده في الدنيا ، وأن أمما أخرى عملت أكثر منه على تقدم الحضارة والعلم . وإلى هذا الأجنبي، مسلما أو غير مسلم ، تتجه أنظارهم ، مجتهدين في ادراك طرق بدعوا يرتأبون في قيمتها . وحتى اللغة العربية الاصطلاحية الثابتة التي اجتهد الشرق في تطويرها لمطالبات الفكر الجديد ، لم تعد في نثار هذا الجيل المغربي الجديد اللغة الوحيدة التي تستحق أن يكتب بها . وكثير منهم غير بعيدين عن أن يعترفوا بأن لغات أخرى تتلاءم أكثر مع الوضع والعرض في فنون عجيبة .

فماذا يا ترى تكون انعكاسات هذه الأفكار الجديدة في المستقبل على الأدب المغربي ؟ وماذا ستكون بعد عقود من السنين كتب المؤرخين إن وجدت ؟ إنه يصعب حقا التكهن بذلك . وستكون على أي حال مختلفة أشد الاختلاف عما ألفه المؤرخون وأصحاب التراجم في القرون السابقة بمملكة الشرفاء حسب القواعد العتيقة .

ملحق 1



مصادر نزهة الحادي للفراني

- عبد الرحمان الفاسي ، ابتهاج القلوب
- أبو محلي ، اصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت النفريت .
- أفوقاي (أبو العباس) الاندلسي ، رحلة الشهاب الى لقاء الاحباب
- أحمد بن عبد الملك الشريف السجلماسي ، الانوار السننية في نسبة
- بسجلماسة من الاشرف المهدية .
- أحمد بابا ، كفاية المحتاج .
- أحمد او علي السوسي ، بذل الناصحة في فضل المصافحة
- أحمد الوزير الغساني
- مجهول فاس ، تاريخ الدولة السعدية
- ابن عرضون
- ابن عسكر ، دوحة الناشر
- العياشي ، رحلة
- العياشي ، تحفة الاخلاء في أسانيد الاجلاء .
- الازورقاني ، الدوحة .
- ابن بطوطة ، رحلة .
- الدلائي محمد السنائي
- الفشتالي أبو فارس عبد العزيز ، مناهل الصفا في أخبار الملوك

الشرفا

- الغنامي الشاوي عبد الرحمان المدعو رحو ، رحلة
- ابراهيم ابن هلال ، المنعمك
- اليوسي الحسن ، المحاضرات

- اليوسي محمد بن يعقوب ، فهرس
- المنجسور ، فهرس
- المقرئ ، أزهار الرياض في أخبار مناقب القاضي عياض
- المقرئ ، فصح الطبيب
- المرغيتي فهرس
- ميارة ، الدر الثمين في شرح المرشد المعين .
- محمد بن عيسى ، الممدود والمقصود من سنا السلطان أبي العباس المنصور
- محمد العربي الفاسي ، مرآة المحاسن
- محمد بن عيسى ، الممدود والمقصود من سنا السلطان أبي العباس المنصور .
- محمد المهدي الفاسي ، ممتع الاسماع
- محمد الطيب الفاسي ، الاعلام بمن مضى وغبر من أهل القرن الحادي عشر
- ابن القاضي ، الدر الحليوك
- ابن القاضي ، درة الحجال
- ابن القاضي ، درة السلوك
- ابن القاضي ، جذوة الاقتباس
- ابن القاضي ، لقط الفرائد
- ابن القاضي ، المنقى المقصور
- القادري عبد السلام ، الدر السني
- السجستاني أبو مهدي عيسى ، نوازل .
- السملالي عبد الرحمان بن يعقوب ، فهرس
- التكروري ، نصيحة أهل السودان
- التمكروتي ، النفحة المسكية في السفارة التركية
- التواتي احمد ، مقامه التحلي والتخلي من صحبة الشيخ أبي محلي .
- التمنارتي عبد الرحمان ، المفوائد الجمة باسناد علوم الامة .
- زهرة الشاربخ (شرح)

(ب)

مصادر نشر المثاني لمحمد القادري

- ابن الأبيسار ، إكمال الصلوة
- عبد القادر الفاسي ، رسالة
- عبد الرحمان الفاسي ، أزهار البستان
- عبد الرحمان الفاسي ، ابتهاج القلوب
- عبد الرحمان الفاسي ، كتاب الاقنوم
- ابن أبي زرع ، روض القرطاس
- أحمد بابا ، كفاية المحتاج
- أحمد أو علي السوسي ، بذل الناصحة في فضل المصافحة
- ابن عيشون الشراط ، ائروض العاطر الانفاس
- ابن عسكر ، دوحة القاشير
- العياشي ، فهرس
- العياشي ، رحلة
- ابن بطوطة ، رحلة
- الشعراني ، ذيل الطبقات
- الذهبي ، كتاب التهذيب في مختصر تهذيب الكمال
- الدلائي محمد المسناوي ، جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر
- الفشتالي محمد ، وفيات
- الكلاي ابراهيم ، تنبيه الصغير من الولدان
- ابن حجر ، بهجة الناظر
- الحلبي أحمد بن عبد الحي ، ريجان القلوب فيما للشيخ عبد الله
- البرناوي من أسرار الغيوب
- ابن حزم ، جمهرة الانساب

- الافرناني ، نزهة الحادي
- البيوسي ، المحاضرات
- الاسمائي محمد بن المعطي ، تطائف أخبار الاول فيمن تصرف في مصر
- من أرباب الدول
- ابن جرير الشطنوفي ، بهجة الاسرار ومعدن الانوار
- الجوزي ، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان
- الخفاجي ، ريعانة الالباب
- ابن الخطيب ، الاحاطة بتاريخ غرناطة
- ابن الخطيب ، مثلى الطريقة في ذم الوثيقة
- المكلائي ، وفيات
- المثري ، نفح الطيب
- محمد بن عبد الرحمان الفاسي ، المنح البادية
- محمد العربي الفاسي ، مرآة المحاسن
- محمد المهدي الفاسي ، الاماع
- محمد المهدي الفاسي ، ممتع الاسماع
- محمد المهدي الفاسي ، روضة المحاسن
- محمد المهدي الفاسي ، تحفة أهل الصديقية
- محمد الطيب الفاسي ، فهرس
- محمد الطيب الفاسي ، مطمح النظر
- المرابي ، تحفة الاخوان ومواهب الامتتان في مناقب سيدي رضوان
- ابن ناصر الحسين ، فهرس
- ابن القاضي ، أحمد ، درة المجال
- ابن القاضي احمد ، جذوة الاقتباس
- ابن القاضي قاسم بن محمد ، تقويم الزمان بقدم مولانا زيدان
- القادري عبد السلام ، الدر السني
- القادري عبد السلام ، المقصد الاحمد

- القادري عبد السلام ، دشتغ الاشراق .
- القادري عبد السلام ، معتمد الراوي
- القادري عبد السلام ، نزهة الفكر .
- القادري عبد السلام ، نزهة النادي وتحفة الحادي
- القادري محمد العربي ، كناشنة
- القرافي بدر الدين ، توشيع الديباج وحنية الابتهاج
- القصار ، فهرس
- الرشاطي ، اقتباس الانوار (مع تلخيص لعبد الحق الازدي الاشبيلي)
- السكبي تاج الدين ، معيد النعم وميد النقم
- تقييد الحقيقة العالية وتشبيد الطريقة الشاذلية
- الولالي أحمد بن يعقوب ، مباحث الانوار في اخبار بعض الاخبار
- الوفشريسي ، وفيات



(ج)

مصادر الترجمان العرب والبستان الطريف للزياني

1 - كتب اطلع عليها في المغرب

- ابن أبي زرع ، روض القرطاس
- ابن عسكر ، دوحة الناشر .
- العياشي ، رحلة .
- ابن الازرق ، كتساب انسياسة .
- البلادوري
- الفشتالي ، مناهل الصفاء
- ابن حزم ، جوهرة الانساب
- الحليل الموشية

- الافراني ، نزهة الحادي
- الليوسي ، المحاضرات
- ابن خاتان ، قلائد العقيان
- ابن خلدون ، كتاب العبر
- ابن الخطيب ، كتب تاريخية
- المقري ، نفح الطيب
- المروزي
- ابن القاضي ، درة العجال
- - ابن القاضي ، ، جذوة الاقتباس
- كتب القادريين والفاسيين والبكريين (الدلائيين)
- 2 - كتب اطلع عليها في تلمسان والجزائر وتونس
- ابن عبد البر ، بهجة المجالس ،
- الشاطبي ، كتاب الجمان في عجائب الزمان
- انساب البربر : - هاني بن مصدور الكومي
- كهان بن أبي لوا الاوربي
- سابق بن سليمان المطاطي
- الكرمانلي
- ابن كثير ، البداية والنهاية
- المقرئ ، الخطط
- مرتضى الزبيدي ، بحر الانساب في اصول الاشراف الحسينيين
- والحسينيين بالشرق والغرب .
- النوروي
- ابن قتيبة ، عيون الاخبار
- الراغب الاصبهاني ، كتاب المحاضرات
- السمرقندي محمد بن عبد الله ، تحفة الطالب
- التنسي ، نظم الدر والعقيان

- الواقدي ، فتوح افريقيا
- 3 - كتب اطلع عليها في القسطنطينية
- تاريخ الدول الاسلامية لابن عساكر الذهبي وابن الخطيب
- تاريخ الاسكندر ، و الاغويقي . و الفرس مترجمة من التركية الى العربية



(د)

مصادر الجيش العرمرم لافنسوس

- عبد السلام بن محمد بن عبد الله ، درة السلوك
- ابن أبي زرع ، روض القرطاس
- أحمد بن عبد الملك السجلماسي ، الانوار المسية
- أحمد بابا ، نيل الابتهاج .
- العياشي ، رحلة
- البطليوسي ، الاقتباس .
- الشاطبي ، كتاب الجمان في عجائب الزمان .
- الدلائي محمد المسناوي ، نتيجة التحقيق .
- الفشتالي عبد العزيز ، متأهل الصفا
- ابن العذاري ، البيان المقرب
- الافراني ، نزهة الحادي
- الافراني ، صفوة من انتشار
- الافراني ، الظل الظليل
- اليوسي ، المحاضرات
- ابن جرير ، رحلة
- الجرجاني أحمد ، كناية الادبا
- ابن خاكران ، وفيات الاعيان
- المقري ، فصح الطيب
- المصباحي علي ، سنن المهدي الى محاسن اليعمدي
- العميري ، فهرس
- القادري ، الازهار الندية
- الزباني ، البستان الطريف

(هـ)

★ ★

مصادر كتاب الاستقصا للناصري

أ - الى نهاية الموحدين

- ابن عبد البر ، كتاب التمهيد
- ابن عبد الملك المراكشي ، الذيل والتكملة
- ابن عبد المنعم الحميري ، الروض المعمار
- ابن أبي زيد القيرواني
- ابن أبي زرع ، روض القرطاس
- ابن عساکر ،
- ابن الاثير ، الكامل
- ابن بشكوال ، كتاب اللطاة
- البكري
- البرنوصي
- الشاطبي ، كتاب الجمال في عجائب الزمان
- دارود بن القاسم الاوربي
- الدلائي محمد المنلوي
- ابن غالب
- ابن حجر
- هانيء بن بكور الدريسي
- ابن حيان
- ابن حزم
- الحميدي ، جفوة القتبس
- ابن اليسع
- الافراني ، نزهة العاني
- يوسف بن عمر (أبو الحجاج) تاريخ الموحدين
- عياض ، كتاب الشفا
- عياض ، المدارك
- ابن جنون
- الجرجاني علي
- ابن الكلبي
- ابن خلدون ، كتاب العبر
- ابن خلكان ، وفيات الاعيان
- ابن الخطيب ، رقم الحلال
- الخلاصة النقية في امراء افريقية

- المقري ، نفع الطيب
- ابن مرزوق ، المسند الصحيح الحسن
- المسعودي ، مروج الذهب
- ابن مطروح القيسي
- محمد العربي الفاسي ، مرآة المحاسن
- محمد بن ابراهيم الانصاري
- النـورـي
- الرازي
- رفاعة بك الطهطاوي ، بداية القدماء
- الصدفي أبو شبيب
- ابن سعيـد
- الطبرسي
- ابن وهبون عبد الجليل
- الواقدي ، فتوح افرنجيا
- الوراق أبو مروان عبد الملك
- ابن زاكور ، المغرب المبرين
- زمرور بن صالح
- الزياتي ، البستان الطريف
- ابن الزيات ، كتاب التشوف الي رجال التصوف
- ب - في العصر المريني
- ابن أبي زرع ، روض القرطاس
- ابن الاحمر ، روضة النسرين
- ابن عسكر ، دوحة الناشر
- بدائع السلك
- الافراني ، نزهة الحمادي
- ابن الخطيب ، الاحاطة
- ابن الخطيب ، الاكلیل
- ابن خلدون ، كتاب العبر
- المقري ، نفع الطيب
- المقرئزي ، السلوك الي معرفة دول الملوك
- ابن مرزوق ، المسند الصحيح الحسن
- محمد العربي الفاسي ، مرآة المحاسن
- الابي ، شرح صحيح مسلم
- القادري ، نشر المثاني
- الونشريسي ، المعيار المغرب
- زهرة الشماريخ (شرح)
- زروق (الشيخ أحمد)

ج - في العصر السعدي

- عبد الرحمان الفاسي ، شرح دلائل الخيرات
- عبد الرحمان الفاسي ، ابتهاج القلوب
- أبو محلي ، اصليت الخريت
- أحمد بابا ، معراج الصعود
- أحمد أو علي السوسي ، بذل الناصحة
- ابن عسكر ، دوحة الناشر
- العياشي ، رحلة
- البرزلي ، نوازل
- الفشتالي ، مناهل الصفا
- الغزالي ، احياء علوم الدين
- الادريسي ، نزهة المشتاق
- الافراني ، نزهة الحادي
- الافراني ، صفوة من انتشر
- اليوسي ، المحاضرات
- ابن خلدون ، كتاب العبر
- ابن خلكان ، وفيات الاعيان
- الخلاصة النقية في أمراء افريقية
- المنجور ، فهرس
- ميارة ، الدر الثمين
- محمد العربي الفاسي ، مرآة المحاسن
- محمد المهدي الفاسي ، ممتع الاسماع
- المحبي ، خلاصة الاثر
- ابن القاضي ، درة الحجال
- ابن القاضي ، درة السلوك (وشرحها)
- ابن القاضي ، المنقى المقصور
- القادري عبد السلام ، معتمد الراوي
- القادري محمد ، نشر الثاني
- السملالي عبد الرحمان ابن يعقوب ، فهرس
- التكروني ، نصيحة أهل السودان

- التمكنوتي ، النفحة المسكية في السفارة التركية
- التنفارتني ، الفوائد الجمة باسناد علوم الامة
- زهرة الشماريخ (وشرحها)
- الزيناني ، البستان الظريف

د - العصر العلوي

- عبد السلام بن محمد بن عبد الله العلوي ، درة السلوك
- أحمد بن عبد الملك الشريف السجلماسي ، الانوار السفية
- أكفسوس ، الجيش العرمرم
- العياشي ، رحلة
- الدلائي محمد المناوي ، نتيجة التحقيق
- الغزال ، نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد
- ابراهيم ابن هلال
- الافراني ، نزهة الحادي
- ابن خلدون ، كتاب العبر
- ابن خلكان ، وفيات الاعيان
- الخلاصة النقية في امراء افريقية
- الغزالي ، المستقصى من علم الاصول
- اليوسي ، فهرس
- اليوسي ، المحاضرات
- مصباح الساري .

- محمد العربي الفاسي ، مرآة المحاسن
- العميري ، فهرس
- القادري محمد ، الازهار الندية
- القادري محمد ، نشر المثاني
- قطف الزهور
- السدراتي السلوي أحمد بن المكي
- القستاونتي عبد القادر ، فهرس
- الزيناني ، البستان الظريف

فهرس

موضوعات الكتاب

| صفحة | - الفصل الاول : | صفحة |
|------|-------------------------------|------|
| 77 | مؤرخو الدولة السعدية | 5 |
| - | أحمد المنصور - شيخه المنجور - | - |
| 78 | عبد العزيز الفشتالي | 9 |
| - | محمد الفشتالي وعلي | 15 |
| 81 | التمكروتي | - |
| 88 | أحمد ابن القاضي | - |
| 89 | الافراني | - |
| 93 | نزعة الحادي | - |
| 97 | مؤلف مجهول كاتبه | - |
| - | الفصل الثاني : مؤرخو الدولة | - |
| - | الطوية حتى حكم مولاي | - |
| 101 | الحسن | - |
| 102 | لوزير أبو القاسم الزباني | - |
| 124 | الترجمانة الكبرى | - |
| 136 | محمد أكنسوس | - |
| 146 | محمد الضعيف | - |
| 148 | الدر المنضد لؤاف مجهول | - |
| - | - | - |
| - | القسم الثالث | - |
| - | أصحاب التراجم : كتب المناقب | - |
| - | وتراجم الاسر الشريفة ورجال | - |
| 150 | العلم | - |
| - | - | - |
| - | القسم الاول : | - |
| - | مفهوم التاريخ | - |
| - | الفصل الاول : | - |
| - | المغاربة والتاريخ | - |
| - | الفصل الثاني : | - |
| - | الفنون التاريخية | - |
| - | أ - تاريخ الدول والسلالات | - |
| - | الملكية | - |
| - | ب - كتب التراجم | - |
| - | الفصل الثالث : | - |
| - | المناهج التاريخية | - |
| - | - | - |
| - | القسم الثاني : | - |
| - | الرجال ومصنفاتهم | - |

| | | |
|-----|-------------------------------|-----------------------------------|
| 192 | الثاني عشر الهجري | أ - نظرة عابرة على أصحاب |
| 192 | - محمد المهدي الفاسي | التراجم المؤلفة قبل القرن السادس |
| | - القادريون : | عشر الميلادي 152 |
| | محمد العربي | ب - أصحاب التراجم في القرن |
| 194 | القادري | العاشر الهجري 156 |
| 195 | - عبد السلام القادري | 156 |
| 198 | - ابن عيشون الشراط | 160 |
| 200 | - محمد الطيب الفاسي | ج - كتب التراجم المؤلفة في القرن |
| 201 | - محمد الوزير الغساني | الحادي عشر الهجري 166 |
| 203 | - أحمد الحلبي | 166 |
| 204 | - ابن زاكور | 167 |
| 206 | - الولالي | - إفاسيون الاولون : |
| 206 | - أحمد بن ناصر | أبو المحاسن |
| 208 | - أحمد بن عطية | يوسف الفاسي 167 |
| 208 | - العميري | - شجرة الاسرة الفاسية 169 |
| 209 | - أحمد القادري | 170 |
| 210 | - محمد بن عبد الرحمان الفاسي | - أحمد الفاسي 170 |
| 210 | - العلمي | - أبو حامد محمد العربي الفاسي 172 |
| 212 | - المعداني | - ابن القاضي بصفته مترجما 174 |
| 213 | - الدلائيون | - أحمد بابا 176 |
| 214 | - محمد المسناوي الدلائي | - المرابسي 179 |
| 215 | - محمد بن عبد الرحمان الدلائي | - أحمد وعلي السوسي 180 |
| 215 | - أحمد الوزير الغساني | - الجلالسي 181 |
| 216 | - المدرع | - التمنارتي 181 |
| 217 | - أحمد بن الخياط | - محمد ميارة 182 |
| 217 | - اليفرني وصفوته | - المرغيتي 183 |
| 220 | - أحمد السجلماسي | - العياشي الرحالة 184 |
| 221 | - عبد الواحد أدراق | - عبد القادر الفاسي وابنه عبد |
| 221 | ابن يخطف | الرحمان 186 |
| 222 | - محمد بن عبد السلام بناني | - اليوسسي 189 |
| | | د - كتب التراجم المؤلفة في القرن |

| | | | |
|-----|-------------------------------|-----|-----------------------------------|
| 252 | المؤرخون والمترجمون المعاصرون | 223 | - ابن عاشر الحافي |
| 253 | - الناصري | 223 | - عبد المجيد المنالي الزباني |
| 262 | - احمد ابن الحاج | 224 | - محمد المكي الدرعي |
| 266 | - محمد كنون | 225 | - أحمد الهاللي |
| 267 | - ادريس الفضيلى | 226 | - ادريس وعبد الرحمان الخيرة |
| 270 | - المامون بن عمر الكتاني | 226 | - محمد بن احمد الفاسي |
| 270 | - جعفر بن ادريس الكتاني | 227 | - محمد بن الطيب القادري |
| 271 | - محمد بن جعفر الكتاني | 232 | - المترجمون لشرفاء وزان |
| | - x - | 232 | - أحمد حمدون الطاهري |
| 276 | - خاتمة | 232 | - محمد بن حمزة الكناسي |
| 278 | - ملحق 1 : مصادر نزهة الحادي | 233 | - الغزال |
| | - مصادر نشر الثاني لمحمد | | هـ - كتب التراجم المؤلفة في القرن |
| 280 | للقادري | 238 | الثالث عشر الهجري |
| | - مصادر الترجمان والبستان | 238 | - ابن سودة |
| 282 | الزياني | 239 | - محمد المنالي الزباني |
| | - مصادر الجيش المرمم | 240 | - عبد الواحد الفاسي |
| 284 | لاكفسوس | 241 | - ابن عجيبة |
| 285 | - مصادر الاستقصا للناصرى | 241 | - الحوات |
| 289 | - فهرس موضوعات الكتاب | 244 | - عبد القادر الكوهن |
| 292 | - فهرس مجمل للاعلام | 245 | العراقي |
| | | 246 | - محمد المهدي ابن القاضي |
| | | 246 | - محمد الطالب ابن الحاج |
| | | 249 | - عبد الكبير الفاسي |
| | | 250 | - محمد الامين الصحراوي |
| | | 250 | - أبو املق |

فهرس مجمل

لأعلام الأشخاص والقبائل والأماكن والكتب



الآباء

- أبو أملاق عبد القادر بن محمد 250
252 -

- أبو اسحاق الشهبازي
الشعراني 185

- أبو بكر أمهاوش 126

- أبو بكر بن الحسن التطافي 189

- أبو بكر الخطيب البغدادي 41

- أبو بكر = ابن كيران

- أبو بكر بن محمد الدلائي 171 -
213

- أبو بكر بن محمد الخديم الدلائي
227 - 228

- أبو بكر بن محمد عواد 254

- أبو تمام 144 - 190 - 254

- أبو الجعد 93 - 212

- أبو الحسن الشاذلي 163 - 197 -
207 - 238

- أبو حسون المريني (الوطاسي) 98

- أبو المحاسن يوسف الفاسي 55
84 - 168 - 179 - 192

- أبو مدين 111 - 153 - 191

- أبو العباس السبتي

- أبو العلاء المعري 190

- أبو غالب عبد السلام بن الطابع
247

- أبو القاسم بن أحمد الزياتي 19

- 31 - 39 - 40 - 41 - 44 -

62 - 64 - 67 - 68 - 69 - 102

- 103 - 104 - 105 - 106 -

107 - 108 - 110 - 111 - 113

114 - 117 - 118 - 126 - 129

- 130 - 134 - 135 - 136 -

- 143 - 148 - 236 - 276

- أبو القاسم الزموري 106

- أبو القاسم بن محمد الغساني =

ابن أبي النعيم

- أبو القاسم بن علي = ابن خجو

- أبو القاسم الفشتالي الغول 183

- أبو القاسم السهيلي 139

- أبو سالم عبد الله بن محمد

العياشي (الرحالة) 66 - 73 -

127 - 184 - 185 - 198 - 200

- 207 - 210

- أبو الشتاء الخمار 251

- أبو يعزى 167

- × -

الابناء

- ابن أبي زرع 18 - 68 - 94 -

205

- ابن أبي النعيم أبو القاسم بن

محمد الغساني 79 - 178 - 180

- 182 - 186

- ابن إاثير 43 - 44 - 61

- ابن الأحمر اسماعيل (أبو الوليد)

94 - 205

- ابن المناء 85

- ابن جلون محمد بن أحمد 238
- ابن جلون المدني 271
- ابن الحاج أحمد بن محمد بن حمدون 195 - 204 - 262 - 263
- ابن الحاج حمدون 44 - 137 - 142 - 239 - 244 - 246 - 262
- ابن الحاج الطالب 272
- ابن الحاج المهدي 267 - 271
- ابن خاقان 211
- ابن خجوة أبو القاسم بن علي 157 - 161
- ابن الخطيب لسان الدين 159
- ابن خادون 18 - 26 - 44 - 46 - 68 - 159
- ابن خلكان 41 - 53
- ابن رحمون قاسم 266
- ابن الرقيق 44
- ابن زاكور محمد بن قاسم 204 - 205 - 211 - 257
- ابن الزيات يوسف بن يحيى التادلي 152 - 153 - 167
- ابن الكلبي 44
- ابن كيران أبو بكر 266
- ابن كيران الطيب 239
- ابن كيران محمد بن الطيب 244
- ابن مالك 30
- ابن مرزوق الكفيف التلمساني 156
- ابن مريم (التلمساني) 82
- ابن المسلمة علي بن الحسن 41
- ابن مشيش عبد السلام 196 - 197 - 205 - 210 - 241
- ابن الموقت 41 - 43 - 46 - 93 - 275
- ابن ناصر أحمد 90 - 206 - 208
- ابن ناصر محمد 137 - 185 - 190 - 191 - 234
- ابن عاصم 30
- ابن عاشر عبد الواحد 32 - 183 - 186
- ابن عجيبية أحمد بن محمد التطواني 241
- ابن عربي محيي الدين 95
- ابن عرفة محمد بن محمد التونسي 205
- ابن عطية أحمد بن محمد 208
- ابن علي محمد الدكالي السلوي 97 - 105 - 126
- ابن عسكر (محمد الشفشاوني) 42 - 66 - 126 - 152 - 157
- ابن عيشون الشراط 72 - 195 - 160 - 162 - 164 - 229
- ابن غازي محمد بن أحمد العثماني المكتاسي 156
- ابن فرحون (إبراهيم) 53 - 178
- ابن القاضي (أحمد) 69 - 70
- 74 - 78 - 79 - 80 - 81 - 83 - 84 - 87 - 88 - 96 - 131 - 174 - 182 - 211 - 225 - 230 - 231 - 272
- ابن قنفذ 230
- ابن السائح العربي الشرقاوي 269
- ابن السرور محمد الصديقي المصري 44
- ابن سعد التلمساني 270
- ابن سودة أحمد بن التاودي 137 - 244
- ابن شنب 31 - 186

- أجوبة عبد القادر الفاسي 186
- أجوبة عن أسئلة أحمد بن عبد الله معن 228
- أحمد أفقي (الاندلسي) 83
- أحمد بن إبراهيم بن أبي محمد صالح 153
- أحمد بن أبي القاسم الشعيبسي الهروي الصومعي 167
- أحمد بن أحمد العياشي سكيرج 137 - 269
- أحمد بن اسماعيل العلوي (السلطان) 123
- أحمد بابا بن أحمد التبتكي السوداني 39 - 41 - 79 - 82 - 84 - 152 - 157 - 176 - 177 - 180 - 225
- أحمد بن بابا الشنقيطي 269
- أحمد حمدون الطاهري 232
- أحمد بن خالد الناصري السلوي 68 - 253 - 255 - 256 - 257 - 258 - 259 - 260 - 261 - 262
- أحمد دابوش 211
- أحمد زروق البرنوسي 126 - 193 - 195
- أحمد بن الطاهر الشرقي 31 - 103
- أحمد بن مبارك السجلماسي 225 - 227 - 232 - 38
- أحمد بن محمد التجاني 269
- أحمد بن محمد الحارثي ابن عطية 208
- أحمد بن محمد الحجرتي 267 - 270
- أحمد بن محمد الدقون - 30 - 157
- أحمد بن محمد المقرئ 80 - 81 - 85
- أحمد بن محمد بن ناصر 90 - 206

- ابن شقرون عبد القادر الكتاسي 211
- ابن المونان 142
- ابن يخلف 221
- X -
- حرف الهمزة
- الآجرومية 29 - 30 - 32
- آدم 116
- آسفي (رباط ،،،) 153
- آيت اومالو 106 - 126
- آيت عطا 109
- آيت عياش 185
- آيت يوسي 189
- الأبار = حمدون
- ابتهاج البصائر فيمن قرا على
- انشيخ عبد القادر 187
- ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجنوب 187
- ابراهيم أفندي (سفير تركيا) 107
- ابراهيم البطال الكبداني 154
- ابراهيم (مولاي ،،، صالح الرباط) 146
- ابراهيم بن عبد الرحمان الجلاسي 181
- ابراهيم العلقمي 84 - 166
- ابراهيم ابن فرحون 178
- ابراهيم الشاوي 79
- ابراهيم ابن هلال 225
- ائمة العينين ونزهة الناظرين في مناقب الاخوين أبي زيد وأبي عبد الله الهزميريين
- اجازة عبد القادر الفاسي 186

- 208 - 253
- أحمد بن محمد الصقلي 248
- أحمد بن محمد العشماوي 237
- أحمد بن محمد القادري 194
- أحمد بن محمد بن يعقوب الولاوي 206
- أحمد المرنيسي 266
- أحمد المنصور الذهبي 48 - 64 - 66 - 71 - 78 - 79 - 80 - 82 - 83 - 85 - 86 - 98 - 117 - 133 - 134 - 166 - 167 - 177 - 211 - 262
- أحمد بن المهدي الغزال 127 - 233 - 234 - 235
- أحمد بن موسى المرابي 179
- أحمد بن عبد الله معن 194 - 206 - 209 - 215 - 228
- أحمد بن عبد الله الغربي الرباطي 146
- أحمد بن عبد الحي الحطبي 203
- أحمد بن عبد العزيز الهلالي 225
- أحمد بن عبد الفادر القادري 209
- أحمد بن عبد السلام الجراوي 44 - 144
- أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني 193 - 215 - 235
- أحمد العراقي 270
- أحمد بن العربي الحارثي 248
- أحمد بن علي الجرندي 216
- أحمد بن علي المنجور 84 - 170
- أحمد بن علي المواسي السوسي 83
- أحمد بن علي الوجاري 109 - 226 - 238
- أحمد السالمي 183
- أحمد الشاذلي 238
- 199 - 201
- أحمد واعلي السوسي (البوسعيدى) 180
- أحمد الوطاسي 98
- أحمد اليميني 206
- أحمد بن يوسف الفاسي 82 - 85 - 170 - 171
- أحمد (قبيلة ،،،) 263
- الادارسة 44 - 83 - 88 - 196
- الادب العربي 102
- ادخسان 103
- ادرياس (مكان) 128
- ادريس بن أحمد الفضيلي 267
- ادريس الانور بن ادريس الاكبر 38 - 199 - 203 - 214 - 272 - 273
- ادريس الاول (الاكبر) 259
- ادريس بن ثابت 44
- ادريس بن محمد المنجرة 226
- ادريس بن محمد العراقي 239 - 245
- ادريس الودغيري 247
- الادريسي (الشريف ،،،) 104 - 128
- الارتجال في مناقب مشاهد سبعة رجال 250
- أرجوزة أحمد الفاسي 82
- أرجوزة العربي الفاسي 172
- أرجوزة الفشتالي 82
- أرجوزة ابن القاضي 88
- ارفدا 128
- الارفاق في مسائل الاستحقاق 212
- أزمير (مدينة) 112
- أزهار البستان في طبقات الاعيان 241

- الصوفية الاخيار 208
- أنيسة المساكن في أبناء أبي المحاسن 187
- الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس 71 - 94 - 144
- الانيس المطرب فيمن لقينته من أدباء المغرب 211 - 233
- أصيلا 157
- اغاثة اللهفان وسلوة الاحزان باققادريين عظام الشأن 240
- الاغالبية 116
- الانادات والانشادات 90
- افران 89
- الافراني = محمد الصغير بن محمد
- أفندي العربي قدوس (الوزير) 143
- الاقاليم السبعة 127
- اقتباس الدرر 83
- اقتفاء الاثر بعد ذهاب أهل الاثر 185
- الاقنوم في مبادئ العلوم 188 - 191
- اسبان 26 - 171 - 198
- اسبانيا 18 - 24 - 109 - 133 - 134 - 145 - 201 - 215 - 236
- الاستانة 108 - 109 - 111 - 112
- استقرار الدولة الشريفة بالمغرب 26
- الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى 20 - 40 - 41 - 42 - 62 - 80 - 83 - 99 - 102 - 107 - 193 - 252 - 254 - 255 - 256 - 261 - 262 - 277

- ازهار البسنتن في مناقب الشيخ عبد الرحمان 187
- الازهار اندية 141
- الازهار العاطرة الانفاس بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس 272
- الازهري 30
- الاطلس المتوسط 103
- اظهر الكمال في تكميم مناقب سبعة رجال 91 - 2 - 9 - 276
- أكادير 110
- الاكليل والنتاج في تذييل كناية المحتاج 229
- أكنسوس = محمد بن أحمد
- التقاط الدرر 72 - 90 - 228 - 229 - 230
- التقاط المعارف من سؤال الشيخ انعارف 228
- الامام ببعض من لقينته من علماء الاسلام 166
- الامان 107
- الاماع ببعض من لم يذكر في ممتع الاسماع 193
- ألفية ابن مالك 30 - 32
- ألفية العراقي 30
- ألفية اسلوك في وفيات الملوك 114
- اليزابيت (الملكة) 133
- امداد ذوي الاستعداد الى معالم الرواية والاسناد 245
- أم الربيع (نهر) 213
- أنجرة (قبيلة) 241
- انجلترا 18 - 128 - 133 - 134
- الاندلس 24 - 25 - 54 - 88 - 116 - 196 - 202 - 234
- أنطاكية 112
- الانوار في ذكر طريقة السادات

- باب المحروق 273
- باب المعلقة 254
- باب الفتوح 79 - 86 - 98
- 170 - 172 - 190 - 195
- 126 - 203 - 209 - 214
- 228 - 245 - 270 - 271
- 273
- باب سيدي بوجيدة 273
- بادس (حجرة ،،،) 97
- البادسي 155
- باربروجا (الاستاذ) 207
- الباي حمودة 107
- بجاية 178
- البحترى 190 - 254
- البحر الابيض المتوسط 127 -
- 202 - 236 - 241
- البحر الاحمر 127
- البحر الاسود 128
- بحر الخزر 128
- البحر المديد في التفسير 241
- بحرق 30
- البخاري 44
- بدر (معركة) 86
- بدر الدين الحمومي 266
- البذور الصاوية في التعريف
- بالسادات أهل الزاوية الدلائية 55
- 83 - 243 - 251
- بذل الناصحة في فضل المصافحة
- 180
- البربر 55 - 103 - 126 - 129
- البرتغال أو البرتغاليون 26 - 80
- 84 - 97 - 134
- بركشاش 111
- بردلة = محمد العربي بن أحمد
- برادة = حرازم علي بن العربي

- الاستشفاء من الالم بذكر آثار
- صاحب العلم 205
- اسطنبول 108
- اسكلافونيا 128
- الاسكندرية 112
- اسماعيل بن الشريف العلوي
- (السلطان) 38 - 51 - 71 - 90
- 94 - 95 - 96 - 102 - 103
- 104 - 120 - 123 - 127 - 132
- 149 - 158 - 190 - 200
- 201 - 202 - 208 - 210
- 212 - 215 - 262
- أسهل المقاصد بحيلة المشايخ ورفع
- الاسانيد الواقعة في مروييات
- شيخنا الوالد 201
- اشبيلية 234
- الاشراف على بعض مي حل بفاس
- من مشاهير الاشراف 247
- أشرف الرسائل برواة الشماثل
- 228
- أوربا 17 - 18 - 20 - 26 - 66
- 132 - 202 - 234
- الاوربي = كهلان بن لؤي
- ايداوكنسوس (قبيلة ،،) 137
- ايران 24
- ايطاليا 81

- × -

حرف الباء

- باب الجيسة 85 - 86 - 199
- 205 - 242 - 273
- باب الحديد 98
- باب الحمراء 157
- باب دكالة 86
- باب الرب 139

- البرايقويت 18
- برشلونة 105
- بروان 17
- بروكلمان 44 - 102
- البريجه 97 - 161
- البلاذري 117
- البليدة (حي) 157 - 247 - 273
- بليفار 17
- بنو ابراهيم بالينبع 118
- بنو تودة 238
- بنو زروال 161
- بنو مرين 78 - 88 - 99 - 155
- 244 -
- بنو وطاس 78 - 88 - 158
- بنو ورياغل 181
- بندان 41 - 194
- بنية الرواد في دولة بني عيسد
- الواد 44
- بغية المستفيد لشرح منية المريد
- 269
- بغيف = محمد بن محمد القتبكتي
- البستان الجامع لكل حسن في عد
- بعض مآثر السلطان مولانا الحسن
- 265
- البستان الزاهر في اخبار الشيخ
- عبد القادر 187
- البستان الظريف في دولة اولاد
- مولاي علي الشريف 64 - 69 - 82
- 102 - 114 - 119 - 121 -
- 131
- بوبريج 246
- بوخريص = عبد القادر
- بوملوطه 99
- البوعبدلي = محمد الرجراجي
- البوغاز 202
- البوسعيدي = أحمد واعلي
- انسوسي
- بيدو دوسانت أولان 18
- بيعة السلطان سيدي محمد بن عبد
- الله 105
- بيسنو 18
- بيوع ابن جماعة 185
- x -
- حرف التاء
- تاج العروس 239
- تادلا 152 - 239
- تارودانت 182
- تاريخ افريقيا الشمالية 139
- تاريخ استقرار الدولتين السعدي
- وتعلوية بالمغرب 19
- تاريخ الجديدة في عهد استيلاء
- البرتغال عليها للويل مارية 261
- تاريخ الطبري الكبير 61
- تاريخ مجمل للقصر الكبير 173
- تاريخ مدينة فاس 94
- تاريخ المغرب لمانويل باولو
- كستبانوس 261
- تاريخ الضعيف 51 - 147
- تاريخ سليمان بن سابق الطماطي
- 103
- تاريخ السودان 19
- تاريخ اليعمدي 129
- تازة 109 - 233
- تاليف في أحكام اللافي 172
- تاليف في (لو) الشرطية 185
- تامسنا 79 - 161
- تاغية 167
- تافيلالت 107 - 109 - 185 -
- 225
- القتر 116

- التيجاني = أحمد بن محمد (الشيخ)
- التجموعتي عبد الملك
- تكورارين 86
- تحفة الاخلاء بأسانيد الاجلاء 185
- تحفة الاخوان ببعض مناقب شرفاء
وزان 232
- تحفة الاخوان والاولياء في ثبوت
صناعة السيميا وبطلان علم الكيمياء
115
- تحفة الاخوان ومواهب الامتنان في
مناقب سيدي رضوان 179
- تحفة الاكابر في مناقب الشيخ عبد
القادر 187
- تحفة أهل الصديقية بأسانيد
الطائفة الجزولية والزروقية 193
195
- تحفة الحادي في رفع نسب شرفاء
المغرب 114
- تحفة الحكام 30
- تذكرة المحسنين بوفيات الاعيان
وحوادث السنين 249
- تذكرة النسيان 19
- الترجمانة الكبرى التي جمعت
أخبار مدن العالم برا وبحرا 31 -
32 - 62 - 105 - 107 - 114 -
115 - 124 - 126 - 131 -
135
- الترجمان العرب عن دول المشرق
والمغرب 41 - 69 - 102 - 108
110 - 114 - 118 - 121 -
133 - 216 - 258
- ترك أو الاتراك 26 - 97 - 107
117 - 200 - 271
- تركيا 128 - 129
- القرمخي 30
- ترعة 162
- تطوان 105 - 109 - 138 - 161
- 164 - 172 - 204 - 205 -
211 - 241
- تلمسان 19 - 25 - 102 - 111 -
112 - 116 - 117 - 129 - 153 -
154 - 155
- التلمساني = ابن سعد
- التلمساني = الحاج الداودي
- تنقيح الازهان بتنقيح البرهان
172
- تمزوت 191
- تمكروت 207
- تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد
في الدنيا الفانية 185
- تنبيه الصغير من الولدان على ما
وقع في مسألة الهارب والهاربة من
الهديان لدعي الفتوى آجيان 161
- التنبيه على من لم يقع به من
فضلاء فاس تنبيه 198
- التتمارتي = عبد الرحمان بن محمد
التنسي 44
- التعبير عن شناعة منكر التكبير
228
- التعريف بالشيخ أحمد اليميني 214
- تعظيم المنة بنصر السنة 254
- التعلل برسوم الاسناد بعد انتقال
أهل المنزل والناد 156 - 159
- تغزوت 161
- التفقازاني 30
- التفكير والاعتبار في تاريخ
المصطفى وبعض أصحابه الاخيار
ومن تبعهم من العلماء الابرار 208
- تقييد بعض أخبار مكناس لرغبوش
158
- تقييد على جداول الحوفي 85
- التشوف الى رجال التصوف 152
153

- الجراوي = أحمد بن عبد السلام
- الجرجاني (السيد) 30
- الجرندي = أحمد بن علي
- الجرف 273
- الجزائر 28 - 111 - 112 - 129
- 178 - 201 - 204 - 205
- الجزولي = محمد بن سليمان
- الجزيرة الاسبانية 54
- الجزيرة الخضراء 234
- جزيرة رودس 112
- الجزيرة العربية 127
- جلاء القلب القاسي بهحسن سيدي
- المهدي القاسي 216
- جلال الدين المحلي 30
- الجلاي = ابراهيم بن عبد الرحمان
- جمع الجوامع 30
- جمهرة الانساب 259
- جذ، زهرة الآس في أخبار المغرب
- وتاريخ مدينة فاس 155
- جنوة 179
- الجنوي = رضوان
- جعفر بن ادريس الكتاني 267 -
- 270
- جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ
- عبد القادر 214
- جواهر المعاني وبلوغ الاماني في
- فيض الشيخ أبي العباس أحمد
- التجاني 269
- الجواهر الصافية من المحاسن
- اليوسفية 193
- جوهرة التيجان وفهرسة الياقوت
- واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك
- العلويين وأشياخ مولانا سليمان
- 115
- الجيش المعرمرم الخماسي في

- القهامي الوزاني (مولاي ،،،) 232
- توات 86
- تونس 25 - 28 - 107 - 111
- 112 - 129
- توشيح ابن سهل 89

— × —

حرف الثاء

- ثمرة أنسي في التعريف بنفسه
- 243

— × —

حرف الجيم

- جامع الاندلس 103 - 175 - 185
- 226 - 228 - 231
- جامع الرصيف 240
- جامع الكتبيين 167
- جامع = القرويين
- جامع الشرفاء 166 - 178 - 215
- 245 -
- جبالة 241 - 251
- جبل أبي زيزي 171
- جبل بني حسان 161
- جبل تمجوط 208 - 239
- جبل زرهون 211 - 237
- جبل طارق 105 - 202
- جبل العلم 210
- جدة 105
- الجديدة 161 - 254 - 258
- جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام
- مدينة فاس 78 - 82 - 83 - 88
- 174 - 259 - 272
- جراد سنة 978 ، 71
- الجراري = محمد

مئة أولاد مولانا علي السجلماسي

41 - 44 - 45 - 64 - 69 - 80

103 - 139 - 144 - 257

— X —

حرف الحاء

حاج الداودي اتلمساني 270

- حاجي خليفة 47

- الحارثي = أحمد بن العربي

- حاشية بناني علي الزرقاني 32

30

- حاشية المعداني علي تحفة ابن عام

212

- حاشية المعداني علي مختصر خليل

212

- حاشية علي صغرى السنوسي 171

- حاشية علي شرح مسلم 171

- الحبيب البلغيني 258

- الحبيب بن محمد العماري 225

- الحجاز 108 - 215

- الحجرتي = أحمد بن محمد

- حرازم علي العربي برادة 269

- حرب السبع سنوات 105

- الحراق = محمد

- الحزب الكبير للشافلي 173

- الحكم بالعدل والانصاف لرفع

الخلاف فيما بين فقهاء سجلماسية

من الخلاف 105

- الحلابي = أحمد بن عبد الحي

- الحلل البهية 66 - 265

- حمام القلعة 99

- حماسة أبي تمام 144

- حمدون الابار 185

- حمدون = ابن الحاج

- حمدون المزوار 192

- حمدون الملحافي 199

- الحمومي = بدر الدين

- الحفناوي = محمد بن سالم

- الحسن بن اسماعيل 107

- الحسن كندور 265

- الحسن بن رجال المعداني 212 -

215

- الحسن العلوي (مولاي - اسلطان)

101 - 102 - 107 - 148 - 252

- 258 - 262 - 263 - 264 -

265 -

- الحسن السبط 194 - 196

- الحسن اليوسي 51 - 183 - 189

- 190 - 191 - 194 - 204 -

208 - 214

- الحساني = أبو القاسم

- الحوالة الحبسية لمسجد أم المنصور

86

- حوض وادي درعة 89

- الحوات = سيلمان بن محمد

الشفشاوني

- الحياينة 109

- ابن حيان 44

— X —

حرف الخاء

- الخبر عن ظهور الفقيه العياشي بهذه

البلاد وذكر سبب قيامه بوظيفة

الجهاد 251

- الخرشي 30 - 210

- خريطة البحار 127

- خزافة القرويين 26

- خلفاء بني العباس 177

- الخلفاء الراشدون 188 - 259

- الخلاوط (قبيلة،،) 251

- الدر المرصعة بأخبار أعيان درعة
41 - 90 - 255
- الدر المكونة في النسبة الشريفة
المصونة 266
- الدر السنوية الفائقة في كشف
مذاهب أهل البدع من الخوارج
والمروافض والمعتزلة والزنادقة 114
- الدر الثمين والمورد المعين 182 -
183
- الدر الحلوك المشرق بدرة السلوك
87 - 96
- الدر المنتخب المستحسن 263 -
264
- الدر المتصد الفاخر فيها لابناء علي
الشريف من المحاسن والفاخر
148 - 149
- الدر النفيس فيمن بفاس من بني
محمد بن نفيس 245
- الدر النفيس والنور الانيس في
مناقب الامام ادريس بن ادريس
303
- الدر السنني في بعض من بفاس
من أهل النسب الحسن 196 -
266
- درعة 189
- الدرعي = محمد المكي
- الدرقاوي = المهدي بن محمد
- الدرقاوي = العربي
- الدلائيون 45 - 95 - 213
- دلفان 29 - 44
- دمشق 112 - 271
- الدقون = أحمد بن محمد
- الدسوقي 30
- الدوح 273
- دوحة ائبستان ونزهة الاخوان في
مناقب ابن عبد الرحمان 239 -

- خليج الادرياتك 128
- الخليج انفارسي 127
- خليج القسطنطينية 128
- خليل بن أبيك الصفدي 41
- الخمار = أبو الشتاء
- الخصة للمرمية 86
- الخفاجي 78 - 80 - 82 - 84
- خيبر 42

— × —

حرف الدال

- دابوش = أحمد
- الدار البيصاء 110 - 249 - 254
- دار دببغ 110
- الدانمارك 128
- الدباغ = عبد الواحد بن علل
- دراسة الشيوخ في اجازة عبد القادر
الفاسي 31
- الدرب الطويل 183 - 247 - 273
- دراس بن اسماعيل 198 - 271
- درة التيجان ولقطة اللؤلؤ والمرجان
215 - 226
- درة الحجال في أسماء الرجال 80 -
88 - 96 - 174
- درة الفاخر بسيد الاولين والواخر
وغرر آل بيته المشاهر 228
- درة السلوك فيمن حوى الملك من
المثوك 85 - 87 - 260
- الدرر البهية والجواهر النبوية في
الفروع الحسنية والحسينية 83 -
267 - 268
- درر الحجال في مآثر سبعة رجال
90
- الدرر الحسان في الكلام على ليلة
النصف من شعبان 171

حرف الـ ذال

- الذخيرة السننية 259

— × —

حرف الـراء

- رأس الجنان 170 - 273

- الرباط 110 - 111 - 146 - 147

- 229 - 249 - 257 - 264

265

- رباط آسفي 153

- رجراجة 152

- رحلة أحمد ابن ناصر 207

- رحلة الحذاق لمشاهدة البـلـدان

والآفاق 114

- رحلة الزياتي 236

- رحلة العياشي 66 - 73 - 184

185 - 207

- رحلة سفير مغربي الى أسبانيا

202

- رحلة الشهاب الى لقاء الاحباب

83

- رحلة الوزير في افتكاك الاسير 202

235

- رنان أرساست 61

- رضوان الجنوي 166 - 179

71

- رسائل أحمد المنصور الى ابنه

71

- رسالة ابن زيد القيرواني 30

32

- الرشيد بن الشريف (مولاي ،،،

السلطان) 96 - 120 - 123

132 - 139 - 189 - 192

213 - 243

- رهونة 162

240

- دوحة الناشر بمحاسن من كان

بالمغرب من مشايخ القرن العاشر

42 - 62 - 72 - 78 - 126

150 - 152 - 160 - 162 - 164

229

- دور الاثمان في دولة آل عثمان 44

- الدولة الادريسية 205

- الدولة الاموية بالاندلس 44

- دولة بني وطاس 78

- الدولة المرابطة 259

- الدولة المرينية 26 - 78 - 257

- الدولة الموحدية 259

- الدولة العثمانية 116

- الدولة العلوية 19 - 20 - 22

25 - 77 - 96 - 101 - 108

115 - 116 - 117 - 118 - 120

121 - 122 - 129 - 131

136 - 139 - 196 - 258

263

- الدولة السعدية 19 - 22 - 25

69 - 74 - 77 - 78 - 80 - 93

94 - 97 - 99 - 100 - 101

117 - 118 - 122 - 124 - 129

129 - 131 - 182 - 188 - 213

231 - 250 - 257

- دون سيبيستيان 134

- الاديباج المذهب في معرفة أعيان

علماء المذهب 39 - 53 - 178

- ديوان ابن سهل 261

- ديوان أبي تمام 254

- ديوان البحتري 254

- ديوان المتنبي 254

- ديباقو دو طوريس 18

- 84
- رينو (الدكتور ،،،) 68
 - الريف 154
 - × -
 - حرف الزاي**
 - الزاهرة 95
 - زاوية اوكو 103
 - زاوية بوبريح 268
 - الزاوية الدلائية 85 - 147 - 171
 - 173 - 183 - 189 - 193
 - 196 - 213 - 214 - 243
 - 251
 - زاوية المولى ادريس 211
 - الزاوية الفاصرية أو زاوية تمكروت
 - 82 - 113 - 137 - 185 - 207
 - 225 - 255
 - زاوية الفاسيين 200
 - الزاوية الشاذلية 173
 - الزاوية الشرقاوية أو زاوية أبي
 - الجعد 93 - 212
 - الزاوية الهزميرية الاغماتية 155
 - الزاوية اللوزانية 263
 - زحجوكة 162
 - زروق = أحمد البرنوسي
 - الزرقاني = عبد الباقي
 - زرهون 157
 - الزروالي = محمد بن عمرو
 - الزكي بن محمد الهاشمي
 - السجلماسي 242
 - ززال لشبونة 72
 - ززال سنة 977 ، 71
 - الزمخشري 90
 - الزموري = أبو القاسم
 - زغبوش ابو الخطاب سهل بن
 - القاسم 158

- الرهوني = محمد بن أحمد
- انروم 128
- الرومان 157
- روني باسي 151
- روض البهار في ذكر جملة من
- مشايخنا الذين فضلهم أجل من
- النهاري 248
- روضة التعريف بمفاخر مولانا
- اسماعيل بن الشريف 90
- روضة المحاسن الزاهية بمآثر
- الشيخ أبي المحاسن البهية 193
- الروضة المقصودة والحل الممدودة
- مآثر بني سودة 243
- روضة التفسيرين في دولة بني
- مروان 44 - 94 - 205 - 257
- 273
- الروضة السلیمانية في ذكر ملوك
- الدولة الاسماعيلية ومن تقدم من
- الدول الاسلامية 114 - 121
- اروض المعطار 259
- اروض العادرات الانفاس بأخبار
- الصانعين من أهل فاس 72 -
- 198 - 272
- روض القرطاس 18 - 94 - 96 -
- 205 - 257 - 259 - 277
- اروض الھتون في أخبار مكناسة
- الزيتون 22 - 71 - 158 - 159
- 179 - 187
- اروض اليانح الفائح في مناقب
- الشيخ محمد صالح 212 - 236
- ارياض الربانية في الشعبنة
- الكتانية 271
- رياض المورد الى ما انتمى اليه
- هذا الجواهر الفرد 248
- ریحانة الالباء 78 - 80 - 82 -

- الزمخشري 90
- طلعة المشتري في النسب الجعفري 250
- طلعة السياح (مكان) 273
- طنجة 109 - 110 - 160 - 235 -
- 241 - 254
- الطنجي = محمد بن محمد الاموي 156
- الطيب الكتاني 270
- الطيب = ابن كيران
- الطيب القادري 32
- الطيب الوزاني 232
- الطيب ابن اليماني (الوزير) 143

— X —

حرف الظاء

- الظل الظليل 144
- الظل الوريث في مفاخر مولانا
- اسماعيل بن الشريف 69 - 90 -
- 94 - 214

— X —

حرف الكاف

- كاترين الثانية (امبراطورة روسيا) 108
- كاثوليك 134
- كارادوفو 61
- كتاب التحقيق في النسب الوثيق 237
- كتاب الخليفة العثماني بالثناء على سفارة الزياتي 109
- كتامة (قبيلة) 156
- الكتاني = جعفر بن ادريس
- الكتاني = الطيب
- الكتاني = المامون بن عمر

- زقاق الرمان 273
- الزقاق القليل 98
- زهر الافنان من حديقة ابن الونان 254
- الزهر الباسم والعرف القاسم في مناقب الشيخ سيدي قاسم 228
- الزهر الندي في الخلق المحمدي 215
- زهرة الشمايخ في علم التاريخ 188
- زيان (قبيلة) 103
- الزياتي = أبو القاسم بن احمد
- زيدان (مولاي) 66 - 178

— X —

حرف الطاء

- الطائفة الشاذلية 193
- الطالب = ابن الحاج
- الطالع المشرق في أفق المنطق 172
- الطاهر بن عبد السلام القادري 214
- الطاهري = أحمد حمدون
- طبقات ابن السبكي 52
- طرابلس 126 - 128
- الطرف في اختصار التحفة 195
- الطريقة التجانية 136 - 268 -
- 269
- الطريقة الجزولية 163 - 168
- الطريقة الدرقاوية 241 - 245 -
- 246 - 247
- الطريقة الكتانية 268
- الطريقة الناصرية 206 - 225 -
- 253 - 268
- الطريقة القادرية 209 - 227
- الطريقة الشاذلية 56 - 187
- طلعة المشتري في ثبوت توبة

حرف الالام

- لامية الافعال 30
- لامية الزقاق 30
- لحة البهجة العلية في بعض فروع
- الشعبة الحسنية الصقلية 229
- لحة الدر النفيس فيمن وصف
- بالقدليس 228
- لقط انقراؤ 230
- اللوترية 134
- لويز الخامس عشر 236
- لويز مارية 261
- ليفي بروفنصال 7 - 42 - 44
- 52 - 97 - 105
- ليون الافريقي 27 - 167

— × —

حرف الميم

- مالقة 107 - 168
- مالو الصنهاجي 103
- المامون بن عمر الكتاني 270
- مانويل باولو كستيانوس 261
- مايار 229
- مباحث الانوار في اخبار بعض
- الاخيار 206
- المتنبي (ديوان ،،،) 254
- المتيوي = عاي بن عبد الله
- مجبر (سيدي ،،،) 198
- مجلة الجغرافيا والحفريات 29
- مجلة العالم الاسلامي 102 - 122
- مجلة الوثائق المغربية 102 - 229

- الكتاني = محمد بن جعفر

- الكدان (مكان) 273
- كديرا (المستشرق) 274
- الكردودي = محمد بن عبد القادر
- الكرنيز (مكان) 273
- كرول 122 - 229
- كمال الدين بن أبي شريف 30
- الكنتي = المختار
- الكندوز 238
- الكخادين (مكان) 157 - 180
- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في
- الديباج 178
- كسوف سنة 964 ، 71
- كشف الاسرار في الرد على اهل
- البدع الاشرار 115
- كشف الحجاب عن تلاقى مع
- التجاني من الاصحاب 269
- كشف الظنون 44 - 47
- كشف العرين عن ليوث بني
- مزين 257
- كهلان بن لؤي الاوربي 129
- كور (المستشرق) 19 - 26 -
- 86
- الكوكب الاسعد في مناقب سيدنا
- ومولانا علي بن أحمد 233
- الكوكب الوقاد فيمن حل بسبنة من
- العلماء والصلحاء والعباد 154
- كولان (جورج) 97 - 98 - 100
- الكوهن = عبد القادر بن أحمد

- محمد النواودي ابن سودة 238
- محمد التهامي الحمادي المكناسي 247
- محمد بن جابر الغساني 158
- محمد الجراري 258
- محمد الجنان الاندلسي 183 - 186
- محمد كنون (الحاج) 265 - 267
- محمد بن جعفر الكتاني 37 - 73 - 83 - 231 - 271 - 276
- محمد الحاج الدلائي 213 - 214 - 243
- محمد الحراق 247 - 249
- محمد الحلو الوطاسي 156
- محمد بن حمزة المكناسي 232 - 233
- محمد الحضرمي 154
- محمد بن الحسن الادريسي 85
- محمد بن الحسن بناني 104
- محمد بن الحسين الاوربي (الصغير) 156
- محمد بن الحسين الكندوز 225 - 227
- محمد الخرشي 209
- محمد المدرعي 41
- محمد الدريج التطواني 216
- محمد بن راشد 161
- محمد الرجراجي (البوعبدلي) 79 - 178
- محمد الرفاعي 203
- محمد الطيب الفاسي 200 - 201
- محمد بن الطيب القادري 41 - 72 - 73 - 80 - 82 - 90 - 103
- 181 - 182 - 197 - 198 - 225
- 227 - 231 - 242 - 245 - 276

- المجراد (السلوي) 30
- مجهول فاس 97
- محاضرات اليوسي 37 - 73 - 129 - 191
- محمد بن ابراهيم السباعي 265
- محمد بن ابراهيم الدكالي 242
- محمد بن ابي بكر الدلائي 85
- محمد بن ابي بكر اليازغي 137 - 247
- محمد بن أحمد بن ابي عفيف 158
- محمد بن أحمد اكنسوس 39 - 41 - 42 - 44 - 45 - 64 - 68 - 69
- 71 - 74 - 80 - 102 - 103 - 121 - 135 - 136 - 137 - 138
- 139 - 140 - 141 - 142 - 143 - 144 - 149 - 157 - 262
- محمد بن أحمد الرهوني 239
- محمد بن أحمد التماق 238
- محمد بن أحمد ميارة 30 - 182 - 183
- محمد بن أحمد الفاسي 215 - 226
- محمد بن أحمد القسنطيني 204 - 211 - 214 - 216
- محمد بن أحمد الورزازي 239
- محمد بن أحمد اليسيتني 78
- محمد بن ادريس العمراوي 123 - 138 - 139 - 143
- محمد الامين بلامينو 148
- محمد الامين الصحراوي 250
- محمد أفندي 236
- محمد بناني 32 - 104 - 240
- محمد البوعناني 182
- محمد البوعصامي 211
- محمد التاملي 183

- محمد صالح بن خير الله الرضوي 241
- محمد الصالح بن محمد المعطي رقاوي 93 - 212
- محمد الصغير بن محمد الافراني 19 - 52 - 60 - 64 - 66 - 69
- 70 - 71 - 74 - 80 - 81 - 82
- 83 - 86 - 89 - 90 - 91 - 93
- 94 - 95 - 96 - 97 - 99
- 101 - 102 - 118 - 132
- 141 - 168 - 188 - 199
- 210 - 212 - 229 - 251
- 257 - 276
- محمد العابدي 214
- محمد بن عامر التادلي 137
- محمد بن عبد الله (سيدي ،،، السلطان) 102 - 104 - 105
- 106 - 107 - 108 - 109
- 110 - 118 - 120 - 127 - 130
- 134 - 135 - 137
- محمد بن عبد الله بن كحيلات الهزميري 155
- محمد بن عبد الله المراكشي 105
- محمد بن عبد الله معن 187 -
- 193 - 216
- محمد بن عبد الله السجلماسي 189
- محمد بن عبد الله السعدي 42
- محمد بن عبد الله السوسي 206
- محمد بن عبد الرحمان الدلائي 215 - 226
- محمد بن عبد الرحمان ابن مجير المساري 84
- محمد بن عبد الرحمان القاسي 89
- 210 - 226
- محمد بن عبد الرحمان (سيدي ،،

- محمد بن الطيب العلمي 210
- محمد الكبير بن محمد السرعيني 225 - 227
- محمد الكراسي 161
- محمد بن المبارك الهشتوكي 268
- محمد بن محمد الاموي الطنجي 156
- محمد بن محمد التجموعي 189
- محمد بن محمد التنبكتي (بغيع) 177
- محمد بن محمد بن عبد الله معن 192
- محمد بن محمد ابن عطية 208
- محمد بن محمد الفيشي 166
- محمد المدرع 228
- محمد الم رابط بن محمد الدلائي 190
- محمد المزوار المراكشي 189
- محمد المكلائي 82
- محمد المكي بن البشير 258
- محمد المكي الدرعي 255
- محمد بن منصور الشفاوني 137
- محمد المعطي 236
- محمد المسلوخ 162
- محمد المسناوي الدلائي 213 -
- 214 - 215 - 216 - 226
- محمد المسناوي مريفو (الحاج) 147
- محمد مسواك التازي 267
- محمد المهدي الفاسي 192 - 193
- 194 - 195 - 200 - 204 - 216
- محمد المهدي ابن القاضي 246
- محمد ابن الملقط 41 - 43 - 46
- 93 - 275
- محمد ميارة 185
- محمد ميارة الحفيد 226
- محمد النفس الزكية 196

- 232 - 238 - 239
 - محمد بن قاسم القوري اللخمي 186
 - محمد بن قاسم القصار 84 - 170
 - محمد السائح 80 - 102
 - محمد بن سالم الحفناوي 228
 - محمد السجلماسي 239
 - محمد سخنون 104
 - محمد السرغيني 239
 - محمد بن سليمان الجزولي 163 -
 193 - 195 - 211
 - محمد بن سعيد المرغيتي 182 -
 183 - 184 - 190
 - محمد بن الشريف (السلطان) 96
 - محمد الشيخ (الاصغر) 98
 - محمد الشيخ (السعدي السلطان
 الاول) 98 - 99 - 164
 - محمد شقرون بن أحمد المغراوي
 157
 - محمد الهواري 104
 - محمد الوزير الغساني 200 -
 201
 - محمد البوطاسي (السلطان) 157
 - محمد بن يحيى القرافي (بدر الدين)
 84
 - محمد بن يعقوب 211
 - محمد يعيش الرغاي الشاوي 238
 - محمد بن يوسف الزياني 170
 - المحيط (الاطلنطريقي) 127
 - المحيط الهندي 127
 - المختار الكنتي 256 - 257
 - مختصر التفتازاني 30
 - مختصر خليل 30 - 32 - 200 -
 209
 - مختصر القاصدي 30
 - مختصر السنوسي 32
 - المخزن المغربي 31

- السلطان) 77 - 139 - 141 -
 213 - 252 - 262 - 263
 - محمد بن عبد الكريم العيدوني
 236
 - محمد بن عبد العزيز محبوبية 264
 - محمد بن عبد القادر الكرودي
 149
 - محمد بن عبد القادر الفاسي 211
 - محمد بن عبد القادر السعدي 166
 - محمد بن عبد السلام بفاني 227
 - محمد بن عبد السلام الضعيف
 الرباطي 51 - 102 - 146
 - محمد بن عبد السلام الفاسي 104
 - 240 - 242
 - محمد بن عبد الواحد ابن سودة 271
 - محمد بن عبد الوهاب الدكالي
 182
 - محمد بن عثمان إلكناسي 108
 - محمد العربي بن أحمد بردلة 204
 - محمد العربي الفاسي 37 - 171
 172 - 173 - 183 - 186 - 190
 - محمد العربي القادري 190 - 194
 - 195 - 196 - 198
 - محمد العلمي 211
 - محمد العلوي (القاضي) 271
 - محمد بن علي الجوطي 88
 - محمد بن علي المنالي الزبادي
 239
 - محمد بن علي الفشتالي 82
 - محمد بن عمر المختاري 161
 - محمد بن عمرو الزروالي 137 -
 239
 - محمد العياشي (المجاهد السلوي)
 250
 - محمد بن أبي القاسم الرباطي 146
 - محمد بن قاسم جسوس 227 -

- الواردين من العراق 197
- المطول للتفتازاني 30
- مكة 104 - 105 - 108 - 112 -
- 206 - 215 - 271
- مكناس 38 - 70 - 71 - 79 -
- 83 - 103 - 107 - 110 - 120 -
- 139 - 156 - 158 - 206 -
- 210 - 237 - 267
- المكودي 30
- ملياية 234
- ممتع الاسماع في أخبار الجزولي
- وانتباع ومن لهما من الاتباع 187
- 193 - 194 - 260
- مناسك الحج (قصيدة) 215
- مناهل الصفا في أخبار الملوك
- المشرفا 44 - 74 - 81 - 93 -
- 260
- المنتخبات العبقريّة 80 - 102
- المنتقى المقصور على مآثر خلافة
- النصور 69 - 70 - 74 - 82 -
- 85 - 86 - 87 - 88 - 96 -
- 174 - 210 - 257 - 260
- المنجور = أحمد بن علي
- منح الاهية ومواهب اختصاصية
- على الجامع الصحيح 245
- المنح الشافية في الاسانيد
- اليوسفية 171
- المنح البادية في الاسانيد
- العالية 210
- منظومة بيوع ابن جماعة 185
- المنصور = أحمد (السلطان)
- المنهاج المختار في مناقب الشيخ
- المختار 250
- المنهاج الواضح في تحقيق كرامات
- أبي محمد صالح 153
- منية الحساب 30
- منية المريد 269

- المخفي (سيدي ...) 274
- المدخل في الهندسة 85
- المدرسة البوعنانية 212 - 214 -
- 215
- المدرسة الرشيدية 89
- المدرسة المصباحية 180 - 186 -
- مدرسة الصهريج 32 - 103 -
- مدرسة العطارين 32 - 103 -
- مدريد 202 - 234 - 235 -
- مدغرة 225 - 267 -
- المدينة المنورة 105 - 112 - 139 -
- 207 - 215 - 245 - 269 -
- مرآة المحاسن 37 - 55 - 84 -
- 172 - 248 - 266
- المرابطون 53
- مراکش 70 - 71 - 79 - 80 -
- 84 - 85 - 86 - 89 - 90 - 92 -
- 94 - 110 - 112 - 118 -
- 138 - 166 - 177 - 183 -
- 184 - 189 - 190 - 250 -
- 254 - 257 - 263
- مرصد المعتمد في مقاصد المعتقد
- 172
- مرتضى الزبيدي 238
- المرقى في ذكر بعض مناقب القطب
- سيدي محمد الشرقي 236
- مرسى البريجة 97
- مرسيليا 105
- المرشد المعين على الضروري من
- علوم الدين 29 - 30 - 180 -
- 183
- المرينيون ومدارسهم بفاس 175
- مطمح النظر ومرسل العبر بذكرى
- من غير من أهل القرن الحادي عشر
- 201
- مطلع الاشراف في الاشراف

- عبد الله احمد 196
- المقصد الشريف والمنزع اللطيف في
ذكر صلحاء الريف 153 - 154
- المقياس في محاسن سيدنا أبي
العباس 216
- المسألة الشهية الامليسية في
الانكحة المنعقدة على عادة البلاد
الاغريسية 181
- مسا الخير (سيدي ،،،) 274
- مسجد الابارين 85
- مسجد أم المنصور 86
- مسجد الاندلس 32
- المسجد الاعظم بالرباط 147
- مسجد العباد 129
- مسجد القصر 208
- مسجد الشرقاء 190
- المسجد اليوسفي 90 - 93
- مسراته 126
- المسلك السهل في شرح توشيح ابن
سهل 89
- مسعود جموع السجلماسي السلوي
211
- مسعود الشراط 199
- المسعودي 44
- مسواك محمد التازي 267
- المهدي بن محمد الدرقاوي 268
- المهدية 110 - 198
- المهدي الغزال 211
- مواط 18
- مواهب التخصيص في شرح
شواهد التخصيص 228
- المورد المعين في شرح المرشد المعين
228
- المورد الهني بأخبار المولى عبد
السلام الشريف القادري الحسني
226

- مصر 20 - 84 - 105 - 112 -
116 - 128 - 207 - 225
- مصمودة 171
- معاوية 42
- معجم البلدان 41
- معركة بدر 86
- معركة وادي المخازن 84 - 86 -
162 - 170 - 173
- المغرب المبين عما تضمنته الانبيس
المطرب وروضة التشرين 205 -
257 - 259
- المغرب في أخبار المغرب 90
- المغربي في مناقب أبي يعزى 167
- المعمورة 198
- معن = أحمد بن عبد الله
- معيار الونشريسي 56
- مغراوة 88
- المغرب 17 - 18 - 19 - 20 - 21
- 22 - 23 - 24 - 25 - 26
- 27 - 28 - 29 - 33 - 38 - 42
- 43 - 44 - 45 - 46 - 47 - 49
- 54 - 56 - 63 - 66 - 67
- 72 - 79 - 81 - 83 - 87 - 88
- 96 - 98 - 99 - 102 - 104
- 105 - 106 - 107 - 108 - 109
- 115 - 120 - 129 - 145
- 186 - 189 - 192 - 197 - 201
- 226 - 229 - 237 - 246
- 256 - 265 - 268 - 274 - 276
- الفاخر العلية في الشماثل المهدية
268
- مفكرو الاسلام 61
- مقبرة السعديين 86
- مقدمة ابن خلدون 46
- المقنع في علم أبي مقرع 30 - 184
- المقصد الاحمد في التعريف بسيدنا

- نزهة النادي وتحفة الحادي فيمن
بالمغرب من أهل القرن الحادي
197 - 230
- نزهة المناظر «ارجوزة» 158
- نزهة الفكر في مناقب الشيخين
سيدي محمد وولده سيدي أبي
بكر 196
- نصرة القبض في الرد على من أنكر
مشروعيته في صلاتي النفل والفرص
214
- نصيحة المغترين في بطلان التدبير
للمعتزلين 115
- النفعة السكية في السفارة
التركية 82
- نفع الطيب 80 - 85 - 167
- نسمات الآس في حجة سيدنا أبي
العباس 209
- نشر أزاخير البستان فيمن أجازني
بالجزائر وتطوان من فضلاء الاكابر
والاعيان 205
- نشر الثاني 41 - 62 - 72 -
- 73 - 80 - 82 - 83 - 149 -
- 167 - 183 - 197 - 198 -
- 225 - 229 - 230 - 243 - 260
- نهر ملوية 189 - 200
- فوح 115
- النور القوى بذكر الشيخ مولاي
- عبد الواحد الدباغ والشيخ مولاي
- العربي الدرقاوي 246
- نيل الابتهاج 39 - 41 - 78 -
- 79 - 82 - 84 - 178
- نيل الامل فيما به بين المالكية
العمل 85

- حوطا مالك 30

- موسى الجون 196
- موسى بن أبي العافية 83 - 88
- ميارة = محمد بن أحمد

- x -

حرف النون

- الناصر (الثائر) 133
- الناصري : = أحمد بن خالد
السلوي
- النبذة اليسيرة النافعة انتي لأكبر
أسلالات الكتانية جامعة 272
- نتيجة الاجتهاد في المهادنة
والجهاد : 235
- نتيجة التحقيق في بعض أهل
انشرف الوثيق 214
- النجارين (حي ،،،) 273
- نظم تلخيص ابن البنا 85
- نظم الجمل 30
- نظم الدر واللال في شرفاء عقبة ابن
صوال 247
- نظم الدر والعقيان في بني زيان 44
- نظم منطق السعد 85
- نظم في العمل الفاسي 187
- نزهة الحادي في أخبار القرن
الحادي 38 - 40 - 52 - 60 -
- 64 - 66 - 69 - 70 - 71 -
- 78 - 80 - 83 - 84 - 86 - 69 -
- 90 - 93 - 94 - 95 -
- 96 - 97 - 99 - 100 - 118 -
- 130 - 141 - 149 - 170 - 182 -
- 188 - 243 - 251 - 257 -
- 260

حرف اتصال

- الصاغة (حي) 273
- صحيح البخاري 30 - 85 - 170
- صحيح مسلم 42 - 170
- الصدفي 41
- صرف الهمزة الى تحقيق معنى
الذمة 214
- صفوة الادب في دولة الموحدين
44 - 144
- صفوة من انتشر في اخبار صلحاء
القرن الحادي عشر 83 - 89 - 90
- 93 - 94 - 199
- صفرو 189 - 191
- الصقليون 196 - 242
- الصوارم الفتكية في نحرور أهل
انقصيدة الافكية 228
- الصومعي = احمد بن قاسم الشعبي
الهدوي
- الصويرة 107 - 235
- الصين 108

— x —

حرف الضاد

- ضريح الامام الجزولي 89
- ضريح ابي مدين 111
- ضريح المولى ادريس 263 - 273
- ضريح سيدي قاسم ابن رحمون
266
- الضعيف = محمد بن عبد السلام
الرباطي
- ضيافة الباي حمودة للزياني 107

حرف انعين

- عائشة بنت أحمد (أم ابن عسكر)
160
- العباس بن ابراهيم المراكشي 91
- 93 - 276
- عبد الله بن اسماعيل (السلطان)
105 - 162
- عبد الله الخياط 237
- عبد الله الكامل 196
- عبد الله بن محمد الهشتوكي 190
- عبد الله بن العربي العراقي 245
- عبد الله الغالب بالله (السلطان
السعدي) 97 - 161
- عبد الله السجلماسي 183
- عبد الله السعدي 42
- عبد الله الشريف 232
- عبد الله الهبطي 162
- عبد الباقي الزرقاني 30 - 32 -
209 - 210
- عبد الحميد بن أحمد العثماني 107
- عبد الحق بن اسماعيل البادسي
153
- عبد الحي الحلبي 89
- عبد الحي الكتاني 27 - 41
- عبد الخالق بن محمد العروسي
الشرقاوي 236
- عبد الرحمان الادريسي المنجرة 226
- عبد الرحمان بن اسماعيل التادلي
153
- عبد الرحمان بن محمد التمارتي
181 - 182
- عبد الرحمان بن محمد الفاسي
180
- عبد الرحمان (المولى ،،، السلطان)
138 - 142 - 143 - 145 - 147
- 252

- 185 - 186 - 189 - 190 - 192
200 - 214 - 235
عبد القادر القادري 194 - 195
عبد السلام الازمي 137 - 249
عبد السلام بوغالب 263 - 266
عبد السلام جسوس 216
عبد السلام الحسين 104
عبد السلام الخياط 233
عبد السلام بن الطيب القادري 215
عبد السلام بن محمد التواتي 228
عبد السلام ابن مشيش 163 - 196
197 - 205 - 210 - 241
عبد السلام القادري 195 - 204
211 - 212 - 216 - 226 - 227
230
عبد السلام الهواري 265
عبد السلام الوزاني 233
عبد الهادي الحسني العلوي 247
عبد الواحد الحميدي 170
عبد الواحد بن محمد الفاسي 240
عبد الواحد بن علال 246
عبد الواحد السجلماسي 84 - 166
عبد الواحد الفاسي 245
عبد الواحد الونشريسي 98 - 157
عبد الوارث اليصلوتي 161
عبد الوهاب التازي 239
عبد البر لابن خلدون 18 - 26 - 69
242 - 259
العدوة الافريقية 25
العرائش 110 - 112 - 171
العراق 108 - 116
العراقي = أحمد
العراقي = ادريس بن محمد
العراقي = عبد الله بن العربي بن
البيد
العراقيون 196
- عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي
56 - 82 - 186 - 187 - 188
191
عبد الرحمان بن عاي سقين 78
عبد الرحمان بن القاضي 185
عبد الرحمان الونشريسي 78
عبد الكبير الفاسي 249
عبد الكريم الهزميري 155
عبد الكريم اليازغي 242
عبد الكريم بن يحيى 108
عبد المجيد الخفالي الزبادي 239
عبد الملك بن مولاي اسماعيل 95
108 - 200
عبد الملك التجموعتي 214
عبد الملك بن مروان 103
عبد الملك المعتصم بالله (السلطان
السعدي) 162
عبد الملك العلوي (الفاضلي) 265
عبد المهين بن محمد الحضرمي 153
عبد العزيز التباع 193
عبد العزيز بن الحسن المريني
155
عبد العزيز بن الحسن (السلطان)
252 - 258
عبد العزيز الفشتالي 44 - 60
64 - 74 - 78 - 81 - 83 - 86
87 - 93 - 98
عبد العزيز بن عبد الرحمان
الفيلاي 189
عبد الغني المقدسي 171
عبد القادر بن أحمد الكوهن 242
244 - 247
عبد القادر بوخريص 32 - 103
242
عبد القادر بن العربي الجيلالي 104
194 - 197 - 209 - 214
عبد القادر الفاسي 1 - 3 - 172

- العرب 23 - 40 - 55 - 61 - 111
 - العربي الدرقاوي 246 - 268
 - العربي الفشالي 195
 - العربي القادري 214
 - ربي القسنطيني 104
 - **العرف العاطر فيمن بفاس من أبناء**
الشيخ عبد القادر 195 - 197
 - العريفة بنت خجو 99 - 100
 - العكاري = علي
 - العلمي = محمد بن الطيب
 - العلويون بتافيلالت 267
 - علي بن ابراهيم 103
 - علي بن ابي طالب 41
 - علي الاجهري 185
 - علي بن احمد الوزاني 232 - 233
 - علي بن اسماعيل (الامير) 123
 - علي الجزنائي 155
 - علي بن زهير السجلماسي 186
 - علي بن محمد البركة 204
 - علي بن محمد التمكروتي 82
 - علي بن محمد بن علي 265
 - علي المراكشي 128
 - علي مندوش 211
 - علي بن موسى المدغري 71 - 157
 - علي بن عبد الله التيوحي 247
 - علي بن عبد الرحمان القادري 208
 - علي بن عبد الرحمان العري 230
 - علي العلوي 260
 - علي بن العربي 260
 - علي العكاري 265
 - علي بن عمران الصلحي 178
 - علي بن قاسم البيطوني 188
 - علي قصارة 263
 - علي الشريف (مولي) 182
- علي بن هارون 99
 - علي وادة 97
 - عمارة بن موسى 234
 - عمر الحراق الحسني 211
 - عمر لوزيرق 108
 - عمر الفاسي 32 - 104
 - العميري = سعيد بن ابي القاسم
 - **عناية أولى المجد بذكر آل الفاسي**
ابن المجد 244
 - عقبة ابن صوال 269
 - عقبة المساجين 157
 - **عقد الدرر في نظم نخبات الأفكار** 172
 - عقيدة السنوسي الكبرى 30
 - عقيدة السنوسي الصغرى 30
 - عسكر بن خالد بن عمر بن ادريس
 160
 - عياض = القاضي
 - العياشي - أبو سلم عبد الله
 - عيسى السجلماسي 183
 - عيسى السجقاني 189
 - عيون 273
- × -
- . . . الفين
- **غاية الامنية وارتقاء الرتب العلية في**
ذكر الانساب للصقلية ذات الانوار
الجهية 240
 - الغرب الاسلامي 277
 - الغربي = احمد بن عبد الله
 - الرباطي
 - غرناطة 25 - 194
 - الغزال = أحمد بن عبد الوهاب
 - عمارة 161 - 162

- فريدة الاشتياق في ترتيب لامية
انترقاق 228

- فريدة الدر الصافي في وصف
الجمال اليوسفي 29 2

- فزان 84

- فندق اليهودي (حي) 273
فضالة 32

- القضياي = ادريس بن احمد
فشتالة 82

- فهرسة ابن غازي 179

- فهرسة ابن سودة 239

- فهرسة محمد العربي 171 - 173

- فهرسة مخطوطات الرباط 229

- فهرسة المنجور 78 - 79 - 159 -
179

- فهرسة عبد القادر الفاسي 186

- فهرسة الفوائد الزرية بالموائد 184

- فهرسة اليوسي 189

- الفوائد الجمة باسناد علوم الامة
181

- فيليب الثاني الاسباني 133 - 134

— × —

حرف القاف

- القادريون 194 - 196 - 231

- القارة الافريقية 128

- القانون 191

- قاضي الحاجة (سيدي) 274

- القاضي عياض 30

- قاسم الزرهوني 99

- قاسم بن قاسم الخصاصي

- الاندلسي 192 - 194 - 229

- القاهرة 84 - 104 - 105 - 112

- الغمام المصيب في مناقب هولاي
الطيب 270

- غنية الرائض في طبقات أهل
الحساب والفرائض 85

— × —

حرف الفاء

- فارس 128

- فارس الشدياق 143

- الفاطميون 83

- فاس 19 - 20 - 25 - 26 - 27

- 28 - 31 - 37 - 38 - 44

- 70 - 71 - 79 - 83 - 84 - 85

- 86 - 88 - 89 - 91 - 97

- 98 - 99 - 100 - 103 - 104 - 105

- 110 - 111 - 112 - 113 - 138

- 155 - 186 - 187 - 189

- 190 - 194 - 195 - 199 - 200

- 201 - 205 - 209

- 235 - 244 - 254 - 264 - 267

- 273 - 275

- فتح المغيث بحكم اللحن في الحديث
90

- الفتح النبيل بما تضمنه من أسماء
العدد التنزيل 85

- الفتح والتيسير في آية التطهير
228

- الفتوحات الالهية في شرح
المباحث الاصيلية 241

- فخر الثري بسيد الوري 215

- الفرادبال 26

- فرنسا 18 - 21 - 109 - 133

- 134 - 236

- الفرنسيون 105

- قسطنطينة 111 - 112 - 129
- القسيس جياكوبي 237
- القول الكاشف عن الاستغابة في
الوظائف 214
- × -
حرف السين
- سابق بن سليمان المطماطي 129
- سالمون 125
- الصالي احمد 183
- سانسبتيان 95
- سبتة 110 - 154 - 202 - 234
- سجلماسة 107 - 117 - 189 -
196 - 225
- السر الظاهر فيمن أحرز بفاس
اتشرف الباهر من أعقاب عبد
القادر 243
السكر 81
- سكيرج = أحمد الفاسي
- سلا 85 - 87 - 95 - 138 - 146
- 147 - 155 - 251 - 253 -
254 - 257 - 258 - 262
- السلسبيل العذب والمنهل
الاحلى 154
- ستوة الانفاس ومحادثة الاكياس
فيمن أقبر من العلماء والصلحاء
بقاس 37 - 73 - 78 - 79 - 272
275 - 276 - 277
- سلوك الطريق الوارية في الشيخ
والمرید والزاوية 240
- السلوك فيما يجب على الملوك 114
- سليمان (مولاي ،،، السلطان) 107
- 111 - 117 - 120 - 126 -
135 - 137 - 138 - 139 - 141
146 - 240 - 242 - 244 - 246
263

- 185 - 207 - 209 - 211 -
258
- قبيلة زيان 103
- القدس 108 - 112 - 185
- قرة العيون في الشرفاء القاطنين
بالعيون 243
- القرطاس 44 - 71 - 144 - 155
- قرطبة 234
- القرويين (جامع،،،) 26 - 28 -
29 - 32 - 85 - 86 - 89 -
103 - 153 - 156 - 157 - 161
175 - 232 - 247 - 249 - 263
- القرويين (خزانة ،،،) 26
- قريظة - بنو 42
- القزويني 30
- القطاني 273
- القطر التركي 17
- قلائد العقيان لابن خاقان 211
- القلصادي 30
- القلقليين (حي) 170 - 187 - 200
210 - 226 - 253
- قنطرة الرصيف 98
- القصبة 110
- قصبة مولاي اسماعيل بمكناس
206
- قصبة قادلا 167
- قصبة السكر 81
- قصبة الموحدين 120
- قصبة فضالة 249
- قصر البديع 80 - 81 - 94 - 95
161 -
- للقصر الكبير 138 - 161 - 170
171 - 186 - 192
- قصر كتامة 157 - 161
- القصور السعدية 71
- قصيدة في الذكاة 172

- شالة 249 - 257
- الشام 108 - 128
- الشراطين (حي) 273
- الشرب المحتصر والسر المنتظر في معين أهل القرن الثالث عشر 271
- شرح الاجرومية 245
- شرح حكم ابن عطاء الله لابن عجيبة 241
- شرح أبي الحسن علي الشاذلي 30
- شرح الخرشي المختصر خليل 30
- شرح درة الملوك 176
- شرح الزرقاني المختصر خليل 104
- شرح منظومة ابن جماعة في البيوع 185
- شرح منظومة في مدح أحمد بن عبد الله 216
- شرح ميارة على المرشد 30
- شرح النووي على مسلم 30
- شرح العمدة في الاحكام لعبد الغني المقدسي 171
- شرح الشريشية في السلوك 171
- شرح اشفا 215
- شرح الشقراطية 172
- شرف الطالب في أسنى الطالب 230
- الشرق 17 - 46 - 54 - 112
- شرقاوة 236
- الشرشور (حي) 263
- الشطرنج 79 - 146
- الشمايل للترمذي 30
- الشمال الافريقي 229 - 237 - 2
- شنقيط 269
- الشفا للقاضي عياض 30
- شفشاون 160 - 161 - 162
- 242

- سليمان الجزولي 197
- سليمان بن محمد الحوات الشفشاوني 71 - 83 - 89 - 90 - 213 - 239 - 241 - 244 - 251
- سماط القرويين 228 - 239
- السنوسية 32
- السعادة الابدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية 41
- 43 - 46 - 93 - 275 - 376
- السعد 85
- سعد بن معاذ 42
- السعديون 44 - 52 - 83 - 86 - 88 - 95 - 99 - 197 - 264
- سعود المريني 211
- سعيد بن أبي القاسم العميري 208
- سعيد قحورة 204
- سعيد بن يزيد 138
- سفارة الزياني الى الاستانة 107
- 117 -
- ستاية الدمناتي 263
- السهرزوري 210
- سهل بن القاسم زغبوش 158
- السودان 80 - 86 - 166 - 117 - 127
- سوس 94 - 178 - 182 - 183
- السوييس 104
- السيوطي 39 - 41 - 44

— x —

حرف الشين

- شارل الثالث الملك الاسباني 234
- شارل الثاني الملك الاسباني 202
- الشاطبي 42

حرف الهاء

- الهادي الصقلي 271
- هاني بن يصدور الكومي 129
- هدية سيدي محمد بن عبد الله الى
- الخليفة العثماني 109

- الهند 128

- هنري الثالث 134

- هنري دو كاستري 21 - 82

- هنري الرابع 134

- هوادس 19 - 22 - 38 - 40 -

89 - 92 - 94 - 95 - 96 - 97 -

102 - 115 - 116 - 117 - 119 -

120 - 130 - 159 - 170 -

- X -

حرف الواو

- وادي درعة 89 - 181 - 185 -

- وادي المخازن 42 - 55 - 71 - 84 -

86 - 117 - 162 - 170 - 173 -

وادي الصوافين 98

- وادي فاطمة 215

- الوافي بالوفيات 41

- وثائق دو كاستري 86

- الوثائق المغربية 264 - 265

- وجدة 109 - 111 - 269

- وزان 232 - 268

- الوزن الفاسي 27

- الوزير ، أحمد بن عبد الوهاب 215

232

- الوليد العراقي 104 - 245 - 266

270

- وصف افريقيا 27 - 167

- وفيات الاعيان 41 - 53 - 174

- وفيات ابن قنفذ 230

- وقف ام المنصور مسجد 86

- وهران 29 - 102 - 111

- X -

حرف ائياء

- ياقوت 41

- يتيمة العقود الوسطى في مناقب

الشيخ المعطي 236

- يحيى بن محمد الخطاب 84

- يحيى بن محمد السراج الاصغر 84

170 -

- يحيى الشفشاوني 104 - 239

- يحيى الوقاد التلمساني 182

- يحيى بن يونس 249

- اليزيد بن محمد بن عبد الله 108

الينبع 104 - 105 - 118

- يعقوب بن يحيى البصري 84

- اليونان 128

- يوسف الفاسي (أبو المحاسن) 55

84 - 168 - 179 - 192

- يوسف اليهودي الترجمان 261

- اليوسي (الحسن) 37 - 73

تم طبع هذا الكتاب بمطبعة
دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر بالرباط
في 30 أبريل 1977

